# مملكة جورجيا في العصور الوسطى

## دراسة في نشأتها وعلاقاتها الخارجية

الدكتور
فتحي سالم اللهيبي



بسم الله الرحمن الرحيم

# مملكة جورجيا

# في العصور الوسطى

## دراسة في نشأتها وعلاقاتها الخارجية

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية ( 2014/9/4361 )

اللهيبي، فتحي سالم

مملكة جورجيا في العصور الوسطى/ فتحي سالم اللهيبي . - عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع، 2014

( ) ص

ر.إ. : ( 2014/9/4361 ).

الواصفات:/ جورجيا// العصور الوسطى

❖ تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



ISBN 978-9957-96-057-5






تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
تلفاكس : 5353402 6 962+
خلـــوي : 95667143 7 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
E-mail: darghidaa@gmail.com

# مملكة جورجيا

# في العصور الوسطى

## دراسة في نشأتها وعلاقاتها الخارجية

تأليف الدكتور

**فتحي سالم حميدي اللهيبي**

الطبعة الأولى

2015 م — 1436 هـ

# الإهداء

إلى

إلى من قال الله تعالى في حقهما

((وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً))

أمي وأبي

إلى أعز الناس في حياتي أخوتي وأخواتي

إلى ولدي سالم وخضر الذين احسبهما عند الله شهيدين

أهدي هذا العمل المتواضع

# الفهرس

## المقدمة

من الثوابت التي لا يمكن إنكارها أن لكل أمة من الأمم تأريخاً خاصاً بها، يعتمد على أصول تلك الأمة، فالتأريخ هو الأصول، وان ضاعت الأصول ضاع التأريخ، ولكي لا نضيع في متاهات التأريخ لابد من إتباع منهج دقيق في دراسة حقبه المختلفة، والأصقاع التي مثلت مسرحاً للأحداث السياسية التي كان لها دورٌ كبيرٌ ومؤثرٌ في التأريخ السياسي والحضاري والاقتصادي.

اشتملت هذا الكتاب على العلاقات السياسية لمملكة جورجيا الواقعة في الجزء الغربي من آسيا في بلاد القوقاز تحديداً، عند الحد الفاصل بين غربي آسيا وشرقي أوربا، لذا فهي تقع في الجهة المقابلة لأوربا وتشمل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز، وتتمتع بحدود طبيعية - جبلية - من الجهة الشمالية والجنوبية، في حين تطل على البحر الأسود من جهتها الغربية، وتمتاز حدودها الشرقية بأنها حدود مفتوحة، ومنها تعرضت للعديد من الغزوات الخارجية عبر التأريخ، أما موقعها في الوقت الحاضر فيحدها كل من تركيا وأرمينيا من الجهة الجنوبية، وأذربيجان من الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية، أما جهتها الشمالية الشرقية فيحدها كل من الداغستان والشيشان، في حين تشترك حدودها الشمالية مع كل من بلغاريا وأوستيا الشمالية وبلاد الشركس، وتطل على البحر الأسود من جهتها الغربية.

شكلت مملكة جورجيا جزءاً من مناطق نفوذ الدولة العربية الإسلامية في العصور الوسطى، وكانت في حركة تأثير وتأثر بالأوضاع السياسية التي عمت المنطقة بشكل عام والدولة العربية الإسلامية بشكل خاص، وعلى الرغم من كثرة ما كتب عن تأريخ الدولة العربية الإسلامية وعلاقاتها الخارجية والجماعات العرقية التي سكنت ضمن حدودها، فقد ظلَّ تأريخ مملكة جو رجيا يكتنفه الغموض نوعاً ما باستثناء بعض النصوص التي أوردتها المصادر العربية الإسلامية، وذلك بحكم ارتباطها بالأوضاع السياسية العربية،

فضلاً عن المعلومات المتناثرة التي أوردتها المصادر الأجنبية المعربة وغير المعربة، ويرجع سبب ذلك الغموض إلى قلة المصادر الأولية المتخصصة التي تناولت تأريخ المملكة أولاً، وندرة المحقق منها ثانياً، إذا ما قارناه بما تناولته المصادر والمراجع من معلومات عن الدول والممالك المعاصرة لها، فضلاً عن عزوف الباحثين عن دراسة تلك المملكة واهتمامهم بدراسة مناطق معينة، تقع ضمن نطاق الدولة العربية الإسلامية مباشرةً كالعراق ومصر وبلاد الشام والجزيرة وغيرها من المناطق ثالثاً في حين تحتاج هذه المناطق الواقعة على أطراف الدولة العربية الإسلامية إلى دراسات أكاديمية وافية لما لها من دور مؤثر في تأريخ المنطقة.

وتعد المنطقة التي تقع فيها مملكة جورجيا من المناطق التي شغلت الدولة العربية الإسلامية كثيراً، بسبب ما خلقته من متاعب ومصاعب، نتيجة اختلاف الأجناس والأديان فيها، ولاسيما بعد أن بدأت تستقل تحت حكم الأسرة البقراطية الإقطاعية القديمة، وهي ذات أصل ارميني وفرع من الأسرة البقراطية الحاكمة في أرمينيا الكبرى، فتمادى أمراؤها في الإغارة على الأراضي الإسلامية المجاورة، وقد أدى استفحال أمرهم إلى الاعتراف بهم كمملكة مستقلة في سنة 272هـ/ 885م من الخلافة العباسية والإمبراطورية البيزنطية، ولا تخضع للخلافة إلا بشكل اسمي، إلا أنها كانت منذ البداية متذبذبة الولاء بين العباسيين والبيزنطيين، وبحسب ما تقتضيه مصلحتها الخاصة، وما تتطلبه أوضاعها السياسية.

لقد سعى الأباطرة البيزنطيون من أجل وضع أيديهم على كل من جورجيا وأرمينيا وما جاورهما من بلاد القوقاز، إذ إنهم عدوها بمثابة القنطرة التي تربط ما بين الشرق والغرب، فقد كانت هذه البلاد موضع نزاع بين الفرس والروم في السابق، ومن ثم المسلمين والبيزنطيين فيما بعد، إذ ازداد دورها في العصور العباسية المتأخرة، حيث شهدت فيها الدولة العربية الإسلامية تغيرات سياسية وحضارية وبشرية، إثرَ الغزو الصليبي والمغولي لأراضيها، وإذ ما أمعنا النظر جيداً في الدور المهم الذي أدتّه تلك المملكة من خلال البحث الدقيق في علاقاتها السياسية مع القوى المجاورة وغير المجاورة

الإسلامية منها وغير الإسلامية، فإننا نلحظ بشكل جلي الدور الهام الذي أدته كجسر بين الشرق والغرب لوقوعها في منطقة التخوم من ناحية، فضلاً عن محاولاتها التآمرية مع القوى المعادية للدولة العربية الإسلامية كالصليبيين والمغول، كما أن موقعها الستراتيجي أدى بطبيعة الحال إلى نشوء علاقات متباينة مع قوى مختلفة، يسودها الهدوء تارةً والصراع تارةً أخرى، إذ سعت تلك القوى من اجل فرض السيطرة عليها، فتعرضت لغزوات خارجية على مر العصور.

عاشت مملكة جورجيا زهاء خمسة قرون ابتداءً من سنة 272هـ/ 885م حين اعترف بها كل من الخليفة العباسي والإمبراطور البيزنطي حتى 790 هـ/ 1388م حيث الغزو التيموري، الذي أدى إلى انهيارها، وعاصرت خلالها قوى مختلفة ابتداءً بالعباسيين والبيزنطيين، ومن ثم السلاجقة والإمارات الإسلامية في بلاد القوقاز كالشداديين والشروانيين وأتابكية أذربيجان، فضلاً عن الخوارزميين والمغول والمماليك، فكانت تلك الحقبة من أهم حقب التأريخ الإسلامي، لذا فقد أولت دراستي أهمية كبيرة للعلاقات السياسية للمملكة، نظراً للعلاقة الوثيقة بين الجانب السياسي والعسكري، فقد ارتأيت عدم الفصل بينها من أجل الوصول إلى عرض واضح لتلك العلاقات من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن اغلب العلاقات التي ارتبطت بها مملكة جورجيا مع القوى المعاصرة لها كانت علاقات سياسية وعسكرية امتازت بالطابع العدائي إلا ما ندر منها.

وقد اختص هذا الكتاب بدراسة العلاقات السياسية ضمن تمهيدٍ و أربعة فصول تناول التمهيد دراسة أصل الجورجيين والآراء التي قيلت فيه ذلك، ما تضارب منها وما اتفق، فضلاً عن الموقع الجغرافي للمملكة وأهميته الستراتيجية، لكونه من العناصر الحيوية وعاملاً من أهم العوامل التي أدت إلى الاحتكاك مع القوى المجاورة، وتبيان أهم الأسماء التي أطلقت عليها في المصادر التأريخية المختلفة على مر العصور، فضلاً عن تقديم عرضٍ مبسطٍ للخلفية التأريخية للمملكة حتى تأريخ استقلالها بشكل تام.

واختص الفصل الأول بدراسة مملكة جورجيا في مرحلة التكوين، وتناول أهم الأسر الإقطاعية القديمة في جورجيا كالأسرة البقراطية والاوربلية، وما دار بينهما من



صراع حول تولي السلطة وحكم المملكة، ومن ثم دراسة علاقاتها السياسية مع القوى التي عاصرتها في تلك الحقبة كالعباسيين والبيزنطيين والأرمن، وما كان لهم من دور كبير ومواقف حول قيامها.

وتناول الفصل الثاني دراسة العلاقات السياسية لمملكة جورجيا مع الإمارات الإسلامية التي قامت في بلاد القوقاز، كالشداديين والشروانيين واتابكية أذربيجان، إذ قامت بينهم علاقات امتاز اغلبها بالطابع العدائي، والصراع العسكري المستمر باستثناء بعض الفترات القصيرة التي سادها الهدوء والفتور، بسبب ما كان يعانيه كلا الطرفين من ظروف سياسية سيئة.

وتضمن الفصل الثالث العلاقات السياسية للمملكة في عصر القوة والازدهار(431 - 609هـ/ 1036-1212م)، ولفهم تلك العلاقات بشكل أكثر وضوحاً فقد آثرت تقديم الحديث عن أوضاعها الداخلية آنذاك، ومن ثم قَسّمنا علاقاتها إلى قسمين الأول اختص بدراسة علاقاتها السياسية مع القوى الإسلامية، بينما تناول الفصل الثاني علاقاتها مع القوى غير الإسلامية كالصليبيين.

أما الفصل الرابع فقد تناول دراسة العلاقات السياسية للمملكة في عصر الضعف والانحلال (609-790هـ/ 1206-1388م) ابتداءً بدراسة الأوضاع الداخلية التي أدت إلى ضعف المملكة وانحلالها السياسي، ومن ثم دراسة علاقاتها السياسية مع القوى الخارجية الإسلامية وغير الإسلامية، التي كانت سبباً مباشراً في انهيار المملكة، إذ تم تناولها بحسب القدم التأريخي لكل منها، فتناولت علاقتها بالخوارزميين والمغول والمماليك، التي امتاز معظمها بالطابع العدائي، والحروب التي ألحقت الدمار بها، واختتم الفصل بالغزو التيموري لمملكة جورجيا في سنة 790هـ/ 1388م، الذي اكتسحها بشكل كامل، وكان سبباً مباشراً في إضعافها، حيث انقسمت إلى عدة ممالك صغيرة، وضاع استقلالها بعد أن فقدت وحدتها السياسية.

## ثانياً: عرض وتحليل المصادر

### 1 ـ المصادر الأولية

#### أ ـ كتب التواريخ العامة

امتازت كتب التأريخ العام التي تم تناولها أثناء عملية البحث بأهمية كبيرة من خلال تحديد طبيعة المتغيرات السياسية والحضارية التي طرأت على المنطقة، وأسهمت بشكل مباشر في قيام مملكة جورجيا، ونشوء علاقاتها السياسية مع القوى المعاصرة المجاورة منها وغير المجاورة، ولعل من أهمها كتاب "التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق" لابن سعيد الأنطاكي المعروف بابن البطريق ـ المتوفَى في القرن الرابع الهجري ـ، إذ تكمن أهمية الكتاب في كونه يمثل وجهة نظر سريانية، واتبع المؤرخ فيه أسلوب التسلسل الزمني، كما يمكن عدُّهُ في الوقت ذاته من مصادر دراسة التأريخ البيزنطي، وانفرد بروايات لم تذكرها المصادر الأخرى، وخاصةً فيما يتعلق بالعلاقات الجورجية – البيزنطية في الحقبة المبكرة من تأريخ المملكة، التي مثلت عصر تكوينها ابتداءً بالأمراء البقراطيين الأولين واعتراف الإمبراطور البيزنطي والخليفة العباسي بهم، وحتى حقبة الوحدة بين الأراضي الجورجية والابخازية، كما أُفيد من كتاب "الكامل في التأريخ" لعز الدين ابن الأثير (ت 630هـ/ 1232م)، الذي عاصر الحقبة التي قامت فيها المملكة، وخاصةً في جزءيهِ الحادي عشر والثاني عشر اللذين أورد فيهما معلومات قيمة عنها، وفيما يتعلق بعلاقاتها السياسية مع القوى الإسلامية كالشداديين والشروانيين واتابكية أذربيجان والسلاجقة والخوارزميين، فضلاً عن إيراده تفاصيل دقيقة عن بعض الجوانب الاجتماعية كحادثة زواج مملكة جورجيا التي استغربها ابن الأثير كثيراً.

أما مؤلفات ابن العبري (685هـ/ 1286م) ككتاب "تأريخ مختصر الدول"، وكتاب "تأريخ الزمان" وكتاب "تأريخ الدول السرياني" فهي تلي كتاب الكامل في التأريخ من حيث التسلسل الزمني، وألفت تلك الكتب باللغة السريانية، ومن ثم ترجمت إلى اللغة العربية، لذا فان أهميتها تنبع من كونها تمثل وجهة نظر سريانية، فقد أورد روايات

مفصلة انفرد في قسمٍ منها، وأورد معلومات عن معاونتهم المغول في السيطرة على بلاد الشام، ومما يزيد في أهمية رواياته انه كان معاصراً لتلك الحقبة، كما أفدت من كتاب "المختصر في أخبار البشر" لأبي الفدا (732هـ/ 1331م)، الذي يُعدُّ من المصادر المهمة لكونه شاهد عيان على أحداث العصر وأورد روايات تأريخية مهمة عن غزوات المغول والجورجيين لبلاد الشام وعلى الرغم من أن هذا الكتاب لا يتعدى كونه ملخصاً لكتاب "الكامل" لابن الأثير، لكن تظهر أهميته بعد سنة 630هـ/ 1232م، إذ أصبح جزءاً مكملاً لكتاب "الكامل في التأريخ" وخاصة انه اشترك بنفسه في رد الغارات المغولية على بلاد الشام.

أما كتاب "كنز الدرر وجامع الغرر" لابن أيبك الدواداري (توفي في القرن الثامن الهجري)، فقد اعتمدت على جزئه السابع المسمى "الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية" إذ يعد من المصادر التأريخية المهمة، لما أورده من معلومات قيمة انفرد في ذكر قسم منها وعلى الرغم من أن قسماً من رواياته كانت نقلاً عن ابن واصل وسبط ابن الجوزي وأبي الفدا وقد تسنى لنا الاستفادة منه بشكل كبير، إذ قدم روايات قيمة عن العلاقات الجورجية المغولية والعلاقات الجورجية المملوكية، ومن المصادر التأريخية القيمة التي أغنت الأطروحة كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" المعروف بـ "تأريخ ابن خلدون" لعبد الرحمن ابن خلدون الحضرمي (ت 808هـ/ 1405م)، ومما يزيد في قيمته العلمية لموضوع الكتاب انه كان معاصراً لتلك الحقبة المتأخرة للمملكة، وخاصةً الجزء الخامس منه، وكذلك الحال بالنسبة للعديد من المصادر الأخرى ككتاب "عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان" لبدر الدين العيني (ت855 هـ/ 1451م)، فضلاً عن كتب التأريخ العام الأخرى التي تم الاعتماد عليها والتي زادت من أهمية الكتاب، وسيتم ذكرها في ثبت المصادر والمراجع، إن شاء الله تعالى.

## ب ـ كتب تأريخ الدول والإمارات

اقتصر هذا النوع من المصادر التأريخية على التخصص في ذكر الدول والإمارات، مّا يعطي الفرصة للباحثين في مجال تأريخ العلاقات السياسية لمعرفة المعلومات بشكل أكثر تفصيلاً، وبذلك يتسنى دراسة العلاقات السياسية لمملكة جورجيا مع دول معينة، وبشكل أكثر تعمقاً من السرد التأريخي العام من خلال استخدام تلك المصادر، ومن هذه المصادر كتاب "تأريخ الأرمن" لخوريناتسي (توفي في القرن الرابع الميلادي) وتكمن قيمة ذلك الكتاب في كونه من اقدم المصادر التأريخية التي تم الاعتماد عليها من ناحية، وكون مؤلفه من أصل أرمني، وهم من الذين عدتهم المصادر أبناء عمومة للجورجيين، وهذا ما سنوضحه أثناء الحديث عن أصل الجورجيين، وقد أفدنا منه ضمن هذا المبحث تحديداً. كما أفدت من مصدر مهم من كتب الدول والإمارات ألا وهو كتاب "أخبار الدولة السلجوقية" للحسيني (ت575 هـ/ 1179م)، وخاصةً في مبحث العلاقات الجورجية السلجوقية، إذ أورد فيه معلومات ذات قيمة تأريخية كبيرة أغنت المبحث وعملت على تعضيد الدراسة.

أما كتاب" الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية "لأبي شامة (ت 665هـ/ 1266م)، فقد تضمن روايات عديدة عن علاقة مملكة جورجيا بالأيوبيين خلال عهد صلاح الدين وخلفائه، وتكمن أهمية ذلك الكتاب في كونه ينقل روايات مفقودة لكل من القاضي الفاضل (ت596 هـ/ 1199م) وابن العماد الكاتب (ت 597هـ/ 1200م)، ويعد كتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" لابن واصل (ت 697هـ/ 1297م) على قدر كبير من الأهمية في دراسة العلاقات الجورجية - الأيوبية، وعلى الرغم من كون المصدر اختص بدراسة تأريخ الدولة الأيوبية، إلا أن رواياته امتازت بالموضوعية والحياد، وأنها ذات مصادر أصيلة، حيث اعتمد على كل من ابن العماد الكاتب وابن الأثير وأبي شامة في نقل رواياته عن تأريخ تلك الدولة.

كما تمت الإفادة بشكل كبير من كتاب" جامع التواريخ "لرشيد الدين الهمذاني (ت 718هـ/ 1318م)، من خلال الروايات التأريخية المهمة التي أوردها عن

علاقة الجورجيين بالمغول، ومحاولات التحالف بينهما ضد الدولة المملوكية في مصر، وتزداد أهمية هذا الكتاب في كون المؤلف مؤرخاً رسمياً للمغول، لذا فهو يضفي أهمية على المبحث الخاص بالعلاقات الجورجية المغولية والجورجية المملوكية، كذلك الحال بالنسبة لكتاب "السلوك لمعرفة دول الملوك" للمقريزي (ت 845هـ/ 1441م) فله أهمية كبيرة، وخاصةً في الفصل الذي أفردناه للعلاقات الجورجية – المغولية والجورجية – المملوكية، إذ قدم معلومات مفصلة عن التعاون الجورجي المغولي الأرمني لاحتلال بلاد الشام لأكثر من مرة، وانفرد في بعض المعلومات التي أوردها عنها، ومدى الخسائر التي ألحقها بهم المماليك، ومقادير الجزية التي فرضها السلاطين المماليك على ملوك جورجيا بشكل دقيق، فضلاً عن كتبه الأخرى التي افدنا منها في بحثنا ككتاب "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار".

أما كتاب "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة" لابن تغري بردي (ت874 هـ/ 1469م) فعلى الرغم من كونه من المصادر التاريخية المتأخرة، إلا انه حمل في طياته معلومات قيمة انفرد بها دون غيره من المصادر التاريخية، حيث أفادني في دراسة العلاقات الجورجية مع دولة المماليك البحرية، ولاسيما في عهد السلطان الظاهر بيبرس والمنصور قلاؤون. كما اعتمدت على العديد من المصادر التي تختص بدراسة تأريخ الدول والإمارات ، والتي لا يتسنى لي ذكرها ضمن عرض المصادر وتحليلها، بل سنذكرها ضمن ثبت المصادر والمراجع.

### ج - تواريخ المدن

ظهر العديد من المؤرخين العرب المسلمين، الذين دونوا تواريخ المدن التي أدَّت دوراً كبيراً في الأحداث السياسية، وخاصةً في حقبة العصور الوسطى، ولاسيما أن ابن القلانسي (ت 555هـ/ 1160م) صاحب كتاب "ذيل تأريخ دمشق" الذي يعد من مصادر التأريخ المحلي المهمة، إذ مدنا بمعلومات قيمة عن علاقة مملكة جورجيا وتكمن أهمية الكتاب في كون مؤلفه من رجال الدولة الرسميين، وتولى منصب رئاسة المدينة، فتسنى له الاطلاع على الوثائق وخفايا الأمور، فضلاً عن نقله لنا جزءاً من كتاب "تأريخ آمد

ومیافارقین" لابن الأزرق الفارقي (ت578 هـ/ 1183م) ضمن حواشي كتابه، لاسيما انه مفقود ولم يصلنا منه إلا جزءٌ يسيرٌ، والمسمى "التاريخ الفارقي"، إذ مدنا بمعلومات قيمة فهو يستمد قيمته من عدة أمور كونه معاصراً لقيام مملكة جورجيا، فضلاً عن كون مؤلفه قد قام بزيارة لمملكة جورجيا، ودخل في خدمة ملكها ديمتري، ورافقه أثناء حملته التي قادها من أجل تأمين بلاده، فضلاً عن مصادر أخرى ككتاب "بغية الطلب في تأريخ حلب" لابن العديم (ت660 هـ/ 1261م).

### د ـ كتب السير والتراجم

تعد هذه الكتب من المصادر التأريخية الحيوية، إذ إن مؤلفيها كانوا شهود عيان على كثيرٍ من الحوادث التي دونوها، ومن أبرزها كتاب "أسدُ الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير (ت630 هـ/ 1232م)، وتناول ابن الأثير سير الصحابة الأجلاء وتراجمهم، ورتبها بحسب الحروف الهجائية، كما كان لكتاب "الذيل على الروضتين" لأبي شامة (ت665هـ/ 1266م) الذي قدم فيه تراجم لأبرز شخصيات القرنين السادس والسابع الهجريين أهميته في إغناء الكتاب، ويعد كتاب "سيرة جلال الدين منكبرتي" للنسوي (ت639هـ/ 1241م) من المصادر المهمة التي أغنت الكتاب بشكل كبير، وخاصةً في مبحث العلاقات الجورجية – الخوارزمية والعلاقات الجورجية – السلجوقية والجورجية – المغولية، إذ إنه تناول سيرة خوارزمشاه جلال الدين منكبرتي بشكل مفصل، واتخذ كتاب "وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت681 هـ/ 1282م) مكانة بارزة من بين المصادر التأريخية التي افدنا منها بشكل وافر، وامتاز بسهولة الاستخدام لبساطة الأسلوب الذي أورد فيه التراجم، فقد تمت الاستفادة منه في تعريف بعض التراجم التي وردت في سياق الحديث وفي أماكن متفرقة من الكتاب .

أما كتاب "الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر" لابن عبد الظاهر (ت692هـ/ 1294م) فإنه من الكتب المهمة التي فصلت الحديث عن سيرة الملك الظاهر بيبرس، واستفدت منه في مبحث العلاقات الجورجية المملوكية، وخاصةً في حادثة أسر ملك جورجيا في سنة 672هـ/ 1273م، ومن كتب التراجم المهمة التي اعتمدت عليها في

دراستي كتاب "العبر في خبر من غبر" للذهبي (ت 748هـ/ 1347م)، فضلاً عن كتبه الأخرى، التي لا تقل أهمية عن كتاب العبر ككتاب (تاريخ الإسلام) وكتاب "سير أعلام النبلاء".

## هـ ـ كتب الجغرافية والرحلات

تكمن أهمية الكتب الجغرافية في تقديمها وصفاً جغرافياً لبلاد الكرج "مملكة جورجيا" وشمل ذكر مدنها الرئيسة ومنافذها البحرية، وقد أفيد منها في تحديد مواقع كثير من الأماكن.

ولعل من أهم الكتب الجغرافية كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي (ت626هـ/ 1228م)، الذي عاش في حلب وقدم في مؤلفه معلومات جغرافية مهمة عن الموقع الجغرافي للمملكة، وعن أهميتها الستراتيجية، فضلا عن تقديمه معلومات عن نسب الجورجيين (الكرج)، ويليه من حيث الأهمية كتاب "مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع" لابن عبد الحق (ت 739هـ/ 1338م)، الذي استفدت منه في الكثير من المعلومات الجغرافية، من حيث جغرافية البلاد، وتحديد مواقع الكثير من الأماكن. كما تمت لي الاستفادة من كتب أخرى مختلفة التخصص، قام مؤلفوها بذكر معلومات جغرافية مهمة ككتاب "صبح الأعشى في صناعة الانشا" للقلقشندي (ت 821هـ/ 1418م) فهو يذكر معلومات جغرافية من حيث تحديد الأماكن والمواقع، كذلك الحال بالنسبة لكتاب ابن فضل الله العمري (ت 649هـ/ 1251م) الموسوم بـ "التعريف بالمصطلح الشريف".

## و ـ المراجع الحديثة

اضافت المراجع الحديثة مادة متنوعة في النواحي السياسية والعسكرية والجغرافية، وتكمن أهميتها في إيراد معلومات عن تأريخ المملكة وبعض التحليلات والآراء والاستنتاجات، وخاصة ان هذه المراجع تنقل لنا معلومات قيمة وروايات تاريخية مهمة من مصادرها الأصلية كالبيزنطية والجورجية والأرمنية التي مثلت وجهة نظر غير





إسلامية، لذا فقد عالجت الثغرة التي نجمت عن عدم توفر مثل هذه المصادر، ولاسيما ان المصادر الإسلامية اقتصرت على إيراد الروايات بقدر تعلق الأمر بالجانب الإسلامي، ولعل من أهم هذه المراجع الكتب المتخصصة في مجال مادة مملكة جورجيا كتاب (تأريخ القوقاز) ليوسف عزت والذي تناول فيه دراسة تأريخ أهم الشعوب القوقازية، وأفرد في كتابه فصلاً عن الجورجيين (الكرج) من حيث أصولهم وطباعهم وطبيعة بلادهم وموقعها الجغرافي، إلا أن ما يؤخذ على هذا المرجع، عدم إيراده التفاصيل بشكل دقيق، أما كتاب "تأريخ الأمة الأرمنية" لاستارجيان، الذي أورد فيه معلومات قيمة عن علاقة الجورجيين بالأرمن، فتمت لي الاستفادة منه في المباحث الأولى من الدراسة، كذلك الحال مع كتاب "الأرمن عبر التأريخ" لمروان المدور، الذي تناول فيه دراسة تأريخ الأرمن، وتدوينه بحسب التسلسل الزمني، وانفرد فيه بذكر معلومات عن أصل الجورجيين والأرمن والعلاقة التي تربطهم، ولكن ما يؤخذ على هذه المراجع أن معلوماتها مختصرة.

ويُعدُّ كتاب "أرمينية في التأريخ العربي" لأديب سيد من المراجع المهمة بالنسبة للجورجيين إذ يتناول فيه مدى العلاقات بين الجورجيين والأرمن من خلال تناول الأسرة البقراطية التي حكمت كل من المملكتين، ومن الدراسات التي اعتمدنا عليها في بحثنا رسالة الدكتور صلاح الدين أمين طه "الحياة العامة في أرمينيا" والتي قدم فيها معلومات قيمة عن الأسرة البقراطية التي حكمت كلاً من جورجيا وأرمينيا، فضلاً عن أفادتي منها في تحديد بعض الأماكن، والحديث عن جورجيا (بلاد الكرج أو كورة جرزان) من الفتح العربي الإسلامي وحتى نهاية العصر العباسي الأول. كما قدم الدكتور علاء محمود خليل قداوي في دراسته الموسومة بـ "المغول في الموصل والجزيرة"، التي أشار فيها إلى دور الجورجيين إلى جانب كل من المغول والأرمن في غزو الأراضي الإسلامية وإسقاط الخلافة العباسية في سنة 656هـ/ 1258م، وعقدهم المحالفات مع المغول لغرض احتلال بلاد الشام والاستيلاء على بيت المقدس، فضلاً عن دراسة حسام الدين علي غالب النقشبندي "أذربيجان دراسة في أحوالها السياسية والحضارية" التي

استفدنا منها أثناء دراسة علاقة مملكة جورجيا باتابكية أذربيجان، ومـن المراجع الأخـرى التي أغنت الدراسة بمعلومات قيمة وتحليلات علميـة كتـاب (تـاريخ الحـروب الـصليبية) لستيفن رنسيمان، الذي قدم معلومات عن مملكة جـورجيا، وخاصـةً أثنـاء الحـديث عـن دور الملكـة تمـارا في مـساعدة أبنـاء شـقيقها مـن البيـت الكـومنيني في إقامـة إمـارتهم في طرابزون، بعد سقوط القسطنطينية على يد الصليبيين فـي سنة 601هــ/ 1204م، ودورهـا في الحروب الصليبية، فضلاً عن كتابه الآخر (الحضارة البيزنطية).

ويعد كتاب (الظاهر بيبرس) للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور مـن المراجع المهمـة الـتي أفـادت الكتـاب، فـضلا عـن كتبـه الأخـرى ككتـاب (الحركـة الـصليبية) و(العـصر المماليكي في مصر والشام)، كما قدمت الدكتورة عفاف سـيد صـبرة في كتابهـا (دراسـات في تأريخ الحروب الصليبية) معلومات قيمة عن اصـل الجـورجيين وأوضـاعهم الـسياسية على مر حقبة الحروب الـصليبية، فـضلاً عـن كـثير مـن المراجـع الأخـرى ذات الأهميـة ككتاب (الدولة البيزنطية) و(المغول) للبـاز العـريني وكتـاب (الـسلاجقة) لتمـارا تـالبوت رايس وغيرها من المراجع الأخرى التي تمت لي الاستفادة منها في هذه الدراسة التي سـيتم ذكرها في ثبت المصادر والمراجع.

وتعد الكتب الأجنبية من المراجع التي أغنت الدراسة بمعلومات ذات قيمـة كبيـرة، لأنها مثلت وجهـــت نظـر غربيــة. ومـن أبـــرزها بــل وأهمــها مؤلــفات المــؤرخ الروســي Minorsky , V.، الـذي أسـهب في دراسـة تـأريخ هـذه المنطقـــة أي بـلاد القوقاز ككتــــاب (Studies In Caucasian History) والكتــاب الاخـر الـذي يختص بدراسة تاريخ بلاد شـروان وهـو(A history Of Sharvan And Darband In The 11th -19th Centuries) فضلاً عن بعض المقـالات في دائـرة المعـارف الإسـلامية كمـادة ( Al Kurdj)، وكتــاب (Armenia Cradle of Civilization) لــ David Marshall Lang.

أما عن تأريخ الأرمن وعلاقاتــهم السياسية بالجورجيـــن والشعوب الأخــــرى وحضـــارتهم كتـاب (The Armenians ) ل Der Nersessia، واعتمـدنا كـذلك على





كتاب (A History of the Crusades) لـــ Setton الذي اختص بدراسة تـاريخ الحـروب الصليبية، فضـــلاً عن كتـــاب( A History Des Croisade et du Royaume franc )

لـــ Crousset، وعن تـأريـخ المغول وعلاقـــــاتهم الـسياسية بالجورجيـــن اعتمدنـــا علـى كتــــاب ( The History of the Mongols from 9th to 19th Century) لــ Howorth ، وعـن علاقـة الجـورجيين بالإمبـراطوريـة البيزنطيـة كتـاب ( History of Byzantine state) ل Ostrogorsky وكتــــاب ( The Varangians Of Byzantinum) لــ Benedikz, وكتـاب (Cambridge History Of Iran) الـذي ضـم العديد من المقالات لمؤرخين غـربيين ومـن جنـسيات مختلفـة، وموسـوعة(( Cambridge Medieval History ، التـي حـوت على مقـالة مهمـة لـــــ Toumanoff الموسـومة (Armenia And Georgia)، فضلاً عن مراجع أجنبية أخرى ورد ذكرها في قائمة المراجع.

واعترافا مني بالجميل لا يـسعني إلا أن اقـدم خـالص الـشكر والامتنـان لأسـتاذي الفاضل الدكتور علاء محمود قداوي ، والدكتور ناصر عبد الرزاق المـلا جاسـم لمـا بـذلاه من جهد، كما أتقدم بالـشكر الجزيـل للأسـاتذة الأفاضـل كافـة في قـسم التـأريخ بكلـيتي الآداب والتربية، لما أبدوه من ملاحظات علمية قيمة، وأخص منهم الأسـتاذ الـدكتور طـه خضر عبيد الذي اسهم في ترجمة بعض النصوص التاريخية من الكتب اليونانيـة المتـوفرة في مكتبته الخاصة، والدكتور موفق الجوادي لتقديمه بعض المراجـع الـتي أغنـت الأطروحـة، ولا يفوتني تقديم الشكر الجزيل للدكتور علي فاضل الشمري الـذي بـذل جهـداً طيبـاً في تقويم الأطروحة لغويـاً، فضـلاً عن منتسـبي مكتبـة الآداب والمكتبـة المركزيـة في جامعـة الموصـل والمتحـف والأوقـاف والمكتبــة العامــة في محافظـة نينـوى والمتحـف والمركزيـة بجامعتي بغداد والمستنصرية لتسـهيلهم توفير المصـادر والمراجـع والدراسـات المعتمـدة في

الكتاب، كما أتقدم بالشكر والامتنان لزميلي الفاضل الدكتور عيسى محمد صالح، وزملائي من طلبة الدكتوراه والماجستير في كلية الآداب قسم التأريخ، الذين مدوا لي يد العون كلما احتجتها، وللشخصيات الأرمنية التي قدمت لي المساعدة من خلال توفير بعض مصادر التأريخ الأرمني، وقيامهم بترجمة بعض نصوصها ومنهم الصيدلاني زهراب هوسبيان ولكل ذي فضل شكرا جزيلا والله ولي التوفيق.

# الفصل الأول

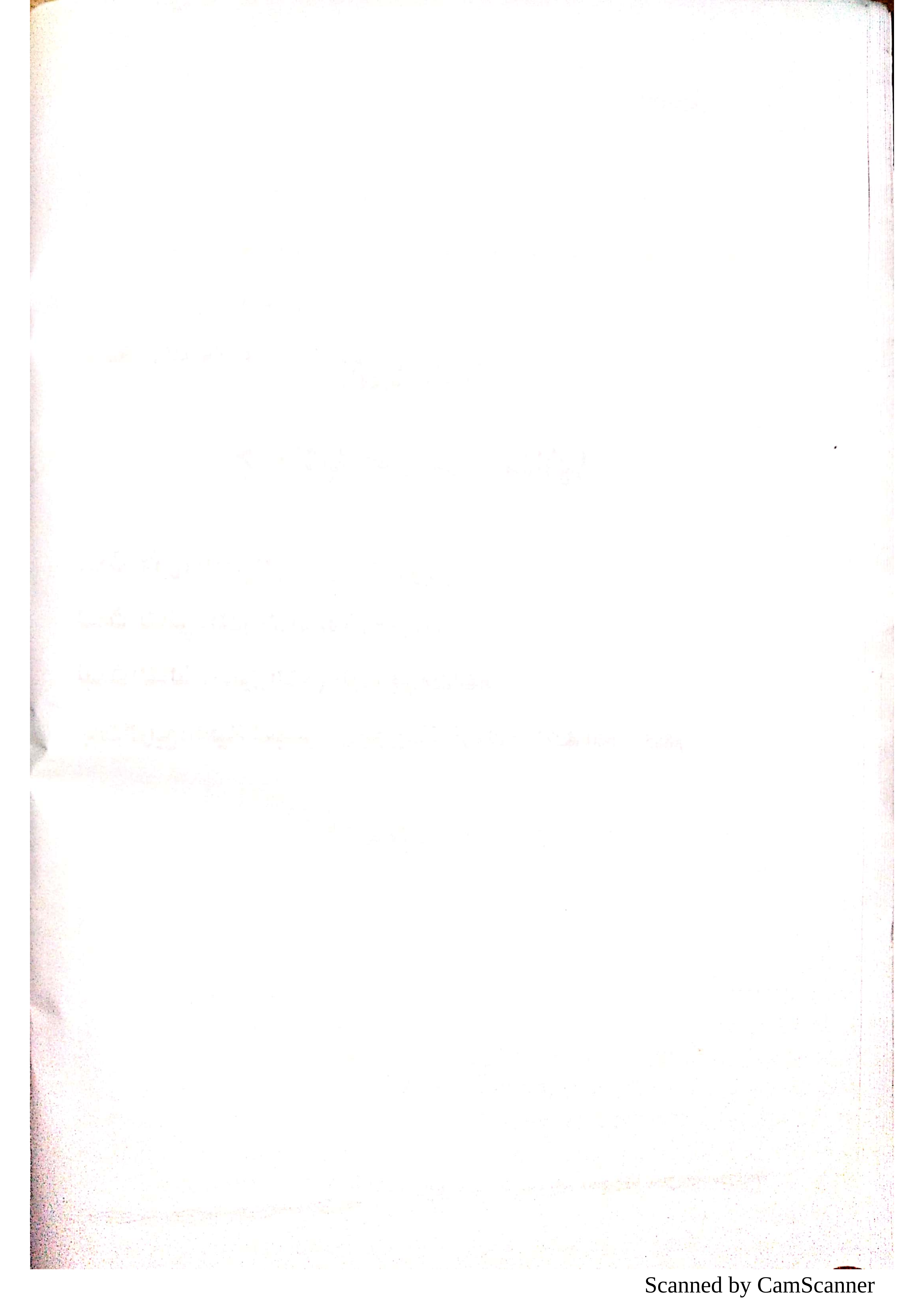
# جغرافية جورجيا وسكانها

المبحث الأول : الموقع الجغرافي والتضاريس

المبحث الثاني : المدن الرئيسة في جورجيا

المبحث الثالث : أصول الشعب الجورجي وديانته

المبحث الرابع : الحياة السياسية في جورجيا للفترة (19 - 272هـ/640 - 885م)



# المبحث الأول

## الموقع الجغرافي والتضاريس

يعد الموقع الجغرافي من أهم العوامل التي تساعد على فهم التأريخ قياساً بالعوامل الأخرى كالسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية، وكذلك فهو من اقل العوامل عرضة للتغيير نسبة إلى العوامل السابقة الذكر[1] وذلك للدور الذي يؤديه في تحديد مصير أي دولة أولاً، وأهميته في فهم تطورات التأريخ السياسي لأي دولة ثانياً لأن هيئة الأرض وتضاريسها كالجبال والسهول والمحيطات والبحار والأنهار تبقى ثابتة في أماكنها دون أن تتغير .[2]

ولفهم الدور الكبير الذي أدته جورجيا في مجريات الأحداث التي مرت بها منطقة القوقاز [3] بشكل خاص وآسيا بشكل عام وما بلغته من قوة في حقبة العصور الوسطى لابد من التطرق إلى موقعها الجغرافي.

---

(1) لم تحدد المصادر التأريخية القديمة حدود مملكة جورجيا أو تضاريسها بشكل دقيق، وان ذكرت شيئاً عنها فانه يكون بشكل عام، وذلك لعدم وجود الحدود كما في وقتنا الحاضر، إذ إن حدود كل دولة من الدول آنذاك كانت تتسع كلما كانت قوية، وتنكمش في حالة ضعفها، وبما أن العامل الجغرافي من العوامل الثابتة التي لا تتغير، وان تغيرت فان تغييرها يكون قليلاً وواضحاً، لذا فقد اعتمدنا على المراجع الجغرافية والتأريخية الحديثة، من أجل تقديم صورة واضحة عن طبيعة هذه المملكة.

(2) صالح زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا الغربية وموقف القوى الدولية منها (بيروت: 1996م)، ص35.

(3) بلاد القوقاز: هي المنطقة التي تمتد من شمال غربي البحر الأسود إلى الجنوب الشرقي من بحر قزوين ويبلغ طول هذا الامتداد 1200كم وتبلغ مساحتها 324,200كم2. للمزيد من التفاصيل عن بلاد القوقاز. ينظر: محمود شاكر، التأريخ الإسلامي (بيروت: 1994م): 21 / 198-224.

## أولاً : موقع جورجيا الجغرافي وتسميتها

تقع جورجيا في الجزء الشمالي الغربي من آسيا في منطقة القوقاز[1] عند الحد الفاصل بين غرب آسيا وشرق أوربا، أي أنها تقع في الجهة المقابلة لأوربا [2] وتشمل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القوقاز الكبير[3] ، وتتمتع بحدود طبيعية منيعة – سلاسل جبلية عالية – من الشمال والجنوب، وتطل على البحر الأسود من الجهة الغربية، إلا أن حدودها الشرقية مفتوحة ومنها تتعرض للغزوات الخارجية على مر القرون .[4] أما موقعها في الوقت الحاضر[5]، فيحدها كل من تركيا وأرمينيا من الجهة الجنوبية [6] وأذربيجان من الجهة الشرقية والجنوبية الشرقية، أما من الجهة الشمالية الشرقية فيحدها كل من داغستان والشيشان بينما تشترك حدودها الشمالية مع أوستيا الشمالية وبلغارية وبلاد الشركس [7] وتبلغ مساحتها 70,000 كم$^2$ .[8]

أما جورجيا تاريخياً فقد مثلت أحد أقسام أرمينيا الكبرى منذ نشوئها في عصر ما قبل الميلاد وحتى حقبة الفتح العربي الإسلامي لأرمينيا، حيث أصبحت جورجيا أحد

---

(1) سولوفيوف وآخرون، جغرافية الاتحاد السوفيتي (موسكو: 1984م)، ص175؛ سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي (موسكو: د/ ت)، ص 254؛

V. Minorsky , Art:" Al Kurdj " , In Enc. Of Islam (London: 1981): 5 /486.

(2) مسعود الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية (بيروت: د/ م): 8/ 17.

(3 (C. Toumanoff, Armenia And Georgia,In Cam. Med. His.(Cambridge:1953):4 /594.

(4) ميخائيلوف، في ربوع الاتحاد السوفيتي (موسكو: 1974)، ص334.

(5) لكي يتسنى للقارئ الكريم معرفة الموقع التأريخي لمملكة جورجيا، فقد ارتأينا تحديد موقعها الحالي.

(6) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص254؛ جي. بي. كول، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ترجمة: وفيق الخشاب (الموصل: 1991م)، ص302.

(7) الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية: 8/ 17.

(8) شاكر، التأريخ الإسلامي: 21 / 219.



كورها الأربع على وفق التقسيم الإداري الجديد الذي اتبعته الدولة العربية الإسلامية [1] وأطلق عليها تسمية كورة جرزان [2] إلا أنها أخذت تثبت حدودها، وتتجه نحو الاستقلال في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وضمت منطقة ابخازية[3] الواقعة على الساحل الشمالي الشرقي للبحر الأسود إلى دائرة نفوذها لتصبح جزءاً من جورجيا، وبذلك تحدد موقعها الجغرافي بشكل واضح، فكان يحدها من الجهة الجنوبية كل من أرمينيا الكبرى وأذربيجان بينما يحدها من الجهة الشمالية والشمالية الغربية جبال القوقاز[4].

كما تتاخم حدودها الشرقية مع الإمارة الشدادية وبلاد شروان الواقعتين على الساحل الغربي لبحر قزوين وتطل حدودها الغربية على البحر الأسود [5] .

---

(1) طه، فتح العرب لأرمينية (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ـ جامعة بغداد: 1970م)، ص82 ؛ سيد، أرمينية، ص28.

(2) جرزان: ((جرزان بالضم ثم السكون وزاي والف ونون، آسم جامع لناحية بأرمينية قصبتها تفليس، حكى آبن الكلبي عن الشرقي بن قطامي جرزان وأران، وهما مما يلي أبواب أرمينية، وأران هي أرض برذعة مما يلي الديلم، وهما آبنا كسلوخيم بن لنطي بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ، وقال علي بن الحسين في مروجه ثم يلي مملكة الأبخاز ملك الجرزية قلت أنا وهم الكرج، فيما أحسب فعرب فقيل جرز)). ينظر: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت: د/ت): 2/ 125.

(3) ابخازية: ((أبخاز بالفتح ثم السكون والخاء معجمة وألف وزاي أسم ناحية من جبل القبق (**القوقاز**) المتصل بباب الأبواب، وهي جبال صعبة المسلك وعرة لا مجال للخيل فيها، تجاور بلاد اللان يسكنها أمة من النصارى يقال لهم الكرج ، وفيها تجمعوا ونزلوا إلى نواحي تفليس، فصرفوا المسلمين عنها، وملكوها في سنة 515 هـ/ 1121م، ولم يزالوا متملكين لها، وأبخاز معاقلهم حتى قصدهم خوارزم شاه جلال الدين في سنة 612 هـ/ 1215م، فأوقع بهم واستنقذ تفليس من أيديهم، وهربت ملكتهم إلى أبخاز، ولم يبقَ من بيت الملك غيرها)). ينظر: نفسه: 1/ 64.

(4)عفاف سيد صبرة، دراسات في تأريخ الحروب الصليبية (القاهرة: 1986م)، ص424.

(5) نعيم زكي فهمي، طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب (القاهرة: 1973م)، ص16.

أما فيما يتعلق بالتسميات التي أطلقت على جورجيا، فقد تعددت على وفق أسبابها فأطلق عليها اسم (إيبيريا) في عصر ما قبل الميلاد نسبة إلى اللغة التي تكلم بها السكان وهي اللغة الأيبيرية القوقازية التي ما تزال أصولها غير معروفة [1] وهي تسمية ذات أصل يوناني [2].

كما سميت بـــ (كرجستان) وهي كلمة تعني بلاد القوة والقدرة في اللغة الفارسية[3] وفي الوقت ذاته أطلق عليها المؤرخون المسلمون أسم (جرزان) أو (بلاد الجرزية) نسبة إلى تسمية الجورجيين الذين عرفوا آنذاك بالجرزية [4]. في حين أطلق قسم آخر منهم عليها تسمية (الكرج) [5] أو (بلاد الكرج) نسبة إلى تسمية الكرج التي تطلق عليهم، كما هو الحال بالنسبة إلى تسمية بلاد الأرمن وبلاد الروم وبلاد فارس [6]، فذكر ياقوت الحموي ذلك ((لهم ولاية تنسب إليهم

---

(1) الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية: 8 / 17.

(2) جمال رشيد احمد، لقاء الكرد واللان في بلاد الباب وشروان، مطبعة التربية (اربيل:2001م)، ص36.

(3) يوسف عزت، تأريخ القوقاز، ترجمة: عبد الحميد غالب (القاهرة: 1933م)، ص28 ؛ صبرة،دراسات، ص424 ؛ الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية:8/ 17 ؛ زهر الدين، سياسة الحكومة العثمانية، ص35.

(4)أبو الحسن بن علي بن الحسين المسعودي، التنبيه والإشراف، باعتناء: عبد الله الصاوي (القاهرة:1938م) ص55 ؛ الملك المؤيد إسماعيل بن الملك الأفضل أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر (القاهرة: 1325هـ): 4 / 18 ؛ عماد الدين أبو العباس إسماعيل بن عباس الملك الأشرف، العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر عبد المنعم (بيروت: 1975م): 1/ 292،426، طه، فتح العرب لأرمينيا، ص82؛ سيد، أرمينية، ص28.

(5) شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون العرب (القاهرة: 1943م): 14/ 337.

(6) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر (بيروت: 1966م): 3 / 215 ؛ احمد بن يوسف بن علي الفارقي، التأريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف (القاهرة: 1959م)، ص42، 97ـ 98 ؛ عز





وملك ولغة)) [1]، وأكّد كل من القلقشندي وابن تغري بردي من خلال روايتهما عن الكرج في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ((قويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس ولهم ولاية تنسب إليهم)) [2].

كما سميت (بلاد الأبخاز) نسبة إلى أسم قوم الأبخاز الذين يقطنون الجهة الشمالية الشرقية المعروفة باسم أبخازية، وبما أنها أصبحت في فترات لاحقة جزءاً من جورجيا لذلك أطلق عليها تلك التسمية بل تلقب ملوكهم بملوك الكرج أو الملوك الابخازيين[3]. كما أطلقت المصادر العربية الإسلامية عليها أسم (بلاد تفليس) [4] نسبة إلى عاصمتها المشهورة تفليس التي أدت دوراً كبيراً في الأحداث التأريخية، وخاصة في حقبة التأريخ الإسلامي، إذ أصبحت إمارة عربية مستقلة تحت حكم بني الساج. وعندما تغلب الجورجيون عليها في بداية القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي أطلق المصادر الإسلامية على حكامها لقب (متملك تفليس)، كما هو الحال في تسمية متملك سيس التي أطلقت على ملوك الأرمن[5] ومتملك قبرص على ملوك قبرص[6] ومهما تعددت التسميات إلا أن المقصود بها جميعا جورجيا التي سميت بذلك الاسم تيمنا بالقديس

---

الدين محمد بن محمد بن أبي الكرم الشيباني آبن الأثير، الكامل في التأريخ (بيروت: 1966م): 10/ 39_40، 65، 567 _ 568، 614 _ 615.

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 4 / 446.

(2)أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، صُبح الأعشى في صناعة الانشا (بيروت: 1987م): 8/ 27 ؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة: د. ت.): 12/ 219.

(3) كي. لسترينج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: كور كيس عواد (بغداد: 1954م)، ص216.

(4) المسعودي، مروج الذهب: 3/ 215.

(5) القلقشندي، صبح الأعشى: 8/ 29.

(6) شهاب الدين أبو العباس احمد بن يحيي بن فضل الله، التعريف بالمصطلح الشريف (مصر: 1952م)، ص56؛ القلقشندي، صبح الأعشى، 8/ 32.

(جورجي المنور ـ سان جورج) الذي كان له دورٌ كبيرٌ في نشر الديانة النصرانية في كل من جورجيا وأرمينيا [1].

## ثانياً : تضاريس جورجيا مناخها

تميزت تضاريس جورجيا بتنوعها، ويعد هذا أمراً مهماً في كثير من الجوانب سواء السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي، إذ ضمّت أشكالاً مختلفة من التضاريس كالجبال والسهول والأنهار، إذ يخترق جورجيا عدد من السلاسل الجبلية[2] وتنبع منها مجموعة من الأنهار مع روافدها الصغيرة [3]، فضلاً عن مساحات واسعة من السهول ذات التربة الخصبة، وستتناولها كما هو مؤشر تِباعاً:-

### 1ـ التضاريس

تشمل ارض جورجيا ظواهر تضاريسية متنوعة كالجبال والسهول والوديان وتشكل الجبال جزء كبير منها، وتليها السهول من حيث المساحة، فضلاً عن وجود عدد من الأنهار فيها، وسنتناول كل ظاهرة من هذه الظواهر بالتفصيل:

### الجبال

انبثقت الجبال في جورجيا التأريخية منذ العصر الجيولوجي غير البعيد قياسياً، وقد رافقت ظهور المنحنيات الجبلية إنقذافات بركانية شديدة، فان بعض القمم في جبال القوقاز عبارة عن براكين خامدة ومن بينها جبل البروس (البروز) وكازبيك وغيرها من الجبال الجورجية وامتازت تلك الجبال بكونها حدوداً طبيعية لجورجيا لصعوبة اختراقها من جهتها الجنوبية، ويرجع ذلك إلى قلة الممرات وحتى الممرات الموجودة فيها فانها

---

(1) موسيس خوريناتسي، تأريخ الأرمن، ترجمة: نزار خليلي (دمشق: 1999م)، ص205؛
D. Lang , Armenia Cradle Of Civilization (London: 1970) , P. 158.

(2) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص285 ؛ سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(3) سروييف، نفسه، ص285، 262.





امتازت بالوعورة والضيق، فضلاً عن طول مسافتها لأكثر مـن أربعـة فراسـخ[1] في بعـض الأماكن ومن أشهر الجبال في جورجيا سلسلة جبال القوقاز الكبير[2] التي تقطع منطقة مـا وراء القوقاز بشدة، وتحد جورجيا من الجهة الـشمالية[3]، فـضلاً عـن هيمنتهـا علـى جميع بلاد القوقاز، وتحاذيه من الجهة الشمالية سلسلة جانبية تتفرع عنـه وتـسير بـصورة موازيـة له، وتمتد سلسلة جبال القوقاز الكبير علـى طـول المـسافة الواقعـة بـين البحـرين الأسـود وقزوين بطول ألف كيلو متر، وبقمم شاهقة مكللة بالثلوج ومنحـدرات مغطـاة بالغابـات الكثيفة[4] وعلى الرغم من أن السلسلة الجانبية اقصر غير أنها أعلى ارتفاعاً فعليها توجـد قمم البروس (البروز) (5642م) [5] وكازبيـك (4047م) إذ تفـوق جبـال القوقـاز الكـبير وجبال سيبيريا و(الشرق الأوسط) مـن حيـث الارتفـاع وكأنهـا جـدار مـسنن، وتنحـدر أقصى نهاياته الغربية بقوة، وتتـسم بطـابع الجبـال المتوسـطة العلـو وان مرتفعـات الجبـال الشمالية مائلة برفق، أما الجنوبية فتكون عموديـة الـشكل[6]، أمـا الـسلسلة الجبليـة الثانيـة فهي سلسلة جبال القوقاز الصغير وهي عبارة عن سلسلة من الجبال البركانية التي تمتـد في جنوب جورجيا، وتشكل حدوداً طبيعية[7] وتتحد بجبـال القوقـاز الكـبير بواسـطة سلـسلة

---

(1) الفرسخ = 3 أميال، والميل = 1,650 متر ينظر: فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامـل العـسلي (عمـان: 1970م)، ص95، وبـذلك يكـون طـول المـمر 4 فرسخ × 3 ميل = 12 ميلاً.

(2) كما أطلق عليها سلسلة جبـال الـبرز نـسبة إلى أعلـى قمـة فيهـا. ينظـر: لـسترنج، بلـدان الخلافـة، ص216، هامش (19).

(3) سولوفييوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(4) ميخائيلوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص330؛ بينما يشير عزت إلى أن طوله يصل إلى ألف ومئتي كيلومتر وللمزيد من التفاصيل. ينظر: تأريخ القوقاز، ص11.

(5) أحمد، لقاء الكرد واللان، ص33.

(6) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص253ـ 254.

(7( Lang , Armenia , P. 28.

جبال سورام غير الشاهقة، فضلاً عن عدد من الجبال الأخرى مثل سلسلة جبال سورام وجبل اراغاتس (الاغيوز) وسلسلة جبال ليخسكي [1].

### السهول

تمتد السهول في جورجيا على مساحات واسعة، وخاصة على ضفاف الأنهار التي تخترقها عادة، وتمتاز تلك السهول بنوعية تربتها الخصبة ذات اللون الأحمر، مّما ساعد على ممارسة الجزء الأكبر من سكانها الزراعة، وخاصةً زراعة البساتين، فضلاً عن اشتهارها بأخشاب الاوكالبتوس والخيزران التي تزرع في مناطق المستنقعات، كما تزرع فيها أنواع الحمضيات وبساتين الفاكهة وأجود أنواع العنب وخاصة في حوض نهر الازان (منطقة كاخثيا) [2]، فضلاً عن غناها بالموارد المعدنية على اختلاف أنواعها كالفضة والنحاس والرصاص، إذ اهتم الخلفاء والسلاطين والأمراء في استخراج تلك الخامات[3]، ويعد سهل كولخيدا(كولخيس القديمة)[4]من ابرز السهول الجورجية، ويقع هذا السهل إلى الغرب من سلسلة جبال سورام، وهو ذو شكل مثلث، ويمتد على ضفاف نهر ريفون، وتحده سلسلة جبال القوقاز الكبير من الجهة الشمالية الشرقية وجبال القوقاز الصغير من الجانب الجنوبي، بينما ينفتح على ساحل البحر الأسود من جهته الغربية، ويمتاز بتربته الطينية المتكونة من الرواسب النهرية[5]، أما السهل الآخر، فهو سهل كورا(أر اكس)، فهو محاط أيضا بسفوح جبال القوقازين الكبير والصغير إلا انه على العكس من سهل كولخيدا، فهو ينفتح على ساحل بحر قزوين الذي يمتاز بتربته الخصبة مّما أدى إلى

---

(1) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص258؛ سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(2) سولوفيوف، نفسه، ص176.

(3) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي (القاهرة: 1967م): 4/ 391.

(4) احمد، لقاء الكرد واللان، ص34.

(5) عزت، تاريخ القوقاز، ص32.



اشتهاره بكثرة الإنتاج الزراعي، فساعد بالتالي على ثراء سكانه[1]، فضلاً عن سهول أخرى تمتد على شكل أشرطة ضيقة على ضفاف الأنهار الأخرى وروافدها كسهل لينكوران وغيره[2].

## الأنهار

أما بالنسبة للأنهار فان العديد منها سيول وتيارات جارفة تنحدر من المنطقة الجبلية وهي ذات تغذية (جليدية ـ ثلجية)، إذ إنها تحصل على المياه وبصورة رئيسة من الثلوج والقطع الجليدية الذائبة في الجبال، كما أن سرعة سيرها في المجاري العليا عظيمة جداً وتسيل بضجة داوية جارفة معها الأحجار الصغيرة والكبيرة، ومكونة مساقط مائية عديدة وأودية عميقة، وعند خروجها من الأودية إلى السهول، فإنها تسير بشكل بطيء، ونظرا لكونها انهار جبلية فهي غير صالحة للملاحة، باستثناء بعض الأجزاء الواقعة في المنطقة السهلية[3]، وتنقسم أنهار جورجيا من حيث اتجاه سيرها نحو الشرق لتصب في بحر قزوين ونحو الغرب لتصب في البحر الأسود[4].

وعلى ما يبدو أن ذلك يرجع إلى وجود هضبة قليلة الارتفاع في وسط جورجيا، فالمياه المنحدرة من جبال القوقاز يتجه قسمٌ منها نحو الغرب عبر الأراضي الجورجية لتصب في البحر الأسود. أما القسم الآخر فينحدر نحو الشرق ليصب في بحر قزوين، بما فيها نهر كورا وروافده وكذلك انهار هضبة أرمينيا، ففي نقاط التقاء السفحين يجري نهر كورا إلى الشرق ونهر ريفون إلى الغرب [5]، وهو من أطول الأنهار في جورجيا، وينبع من سفوح جبال القوقاز الكبير الواقع شمال جورجيا، وتقع على جانبيه العديد من المدن

---

(1) نفسه، ص32.

(2) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص258.

(3) نفسه، ص261ـ262.

(4) Polo , The Travels , P.19.

(5) شاكر، التاريخ الإسلامي: 21/ 219؛ موريس دانتسيغ، الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمة: معروف خزنة دار (بيروت: 1981م)، ص281.

وعدد كبير من القرى، فضلاً عن ذلك شمل حوضه مساحات واسعة من السهول الصالحة للزراعة ، ويمر في مدينة تفليس عاصمة جورجيا ويشطرها إلى نصفين، ويتابع سيره باتجاه الشرق لينضم إلى نهر الرس الذي يجري في الأراضي الأرمنية وقد أشار المسعودي الى ذلك قائلاً:((ونهر الكر الذي يجتاز ببلاد تفليس ومدينة صغدبيل من أرض جرزان، ثم بلاد برذعة ويجتمع مع نهر الرس الذي هو نهر ورثان فيصبان جميعاً فيه))[1] ليشكل أحد روافده ويتابع جريانه عبر الأراضي الأذربيجانية ليصب في بحر قزوين[2].

في حين يعد نهر ريفون الذي ينبع من سفوح جبال القوقاز الكبير أيضا، وهو أحد أعظم الأنهار التي تجري عبر الأراضي الجورجية باتجاه الغرب ليصب في البحر الأسود، إلا أنه غير صالح للملاحة، فضلاً عن وجود عدد من الأنهار الصغيرة كنهر بتيرك ونهر ايورا واينغوري والازان والانجور وغيره[3]، إذ تؤدي تلك الأنهار دوراً كبيراً في ري مساحات واسعة من الأراضي الزراعية في جورجيا.

---

(1) المسعودي، التنبيه والإشراف، ص55.

(2) زهر الدين، سياسة الدولة العثمانية، ص36؛

Minorsky , Studies In Caucasian History (London:1953) , P. 164.

(3) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص258، 262؛ سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، 176؛ بارتولد،، مادة " ابخاز"، دائرة المعارف الإسلامية: 1/ 20.

## 2ـ المناخ

يعد المناخ الذي تميزت فيه جورجيا من أهم العوامل الطبيعية التي أدّت دوراً كبيراً في ازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ممّا اثر بالتالي في الحياة السياسية التي عاشتها خلال الحقب التأريخية المختلفة.

أما عن طبيعة المناخ في جورجيا، فإنها تمثلت بكثرة الأمطار بنسبة عالية، ممّا ساعد على قيام الزراعة فيها بشكل جيد، كما أن إطلالها على سواحل البحر الأسود المحمية بجبال القوقاز العالية من الرياح الشمالية الباردة فقد جعل ذلك شتاءها دافئاً رطباً وإن متوسط درجة الحرارة على السواحل في شهر كانون الثاني تبلغ سبع درجات مئوية فوق الصفر[1] ولما كانت سفوح جبال القوقاز الكبير معرضة للشمس التي تكون قليلة السطوع في بلاد روسيا، فقد ساعد ذلك على قيام أفضل المشافي[2] ، فضلاً عن وجود الكثير من الينابيع الحارة ذات المياه المعدنية التي تتسم بخواص صحية، فقد افتتحت عليها مصحات للعلاج، حيث يذهب إليها عدد كبير من السكان للعلاج واستعادة الصحة [3].

كما أن التنوع المناخي لجورجيا من ناحية، ووجود الأنهار من ناحية أخرى التي تمتد على مساحات واسعة منها، فضلاً عن جودة تربتها الحمراء، ممّا أدى إلى تنوع الإنتاج الزراعي[4] وأشار الاصطخري إلى ذلك من خلال قوله: ((وهي خصبة جداً كثيرة الفواكه والزروع)) [5].

---

(1) ميخائيلوف، في ربوع الاتحاد السوفيتي، ص335 ؛ سولوفيوف، نفسه، ص176.

(2) شاكر، التأريخ الإسلامي: 21/ 219.

(3) سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص 259.

(4) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(5) إبراهيم بن محمد الفاسي، المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر (القاهرة: 1961م)، ص110.

## المبحث الثاني

## المدن الرئيسة في جورجيا

مما هو واضح أن المنطقة – موضوع الدراسة – كان لها موقع طبيعي واقتصادي مهم مما جعل لها مكانة تأريخية، فضلاً عن نشوء عدة مراكز حضارية فيها تحولت على مر السنين إلى عواصم ومدن كبيرة وكثيرة، إذ كانت مركزاً لتجمع السكان فيها، فضلاً عن كونها مراكز اقتصادية،ومن بين أهم المدن التأريخية التي ظهرت في مملكة جورجيا أذكرُ ما يأتي:

### أولاً : مدينة تفليس

بنيت مدينة تفليس قبل ألف وخمسمئة سنة ونيف على يد كسرى انوشروان ملك ألفرس وحصنها بعدَهُ إسحق بن إسماعيل مولى بني أُمية، وسكانها خليط من المسلمين والنصارى [1]واغلب بنائها من خشب الصنوبر[2] وتعد الحصون والجادل القديمة شاهداً على تأريخها العريق وتتميز بموقعها الوسطي في أراضي منطقة وراء القوقاز، وعلى بعد ستين ميلاً عن ساحل البحر الأسود، ونظرا لذلك الموقع الهام اتخذ منها الملوك الجورجيون عاصمة لهم[3]، ومما يدلل على دورها الكبير وأهميتها بين المدن الجورجية الأخرى ما ذكره القلقشندي أثناء حديثه عن مملكة جورجيا قائلاً: ((لها ملك دائم وأمها مدينة تفليس)) [4] كما أكدّ ابن واصل مسألة حصانة المدينة وأهمية موقعها من خلال

---

(1) أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف القرماني، أخبار الدول و آثار الأول في التاريخ (بيروت: د/ ت)، ص274.

(2) مؤرخ مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق (ليدن: 1869م): 3/ 548.

(3) سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص177؛ فهمي، طرق التجارة، ص16؛ Polo ,The Traveles,P19.

(4) صبح الاعشى: 8 / 127.



قوله: ((وهي مدينة عظيمة من أحسن البلاد وأحصنها وامنعها وكانت قبل الإسلام اعظم الثغور ضرراً على مجاوريها من الفرس)) [1].

تقع مدينة تفليس في أعالي وادي نهر كورا[2] إلى الغرب من مدينة باب الأبواب ويشطرها ذلك النهر إلى نصفين، وتحيط بها أراضٍ سهلية واسعة[3] كما أشار الاصطخري إلى أنها مدينة ذات أراضٍ خصبة كثيرة الزروع والفواكه، وفيها حمامات طبيعية حارة بنيت على منابع المياه المعدنية الحارة ((وبها حمامات مثل حمامات طبرية ماؤها ساخن من غير نار)) [4].

## ثانياً: مدينة سوخوم

تقع مدينة سوخوم في الجهة الشمالية الشرقية من بلاد الابخاز، الواقعة في غرب جورجيا، وعلى ساحل البحر الأسود، وهي مدينة موغلة في القدم[5]، وتميزت بمكانة مرموقة بين مدن إقليم الابخاز وأصبحت عاصمة لحكامه، وقد أكدَّ ذلك القلقشندي من خلال قوله ((اما في التثقيف فقد ذكر إن للكرج ملكين [ احدهما] صاحب تفليس المقدم ذكره وذكر انه كان اسمه إذ ذاك "داؤد" والثاني الحاكم (بسوخوم) (وابخاس) وهما مدينتان على جانب بحر القرم من الجانب الجنوبي )) [6].

---

(1) مفرج الكروب: 4 / 181.

(2) لسترنج، بلدان الخلافة، ص216.

(3) أبو القاسم النصيبي آبن حوقل، صورة الأرض (بيروت: 1934م)، ص292؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 36.

(4) المسالك والممالك، ص110؛ سروييف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص259؛ دانتسيغ، الرحالة الروس، ص279.

(5) أحمد، لقاء الكرد واللان، ص34.

(6) صبح الأعشى: 8/ 28ـ29.



## ثالثاً : مدينة كاخثيا

إن مدينـة كاخثيـا مـن المـدن المهمـة، الـتي أدّت دوراً كـبيراً في التـأريخ الـسياسي لجورجيا خاصة وإنها كانت مقراً لإحدى الأسر الإقطاعية الجورجيـة القديمـة، واسـتفحل أمر تلك الأسرة في حكم المدينة والمناطق المحيطة بها، وعرفوا بملـوك كاخثيـا، وتقـع علـى الجهة اليسرى لنهر كورا، لذا فهي تمتلك أراضي زراعية خـصبة، مّمـا مكّـن سـكانها علـى العمل في مجال الزراعة [1].

## رابعاً : مدينة باطوم

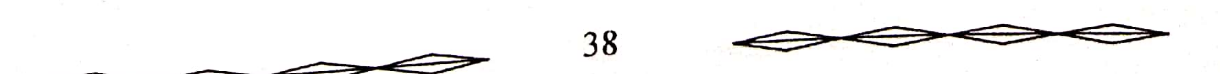
تُعدُّ باطوم المرفأ البحري الأول في جورجيا، وتقع على الجهة الغربية منهـا، وعلـى الساحل الشرقي للبحر الأسود، ومن خلاله كانت التجارة الجورجية تتجـه نحـو أوربـا[2]، فضلاً عـن ذلـك فقـد احتـوت جورجيـا علـى مـدن أخرى أدَّت دوراً كـبيراً في تأريخهـا السياسي والحضاري كمدينة ميتسخت عاصمة الأسرة الإقطاعيـة الاوربليـة، الـتي سـعت من اجل الاستحواذ على الحكم في جورجيا، وهذا ما سنتناوله ضمن فصول الأطروحـة، وكذلك الحال بالنسبة لكل من مدينة بوتي وبورجومي وكوتايـسي ومنجرزيليـا وامغيـشيا وخرثيليا، كما أنها ضمت العديـد مـن القـلاع الحـصينة كقلعـة كنـدمان وبرذعـة وجنـزة وشمكور وخونان وكردمان وقلعة الرستاق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر كورا بـالقرب من تفليس العاصمة [3].

---

(1)Minorsky ,Art:"Al Kurdj " , In Enc. Of Islam: 5 / 487; Studies In Caucasian History , P. 28.

(2) سولوفييوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص177؛ شاكر، التأريخ الإسلامي: 21/ 220 ؛ بـار تولـد، مـادة "ابخاز" دائرة المعارف الإسلامية: 1 / 21.

(3(Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 164.



## المبحث الثالث

## أصول الشعب الجورجي وديانته

### أولاً: أصول الشعب الجورجي

يُعد الجورجيون من الشعوب الآرية الهندو - أوربية، كالفرس والهنود والأرمن التي نزحت من موطنها الأصلي في أواسط آسيا في حدود الألف الرابع قبل الميلاد[1] على شكل موجتين كبيرتين نحو الجزء الغربي من آسيا، واستقرت بها ردحاً من الزمن [2] ثم انقسمت تلك الشعوب إلى مجموعتين، دخلت الأولى إلى بلاد الهند وفارس والقوقاز وأرمينيا وبعض مناطق آسيا الصغرى، وأطلق على ما استقر منها في بلاد القوقاز وجورجيا وأذربيجان تسمية الشعوب القوقازية[3].

أما المجموعة الثانية فقد انتقلت إلى أوربا، وعاشت فيها أجيالاً عديدة، ثم تفرقت شيعاً وجماعات، وما لبث أن اتجه البعض منها كالأرمن إلى آسيا الصغرى، ومنها وصل إلى أرمينيا الكبرى واستقر بها وذلك في حدود الألف السابع قبل الميلاد[4].

وبناءاً على انقسام الشعوب الآرية الهندو - أوربية في هجرتها إلى قسمين، الأول استقر في آسيا، بينما اتجه القسم الآخر إلى أوربا، لذا فقد أطلق على المجموعة الأولى

---

(1) مروان المدور، الأرمن عبر التاريخ (بيروت: 1982م)، ص30؛ أديب سيد، أرمينية في التاريخ العربي (حلب: 1972م)، ص30.

(2) طه، الحياة العامة في أرمينيا (اطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ـ جامعة بغداد: 1979م)، ص49 ـ50 ؛ فتحي سالم اللهيبي، مملكة أرمينية الصغرى (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ـ جامعة الموصل: 2000م)، ص13.

(3) المدور، الأرمن، ص96.

(4) للمزيد من التفاصيل عن هذه الجماعات ينظر: سيد، أرمينية، ص30 ؛ طه، الحياة العامة، ص50 ؛ أحمد فؤاد ارسلان، أرمينية الأمة والدولة (القاهرة: 1997م)، ص24 ؛ اللهيبي، مملكة أرمينية الصغرى، ص13-14.





تسمية الشعوب الهندو- أوربية الآسيوية، وعلى المجموعة الثانية تسمية الشعوب الهندو- أوربية الأوربية[1] وبذلك يكون الجورجيون ضمن المجموعة الأولى.

اتفق المؤرخون العرب المسلمون والأرمن على آرية الشعب الجورجي من خلال الروايات التي ذكروها سواء بشكل مباشر أم غير مباشر، فقد أشار القلقشندي أثناء حديثه عن أصل الكرج (الجورجيين) بأنهم والكرد من أصل واحد، ويقال لهم ((في المسلمين الكرد وفي الكفار الكرج وحينئذ فيكون الكرد والكرج نسبا واحدا)) [2].

إن هذه الرواية تدفعنا إلى اعتقاد واحد وهو ان انتشار الإسلام في بلاد القوقاز ووصوله إلى جورجيا ودخول قسم من الكرج فيه، وبقاء القسم الآخر على نصرانيته، فاطلقت تسمية الكرد على من دخل الإسلام، بينما تسمية الكرج تطلق على النصارى منهم، واذ ما صحت رواية القلقشندي، واحتمالية ما تطرقنا إليه فإننا نخلص بأنه أراد القول بأن الكرد والكرج من عرق واحد أي ما يعرف اليوم بالشعوب الآرية الهندو- أوربية.

كما أكدت بعض المصادر العربية الإسلامية، فضلاً عن المصادر الأرمنية على أن الجورجيين والأرمن أبناء عمومة ((الكرج إخوة الأرمن))[3] ويرتبطون بصلة نسب واحدة إذ إن كل منهم يدعي انتماءَهُ إلى يافث بن نوح عليه السلام [4].

وإذ ما صح ذلك الادعاء الذي نشك في صحته، وبعد عرض هذه الروايات وتمحيصها فإننا نخلص من خلالها إلى أن ارتباط الجورجيين بصلات نسب مع أي قوم

---

(1) المدور، الأرمن، ص96.

(2) قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق: إبراهيم الأبياري (بيروت: 1982م)، ص31 ؛ صبح الأعشى: 8 / 27.

(3) عبد الرحمن آبن خلدون، الحضرمي، تأريخ ابن خلدون (بيروت:1979م)، 5/ 127.

(4) خوريناتسي، تأريخ الأرمن، ص45 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2 / 36 ؛ عزت، تأريخ القوقاز، ص28 ؛

S. Der,Nrsessian , The Armenians (Paress: 1977) , P. 21 ; F. Richard , Area and Book For The Republic Of Turkey (Washington:1973) , P. 105.




من الأقوام الآرية الهندو - أوربية، مهما اختلفت سواء الأكراد أم الأرمن هو بحد ذاته يُعدُّ دليل إثبات على آرية الشعب الجورجي.

ويبدو ذلك وبشكل جلي، إذ ما تتبعنا نتائج الأبحاث في علم اللغات، فإننا نلحظ أن الشعب الجورجي مرتبطٌ مع الشعوب الهندو- أوربية، ضمن فصيلة لغوية واحدة[1] وهي اللغة الايبيرية القوقازية القديمة التي تشكل أحد فروع اللغة الهندو ـ أوربية [2] وتعد تلك اللغة من اللغات القديمة التي تمتاز بترابطها، وعنها تفرعت اللغات القوقازية الأخرى كاللغة الجورجية والأرمنية والابخازية وغيرها من اللغات الأخرى[3]، فضلاً عن أن اختراع الأبجدية الجورجية والأرمنية، كان على يد القديس ميسروب الأرمني في بداية القرن الرابع الميلادي[4]، ومن خلال ذلك يمكننا القول، بأن هذا الارتباط بحد ذاته يعد دليلاً آخر على إثبات آرية الشعب الجورجي، فضلاً عن الأدلة التي أشرنا إليها آنفاً.

كما أشار كل من النويري وآبن العبري إلى أن الكرج هم الخزر ((خرج الكرج وهم الخزر إلى بلاد الإسلام)) [5].

إن هذه الرواية بعيدة عن الصحة، وذلك لان معظم الخزر كانوا وثنيين، بينما كان الكرج من النصارى، وعلى ما يبدو أن التقارب الجغرافي أو وجود طائفة من الخزر على أطراف بلاد الكرج، جعل أولئك المؤرخين يخلطون في رواياتهم بين الخزر والكرج.

---

(1) الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية: 8/ 17؛

Richard , Area Hand Book , P.105.

(2) أحمد، لقاء الكرد واللان، ص36.

(3)P. Brezzi , History Of Mankind Cultural And Scientific Development (London:1965): 2 / 57 ; Minorsky , Art:" Al Kurdj " , In Enc. Of Islam: 5 /486.

(4) خوريناتسي، تاريخ الأرمن، ص264ـ265.

(5) النويري، نهاية الأرب: 14/ 337 ؛ أبو الفرج غريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري، تاريخ مختصر الدول (بيروت: 1958م)، ص201.





أما الاحتمال الآخر فقد يكون الكرج أحد الشعوب المتفرعة عن الخزر، وذلك ما أشار إليه آبن خلدون قائلاً: ((الخزر هم التركمان الا أن يكون الكرج من بعض شعوبهم فيمكن)) [1] وعلى الرغم من ذكره لهذه الرواية إلا أنه لم يجزم فيها على أن الكرج هم الخزر إذ إنهُ يختتمها بكلمة ((فيمكن)) [2] وهي كلمة تحتمل الصواب والخطأ.

أما فيما يتعلق بتسمية الشعب الجورجي، فقد أطلق المؤرخون عليه عدة تسميات منها قارقول نسبة إلى قارتلوس[3] بن يافث بن نوح عليه السلام الذي يدعي الجورجيون بأنهم من أحفاده، وانه رأس الأمة الجورجية التي استقرت في حوض نهر الكر والرس منذ حوالي سنة 210ق. م[4] وان صح ذلك الادعاء الذي نشك في صحته، فانه يعد دليلاً آخر على آرية الشعب الجورجي وإنهم من الشعوب الهندو - أوربية التي قطنت بلاد القوقاز.

في حين أطلق البعض الآخر تسمية الشعب الكارتفيلي أو كارتفيل أو كارتفيلكا[5] وعلى الرغم من اختلاف اللفظ إلا أنهم جميعاً عنوا به قارقول الذي يعد الاسم القومي للجورجيين قياساً بالأسماء القومية للشعوب الأخرى.

---

(1) آبن خلدون، تأريخ آبن خلدون: 5/ 49.

(2) نفسه: 5/ 49.

(3) على الرغم من إشارة المراجع الحديثة الى هذه التسمية، إلا أننا لم نتمكن من معرفة أصلها، وبعد البحث والتمحيص في المصادر التأريخية القديمة المتعلقة بالموضوع ، لم نجد سوى إشارتين يوردهما كل من ياقوت الحموي والقلقشندي، وهما يختلفان في الاسم، فياقوت الحموي ينسبهم إلى يافث بن نوح، ينظر: معجم البلدان، 4/ 446، أما القلقشندي، فينسبهم إلى اشوذ أو اشوط بن سام بن نوح ينظر: قلائد الجمان، ص31.

(4) عزت، تأريخ القوقاز، ص28.

(5) دانتسيغ، الرحالة الروس، ص300 ؛ أحمد، لقاء الكرد واللان، ص 36 ؛
Lang , Armenia , p. 28 ; Minorsky , Art: " Al Kurdj " , In Enc. Of Islam: 5 /286.



كما أطلق عليهم تسمية الابخاز ولقب ملوكهم بالملوك الابخازيين نسبة إلى أحد مناطق نفوذهم التي تقع في غربي جورجيا[1] ، فضلاً عن تسميتهم بالايبيريين نسبة إلى أسم إيبيريا الذي أطلق على جورجيا في عصور ما قبل الميلاد [2]. إلا أن تسمية الكرج هي التي طغت على جميع التسميات في حقبة العصور الوسطى وان اشتقاق كلمة الكرج جاء من أمرين هما:

أ ـ إن ما تتمتع به جورجيا من قوة وحصانة، فقد أطلق عليها اسم (كرجستان) أي بلاد القوة والقدرة.

ب ـ سميت بلادهم بكرجستان نسبة إلى القديس (جورجي ـ سانت جورج [ كريكور المنور ]) والشهير عند النصارى بالصلاح والتقوى، وكان له دورٌ كبيرٌ في انتشار النصرانية في كل من جورجيا وأرمينيا، لذا فقد حظي عندهم باحترام ومكانة كبيرة[3].

## ثانياً : ديانة الشعب الجورجي

أما فيما يتعلق بديانة الشعب الجورجي، فقد كانوا وثنيين بحكم حركة التأثير والتأثر فقد تأثروا بالمعتقدات الدينية السائدة في المنطقة آنذاك، حيث عبدوا الآلهة الآشورية كبرشام ونانى والفارسية كمثرا واهورمزدا ونينا [4] فضلاً عن الآلهة التي عبدها الأرمن كالشمس والقمر وآلهة خاصة بهم، وبمجرد ظهور الديانة النصرانية اعتنقها الجورجيون [5] ولم يتخلوا عنها على الرغم من التنكيل الفارسي بهم من اجل

---

(1) Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 19.

(2) الخوند، الموسوعة التأريخية الجغرافية: 8/ 17؛
Toumanoff , Armenia And Georgia, In Cam. Med. His.: 4 / 621.

(3) عزت، تاريخ القوقاز، ص27ـ 29؛ صبرة، دراسات، ص224.

(4) L ang , Armenia , Pp. 126_ 127.

(5) المدور، الأرمن، ص270.

حملهم على ترك ديانتهم النصرانية [1] وكان اعتناقهم لها متزامناً مع اعتناق أبناء عمومتهم الأرمن على يد القديس جورجي- كر يكور المنور- إذ أعلنوا الديانة النصرانية ديناً رسمياً لهم في سنة 330م، ويرجع ذلك إلى كون قسم كبير من بلادهم يقع تحت سيطرة مملكة أرمينيا الكبرى [2]، فضلاً عن التجاور الجغرافي بين كل من جورجيا ومملكة أرمينيا، فكانت نصرانيتهم على المذهب الأرثوذكسي كاليونان واليعاقبة والنساطرة في بداية الأمر [3] إلا أن الأرمن لم يلبثوا في عام 527م أن اعتنقوا مذهب الوحدانية الذي ظهر في القرن الخامس الميلادي وحُرِمَ في مجمع خلقيدونة عام 451م والقائل بوجود طبيعة واحدة للسيد المسيح، وهذا ما وضع أرمينيا في خلاف جذري مع الأرثوذكسية اليونانية[4] التي بقيت المذهب الرسمي لمملكة جورجيا[5].

---

(1) رنيه كروسيه، الحروب الصليبية صراع الشرق مع الغرب، ترجمة: احمد أيبش (بيروت: 2002م)، ص 24-25.

(2) بول أميل، تاريخ ارمينيا، ترجمة: شكري علاوي (بيروت: د/ت)، ص18؛
Minorsky , Art: " Al Kurdj" , In Enc. Islam: 5 /287.

(3) ستيفن رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني (بيروت:1980م): 2 / 140؛ صالح زهر الدين، الأرمن شعب وقضية (بيروت: 1998م)، ص28.

(4) كروسيه، الحروب الصليبية، ص 25.

(5) رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية: 2 / 140 ؛ زهر الدين، الأرمن، ص28.

## المبحث الرابع

### الحياة السياسية في جورجيا للفترة (19- 272هـ/640- 885م)

لقد كان للموقع الجغرافي المتميز، والتآخم الحدودي بين جورجيا من جهتها الجنوبية وآسيا الصغرى من جهتها الشمالية دورٌ كبيرٌ في دخولها ضمن دائرة الصراع الأرمني- البيزنطي والصراع الأرمني- الفارسي، إذ أصبحت بلاد القوقاز بشكل عام وجورجيا وأرمينيا بشكل خاص مسرحا للصراع الفارسي- البيزنطي آنذاك، ممّا أدى إلى تأثرها بالجوانب السياسية والحضارية والاجتماعية والاقتصادية لكل من الإمبراطوريتين كتطور فنون العمارة والبناء وازدهار الناحية التجارية [1] واعتناق الأديان السائدة في كل منهما [2].

إن ظهور الإسلام وقيام الدولة الإسلامية في القرن السابع الميلادي، كان له أثرٌ عظيمٌ في حياة شعوب الشرق، إذ اضعف كلا من الإمبراطوريتين العظيمتين (بيزنطة والساسانية) من خلال الانتصارات التي حققتها الدولة الإسلامية أثناء عمليات الفتح والتحرير.

ونظراً لاعتناق الجورجيين النصرانية فقد قاوموا عمليات الفتح الإسلامي بدعم وتشجيع من أبناء دينهم البيزنطيين إلا أن المسلمين نجحوا في الوصول إلى بلاد الجزيرة وأرمينيا للمرة الأولى في سنة 19هـ/ 640م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ

---

(1) أرسلان، أرمينيا الأمة والدولة، ص40؛

Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. Mad. His.: 4 / 605 ; Minorsky , Art:"Al Kurdj" , In The Enc. Of Islam: 5 / 487.

(2) أميل، تأريخ أرمينيا، ص18 ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: 2 / 140؛ زهر الدين، الأرمن، ص 28 ؛

Minorsky , Art: " Al Kurdj " , In Enc. of Islam:5 /287.

(13-23هـ/ 634-643م) الـذي أمَرَ عيـاض بـن غنـم ﷺ [1] علـى رأس الجيـش الإسلامـي لفتح بـلاد الجزيرة، ونجح في فتـح كـل مـا وقع في طريقه من المـدن والقـرى الجزريـة حتـى وصـل إلـى بدليـس [2]، وافتتحـها فـي السنـة ذاتـها وتوجه بعد ذلك إلى خـلاط [3] ثـم عـادت الجيـوش العربيـة الإسلامية بعد أن أقرت البلاد المفتوحـة بدفع الجزية للمسلمين [4].

أما الحملة الثانيـة فقد أرسلت إلى بلاد القوقاز سنة 22هـ/ 642م بقيادة سـراقة بـن عمـرو ﷺ [5] وبعد أن أتم فتح أذربيجان توجه إلى المناطق الجبلية المحيطة بأرمينيا وموقـان [6] وتفلـيس، ونجـح في

---

(1) عياض بن غنم: هو عياض بن غنم بن زهير بن أبي شداد بن هلال بن وهب بـن فهـر القريـشي، صحابي جليل أسلم قبل الحديبية، قادَ عمليـة فـتح الجزيـرة وصـالح أهلـها، وهـو أول مـن عـبر الدروب إلى الروم، توفي سنة 20هـ/ 640م. للمز من التفاصيل ينظر: ابن الأثـير، أسـد الغابـة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البناء وآخرون (بيروت: د/ ت): 2/ 327 ـ 328.

(2) بدليس: بلدة من نواحي أرمينيا بالقرب من خلاط، ذات بساتين كثيرة ويضرب بها المثل في الجودة والكثرة والرخص. للمزيد من التفاصيل. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 358.

(3) خلاط: بلدة مشهورة تمثل قصبة أرمينيا وبلادها، فيها الفواكه الكثيرة والمياه الغزيـرة. ينظـر: نفسه، 2/ 380؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمـان الـذهبي، تـاريخ الإسـلام ووفيـات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون ( بيروت: 1988م)، ص54.

(4) الإمام أبو الحسن البلاذري، فتـوح البلـدان، مراجعـة: رضـوان محمـد رضـوان (بـيروت: 1978م)، ص200ـ201؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تأريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفـضل إبراهيم (القاهرة: 1979م):4/ 157.

(5) سراقة بن عمرو: صحابي جليل أرسله عمر بن الخطاب ﷺ إلى منطقة باب الأبـواب وجعـل علـى مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي، فصالح أهل أرمينيا على دفع الجزية، وتوفي في السنة ذاتهـا. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: 2/ 330.

(6) موقان: ولاية في أذربيجان فيها مروج وقرى كثيرة، ويمـر بهـا عـبر الجبـال القاصـد مـن أردبيـل إلى تبريز. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 5/ 225.



فتح جورجيا بعد أن منح سكانها الأمان[1] فاستقر المسلمون في مدينة تفليس [2] وشكلوا حكومة عربية إسلامية، أصبحت تلك المدينة فيما بعد قاعدة لنشر الإسلام [3] كما سيَّرَ والي الشام معاوية بن أبي سفيان جيشاً شامياً بقيادة حبيب بن مسلمة سنة 31هـ/ 652م [4] بناءاً على أمر الخليفة عثمان بن عفان ﵁ (23-36هـ/ 643-656م) وتمكن من الدخول فدخل إلى أرمينيا في السنة ذاتها [5].

استمرت عملية الفتح عبر جورجيا المعروفة آنذاك بكورة جرزان للوصول إلى تفليس التي تمثل المركز الرئيس لإدارتها، فأرسل إليه سكانها مبعوثاً من بطريقها يحمل الهدايا ويطلب منه عقد الصلح معهم فوافق الأمير حبيب على طلبهم وتم عقد الصلح بعد أن اقروا له بدفع الجزية، فسار حبيب لفتح ما تبقى من مدن الإقليم ومن الجدير بالذكر ان عمليات الفتوح توقفت بعد استشهاد الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﵁ باستثناء بعض العمليات البسيطة التي تمت ضد بعض من نكث العهود السابقة[6].

وبعد انتقال الحكم إلى الأمويين سنة 42هـ/ 662م أصبحت جورجيا (جرزان) إحدى كور أرمينيا الأربع على وفق التقسيم الإداري الإسلامي، وتحت حكم الولاة المسلمين المعينين على أرمينيا من قبل الخلفاء الأمويين، وقد عمد بعض خلفاء بني أمية

---

(1) للمزيد من التفاصيل عن فتح جورجيا ونص كتاب الأمان الذي منحه سراقة بن عمرو لأهل تفليس ينظر: الطبري، تاريخ الرسل: 4/ 157، 162 ؛ ابن الأثير، الكامل: 29-31، 85.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 358؛ سيد، أرمينية، ص63.

(3)Art: " Georgia " , In Encyclopaedia Britannica: 10 / 229.

(4) حبيب بن مسلمة: هو حبيب بن مسلمة بن مالك الأكبر بن وهب بن ثعلبة بن وائلة بن شيبان بن محارب بن فهر القرشي﵁ ، وهو صحابي جليل، يكنى أبا عبد الرحمن ويقال له حبيب الدروب، أو حبيب الروم لكثرة دخوله إليهم ونيله منهم، سيَّرَهُ معاوية إلى أرمينيا والياً عليها فمات بها سنة 42هـ/ 662م. ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة: 1/ 448ـ449.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص200ـ201؛ الطبري، ، تاريخ الرسل: 4 / 157.

(6) للمزيد من التفاصيل عن تحركات الجيش الإسلامي واستشهاد الخليفة عثمان ﵁ ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ : 3/ 31؛ طه، الحياة العامة، ص42.

إلى تعيين الولاة من بينهم لإدارة حكم جورجيا[1] أما سلطة البطارقة الأرمن والجورجيين فقد بقيت قائمة بشكل اسمي لإدارة الأمور الخاصة برعاياهم [2] فوقع اختيار الخليفة مروان بن محمد (127-132هـ/ 732-749م) على الأمير اشوط، وهو أحد أبناء البيت البقراطي الأرمني الحاكم في أرمينيا فعينه بطريقاً على كور أرمينيا الأربعة وبضمنها جورجيا، إذ توالى أبناء تلك الأسرة على منصب البطريق فيما بعد[3] ونجح الولاة المسلمون في إحباط جميع المؤامرات والدسائس التي حاولت الإمبراطورية البيزنطية استغلالها لإيقاف عمليات الفتح العربي الإسلامي[4]، فضلاً عن المحاولات المتعددة للجورجيين من أجل استعادة السيطرة على بلادهم من ناحية، وطبيعة البلاد الجبلية التي امتازت بالوعورة من ناحية أخرى[5] .

وفي العصر العباسي بقي إقليم جورجيا خاضعاً لسلطة المسلمين، وقد انتقلت إدارته إلى العباسيين بعد سنة 132 هـ/ 749م وامتاز بقوة إدارته وانضباطها في ذلك العصر، خاصة وان ولاته كانوا يعينون مباشرة من قبل الخليفة العباسي، وذلك يعني أن العباسيين قد اتبعوا الأسلوب الإداري نفسه الذي اتبع في تلك البلاد منذ الفتح الإسلامي في العهد الراشدي وطوال العهد الأموي وهو تعيين ولاة مسلمين إلى جانب أمراء محليين (البطارقة) من البيت البقراطي وبشكل وراثي على العكس من نظام الولاية ففي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور(136-158هـ/ 754-775م) تم تعيين ساهاك البقراطي بطريقاً على أرمينيا[6] .

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص208؛ الطبري، تاريخ الرسل: 7/ 91.

(2) شاكر مصطفى، دولة بني العباس (الكويت: 1974م): 2/ 489.

(3) طه، الحياة العامة، ص190.

(4) عزت، تأريخ القوقاز، ص35.

(5) صبرة، دراسات، ص427؛ مصطفى، دولة بني العباس: 2/ 288.

(6) طه، الحياة العامة، ص190.



لقد كانت مهمة الدفاع عن جورجيا وأرمينيا من مسؤوليات الدولة العباسية، فقد أرسل الخليفة المنصور جيشاً لقتال الأتراك [الخزر] الذين أغاروا على أرمينيا وجورجيا في سنة 148هـ/ 765م ودمروا عدداً من مدنها المهمة ((وعاثوا بتفليس))[1] إلا أنهم لم يدركوهم بسبب انسحابهم عنها، وأشار أبو الفضائل إلى الرواية نفسها إلا أنه اختلف في ذكر سنة وقوعها، فقد أشار إلى أنها كانت في سنة 149 هـ/ 766م.

كما عَيَّنَ المهدي(159-169هـ/ 775-785م) تاجات انتزفاستي بطريقا، واتبع الخليفة الرشيد (170-193هـ/ 786-808م) سياسة أسلافه نفسها فعين اشوط بن سمباط البقراطي بطريقا على أرمينيا في سنة 190هـ/ 806م، كما عَيَّنَ الخليفة المعتصم بالله (218-227هـ/ 833-842م) سهل بن سمباط بطريقا للبطارقة ومنحه تاج البطرقة لتعاونه مع الجيش العربي الإسلامي في القضاء على ثورة بابك الخرمي والقبض عليه [2] وجمع الخليفة المعتصم لسهل بن سمباط كُور أران وجورجيا وأرمينيا [3] .

لقد كان لكل من الأميرين المهام الخاصة بهما فيتولى الأمير العربي المسلم جباية الجزية والخَراج وقيادة الحامية الإسلامية، بينما يتولى الأمير المحلي (البطريق) مهمة حفظ الأمن والاستقرار في البلاد وإدارة الأمور الخاصة بالسكان، وقد ساعد ذلك الإجراء

---

(1) الطبري، تأريخ الرسل: 8/ 27 ؛ أبو الفضائل محمد بن علي الحموي، التأريخ المنصوري، باعتناء: بطرس غريازنيونج (موسكو: 1963م)، ص91.

(2) بابك الخرمي: رجل فارسي الأصل خرج عن طاعة العباسيين في سنة 201هـ/ 816 م، وادعى النبوة واتبعه الداويدانية أصحاب جاويدان بن سهل صاحب البذ ، وادعى أن روح جاويدان دخلت فيه ، وأخذ في العبث والفساد وتفسير جاويدان الدائم الباقي ، ومعنى خرم فرج ، وهي مقالات المجوس والرجل منهم ينكح أمه وأخته وآبنته ، ولهذا يسمونه دين الفرج ، ويعتقدون مذهب التناسخ ، وأن الأرواح تنتقل من حيوان إلى غيره، فارسل المعتصم قائده الافشين لحربه، ونجح في إلقاء القبض عليه في سنة 220هـ/ 817 م، وتم صلبه في سامراء. للمزيد من التفاصيل ينظر: الطبري ؛ نفسه: 5/ 139 ؛ آبن الأثير، الكامل: 5/ 432.

(3) طه، الحياة العامة، ص190.



على استمرار تبعية البلاد الإدارية للدولة الإسلامية ودفع الجزية والخراج طوال العصر العباسي الأول [1].

أما في العصر الثاني فان مجيء خلفاء ضعاف، لم يكونوا بحنكة الخلفاء الأولين ومقدرتهم من جانب، وسيطرة العناصر الأجنبية على مؤسسة الخلافة من جانب آخر، مّما أدى إلى ضعف الحكم العربي الإسلامي في تلك البلاد، كما شجع الأمراء المحليين على التمرد ضد الولاة العباسيين[2] من أجل إبعادهم عن حكم الإقليم والانفراد به، وظهر ذلك واضحا في تمرد البطريق بقراط بن اشوط في مدينة خلاط طالباً الإمارة على ذلك الإقليم في سنة 237هـ/ 854م[3] وقد استجاب لدعوته جميع بطارقة أرمينيا، وقتلوا الأمير العربي المسلم يوسف بن محمد المروزي[4] فوجه الخليفة المتوكل (232-247هـ/ 846-861م) قائده بغا على رأس جيش في السنة ذاتها[5] لغرض إخضاعهم والثار لمقتل الأمير يوسف فدخل معهم في قتال ونجح في إلحاق الهزيمة بهم، وأسر اشوط ثم دخل مدينة دبيل [6] ومنها إلى تفليس فأخضعها في سنة 240هـ/ 855هـ [7] إلا أن جورجيا انقسمت إثرَ تلك الحوادث إلى قسمين جورجيا الأصلية وبلاد الأبخاز،

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس: 2/ 489.

(2) أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي (بيروت: د/ ت): 2/ 481،489 ؛ مؤلف مجهول، العيون والحدائق: 3 / 546-547.

(3) الطبري، تأريخ الرسل: 9/ 187ـ188؛ آبن الأثير، الكامل: 7/ 59.

(4) آبن العبري، تأريخ مختصر الدول، ص144؛ تأريخ الزمان، ترجمة: إسحق أرملة (بيروت: 1991م)، ص38؛ طه، الحياة العامة، ص192،226.

(5) بينما يشير الحموي إلى أن ذلك تم في سنة 240هـ/ 854م. ينظر: أبو الفضائل الحموي، التأريخ المنصوري، ص109. إلا أن التاريخ الأصح هو سنة 237هـ/ 854م، وذلك لاتفاق المؤرخين عليه، فضلا عن كونهم أقرب زمنياً إلى الحدث.

(6) دبيل: مدينة في أرمينيا تتاخم مع إقليم اران، وكانت ثغرا فتحه حبيب بن مسلمة في أيام الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، وصالح أهلها.ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 439.

(7) الطبري، تأريخ الرسل: 9/ 187ـ188؛ آبن الأثير، الكامل: 7/ 89.



وكل من المقاطعتين تجزأت إلى أجزاء صغيرة تحت حكم الأمـراء المحلـيين وبـذلك انهـارت وحـدة البلاد ودبت الفوضى[1] مّما شجع البقراطيين علـى الـسعي مـن أجـل الاسـتقلال بحكم البلاد وتوحيدها تحت نفوذهم.

وعلى الرغم من أن اشوط بن سمباط البقراطي قد قام بحركات التمـرد المتكـررة، فقد اختير بطريقا للبطارقة في سنة 247هـ/ 862م، مقابل وقوفه في نهايـة الأمـر إلى جانـب القوات العباسية ضد حركات العصيان، وبـذلك انتهـى حكـم الـولاة العـرب المـسلمين، وأُعتُرِفَ للجورجيين والأرمن

بحكم إقليمهم منذ سنة 272هـ/ 885م[2] فكان سمباط بـن آشـوط أول مـن تلقـب بالملوكية، واعتلى عرش أرمينيا الكبـرى التي شملت معظم بلاد القوقـاز وهـذا مـا سـيتم تناوله في الفصل الأول من هذه الأطروحة.

---

(1) عزت، تأريخ القوقاز، ص35؛ بارتولد، مادة "أبخاز"، دائرة المعارف الإسلامية: 1/ 21.

(2) الكساندر خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية في أرمينية، ترجمة: شوكت يوسف (دمـشق:1993م): 1/ 37؛ مصطفى، دولة بني العباس: 2/ 290؛

A.K.Sanjjian ,The Armenian Communities In Syria Under Ottoman Dominion (Cambridge: 1965) , P. 7.





5

# الفصل الثاني

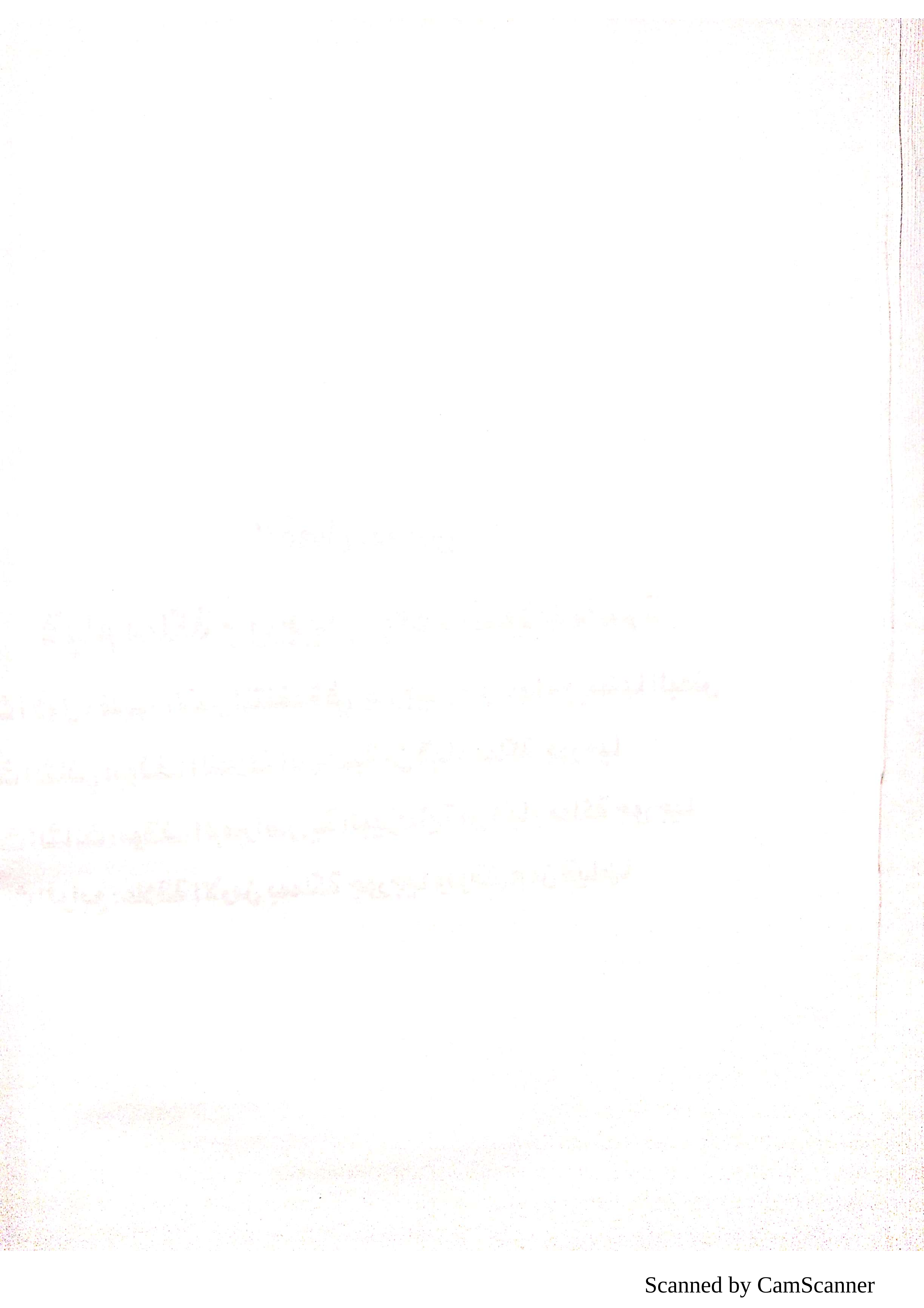
# قيام مملكة جورجيا وموقف القوة المعاصرة

المبحث الأول : ظهور الأسر المتنفذة في جورجيا وصراعها مع بعضها البعض

المبحث الثاني :موقف الخلافة العباسية من قيام مملكة جورجيا

المبحث الثالث :موقف الإمبراطورية البيزنطية من قيام مملكة جورجيا

المبحث الرابع :علاقة الأرمن بمملكة جورجيا وموقفهم من قيامها



## المبحث الأول

## ظهور الأسر المتنفذة في جورجيا وصراعها مع بعضها البعض [1]

### أولاً : الأسر الجورجية المتنفذة

لقد عامل الخلفاء المسلمون بلاد القوقاز معاملة مناطق التخوم والثغور الأخرى في الدولة العربية الإسلامية، إذ اتبع فيها نظام السلطتين سلطة الوالي المسلم وسلطة الأمراء المحليين إذ نلمس ذلك من خلال روايات بعض المؤرخين [2] عن تمردات أولئك الحكام ضد الولاة المسلمين وشكلوا وباستمرار أسراً حاكمة تتوارث الحكم وتشكل نوعاً من السلطات الإقطاعية التي تمتلك مع الكنيسة التي يرأسها (الجاثليق) [3] معظم الأراضي [4] ونتيجة لذلك برز في جورجيا العديد من الأسر الإقطاعية ومن أبرز تلك الأسر التي ارتبطت بالحياة السياسية آنذاك هي الأسرة البقراطية والأسرة الأوربلية [5] لذلك سنقتصر على تقديم نبذة موجزة لكل من الأسرتين:-

---

(1) لم تقدم مصادر التأريخ الإسلامي إلا إشارات قليلة عن الأسر الجورجية الإقطاعية والصراع الذي نشب فيما بينها وأصول هذه الأسر، لذا فقد اعتمدنا على المراجع الحديثة سواءاً العربية منها أم الأجنبية التي اعتمدت في الوقت ذاته على مصادر بيزنطية وجورجية وأرمنية قديمة لم نتمكن من الوصول إليها لعدم توفرها في مكتباتنا.

(2) اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي: 2 / 481، 489 ؛ الطبري، تأريخ الرسل: 9 / 187-188.

(3) الجاثليق: لقب يطلق على رئيس الكنيسة الأرمنية والجورجية، وواحدة من الدرجات الكهنوتية المسيحية، ويعد أعلى مركز ديني وروحي لدى الجورجيين والأرمن، وأول من انتخب لتولي هذا المنصب كريكور المنور. للمزيد من التفاصيل ينظر: المدور، الأرمن، ص 278، 279، 286 ؛ يوشع براور، عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبدة قاسم ومحمد خليفة حسن (القاهرة: 1999م)، ص 83.

(4) مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 489.

(5)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 621-623.





## أ ـ الأسرة البقراطية

تعد الأسرة البقراطية من أبرز الأسر الإقطاعية في جورجيا ذات أصل أرمني بل وفرع من أفرع الأسرة البقراطية في أرمينيا الكبرى، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها الأمير بقراط، ولقد ارتبط الفرع البقراطي الجورجي بالإمبراطورية البيزنطية لكونهم من الأسر الأرستقراطية التي تسير في خط السياسة البيزنطية [1] وكان ذلك على العكس من أبناء عمومتهم حكام أرمينيا الكبرى الذين ارتبطوا بالدولة العربية الإسلامية منذ سنة 19 هـ / 640م بحكم العامل الجغرافي والسياسي أي تبعيتهم لسلطة الخليفة المسلم [2].

وعلى الرغم من ذلك فقد حصلت الأسرة البقراطية الجورجية على دعم حكام أرمينيا بحكم صلة القربى التي تربطهم، ممّا مكنهم من التفوق على الأسر الإقطاعية الأخرى، ولم يكد العصر الأموي يشرف على الانتهاء في النصف الأول من القرن الثاني الهجري / النصف الأول من القرن الثامن الميلادي إلا وأصبح الأمراء البقراطيون يتوارثون حكم البلاد بشكل رسمي عن طريق اعتراف الخلافة بهم، وخاصة في عهد الخليفة مروان بن محمد الذي عيّن الأمير آشوط بطريقاً على أرمينيا وجورجيا في سنة 114هـ/ 732م كما أسلفنا وكان ذلك مكافأة له وللأمراء البقراطيين الآخرين على تعاونهم مع الولاة المسلمين في حفظ الأمن والاستقرار في البلاد [3]، واستمر ذلك التعاون خلال العصر العباسي الأول، إذ شعر الخلفاء ولاسيما أبو جعفر المنصور منهم

---

(1) Charles Diehl , Byzantium: Geatness And Decline , Tran. From The French By: Naomi Walford (New Jereey: 1957) , P. 114.

(2) صبرة، دراسات، ص 436.

(3) المدور، الأرمن، ص 202 ؛ طه، الحياة العامة، ص 112.

بضرورة التعاون مع أولئك الأمراء لإقرار الأمن وضمان تبعية تلك البلاد لدولته الجديدة[1] .

أخذت سلطة الأمراء البقراطيين تزداد شيئاً فشيئاً بسبب الأوضاع السياسية المضطربة التي عاشتها المنطقة آنذاك، فأصبحوا يتولون الحكم بشكل وراثي ثم توجوا ملوكاً باعتراف كل من الخليفة العباسي والإمبراطور البيزنطي في سنة 272هـ/ 885م [2] وعلى الرغم من ذلك فقد دخلوا في صراع مع أمراء الأسرة الأوربلية التي أخذ نفوذها يتعاظم إلى درجة التنافس مع الأسرة البقراطية على حكم البلاد من خلال إعلانها التمرد لأكثر من مرة، فضلاً عن قيامها بمناصرة الأمراء البقراطيين أحدهم على حساب الآخر [3] وهذا ما سنوضحه في الصفحات التالية.

## ب ـ الأسرة الأوربلية

برزت هذه الأسرة إلى جانب الأسرة البقراطية، وهي أسرة جورجية قديمة استوطنت الوادي الشمالي لمدينة ميتسخت العاصمة القديمة لجورجيا في حوالي سنة 350ق م، وأرجع بعض المؤرخين أصولها التأريخية إلى الصين [4].

إن هذا الرأي ليس مؤكداً، إذ لا يوجد ما يدلل على ذلك بشكل قاطع، لذا فان احتمالية رجوع أصولها إلى العرق الجورجي أقرب إلى الصواب، وممّا يدفعنا إلى ترجيح هذا الرأي هو قِدَمُ استيطان هذه الأسرة في جورجيا الذي يتزامن تقريباً مع الحقبة نفسها التي استوطن فيها الشعب الجورجي في موطنه الأول عقب هجرته من أواسط آسيا

---

(1)الطبري، تأريخ الرسل: 8 / 27 ؛ أبو الفضائل الحموي، التأريخ المنصوري، ص 91 ؛ المدور، نفسه، ص 202 ؛ مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 293.

(2) مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 290 ؛ خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1 / 290 ؛
A. A. Vazilive , History Of Byzantine Empire " 324 - 1456 " (Athens : 1985 ): 1 / 378 ; Sanjian , The Armenian Communities In Syria , P. 7.

(3) عزت، تأريخ القوقاز، ص 29.

(4)المرجع نفسه: ص 29.

واستقراره في حوض نهر، الكر وشكلت أسرة من أعرق الأسر الإقطاعية الجورجية الكبيرة من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا إذا ما تتبعنا أسماء أفراد هذه الأسرة، فانهم حملوا أسماء وكنى يغلب عليها الطابع القوقازي كأوربليان وايفان، إذ يكثر استخدام الألف والنون في أسمائها.

اعتمدت هذه الأسرة على النظام الوراثي الإقطاعي كأي أسرة إقطاعية أخرى [1] وبعد أن قوي مركزها مع بدايات استقلال جورجيا في سنة 272هـ/ 885م، بدأت تتطلع إلى اتخاذ دورها في الحياة السياسية الجورجية ولاسيما بعد أن بدأ أمراؤها يتولون المناصب في جورجيا ثم نقل مركزها إلى ولاية ثرياليت التي تعد من المدن الجورجية الكبيرة [2].

سميت هذه الأسرة بالأسرة الأوربلية نسبة إلى كبيرها المدعو أوربليان، كما أنها دخلت في صراعات ومشاحنات قوية مع ولاية أذربيجان الإسلامية منذ قيامها في سنة 278هـ/ 900م من أجل الاستحواذ على مناطق النفوذ، وازداد هذا الصراع عندما أخذت الأسرة الساجية [3] تستقل بحكمها عن سلطة الخلافة العباسية في بغداد، فبلغت

---

(1) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1 / 39 ؛

Sanjian , Armenian Communities , P. 7.

(2) عزت، تأريخ القوقاز، ص 28 ؛

Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 57

(3) الأسرة الساجية: بعد أن قضى محمد بن أبي الساج الملقب بالافشين في عهد الخليفة المعتصم بالله على تمرد بابك الخرمي، تولى حكم ارمينيا وأذربيجان ، إلا أنه لم يلبث أن خرج عن طاعة الخليفة في سنة 220هـ/ 817 م، ولم يزل والياً على أرمينيا وأذربيجان، وفي سنة 303هـ/ 915م تولى الأمير بن أبي الساج الذي بقي على عصيانه، ولم تفلح المحاولات التي وجهت من أجل إخضاعه، وأصبح شبه مستقل بالمناطق التي يحكمها. ينظر: احمد عبد الكريم سليمان، المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط (القاهرة: 1982م): 1 / 59 – 72 ؛ موفق سالم نوري، العلاقات العباسية البيزنطية (132–247هـ/ 750–861م) (بغداد: 1990م)، ص 237 – 244.





الأسرة الأوربلية الإقطاعية ذات الأصل الجورجي من القوة ما جعلها من أكبر المنافسين السياسيين للأسرة البقراطية الحاكمة في جورجيا [1].

## ثانياً: الصراعات السياسية بين الأسر الجورجية المتنفذة

إنَّ ما وصلت إليه الأسرة الأوربلية من نفوذ سياسي في جورجيا جعلها من أقوى الأسر المنافسة للأسرة البقراطية من أجل الاستئثار بحكم البلاد إلا إنها بلغت أوج قوتها في عهد الأمير ليبريت الثالث الذي يعد من أبرز أمراء تلك الأسرة إذا عاصر الملك الجورجي بقراط الرابع (481- 465هـ/ 1027-1072م) [2].

سعى ليبريت جاهداً من أجل كسب ود الإمبراطورية البيزنطية للحصول على تأييدها ودعمها في صراعه مع أمراء البيت البقراطي فعقد تحالفاً معها [3] وأصبح الحليف الأول لها ممّا شجعه على مهاجمة مدينة تفليس، فدخلها وأسر واليها المسلم جعفر الساجي التابع لوالي أذربيجان، فكان لأسرهِ اثرٌ كبيرٌ في نفس الملك بقراط الرابع الذي توسط من أجل إطلاق سراحه حتى تم له ذلك [4] ولم يكن ذلك حباً وخشيةً على الأمير جعفر، وإنما لمنع وقوع المدينة بيد الأمير ليبريت لإدراكه التام بأن وقوعها بيده سيقلب ميزان القوة لمصلحة الأسرة الأوربلية ويزيد من نفوذها، فيصبح ليبريت منافساً قوياً له،ممّا اضطر البيزنطيين إلى التدخل فيما بينهما ونجحوا في حل النزاع في سنة 439هـ / 1047م [5]، وعلى الرغم من ذلك واصل الأمير ليبريت نشاطه، وخاصةً في بداية المد السلجوقي في عهد طغرلبك[6] باتجاه بلاد القوقاز في الجهات الواقعة غرب بحر قزوين فشكل تحالفاً مع

---

(1)صبرة، دراسات، ص 443-444 ؛ عزت، تأريخ القوقاز، ص 209.

(2)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4. 622.

(3 ) Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 61.

(4)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4/622.

(5) Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 178.

(6) طغرلبك: وهو ركن الدولة أبو طالب طغرلبك محمد بن ميكائيل بن سلجوق، ويعد طغرلبك (429-455هـ/ 1037-1-63م) مؤسس الدولة السلجوقية وأول سلاطينها، والذي أصبح





البيزنطيين لإيقاف الزحف السلجوقي إلا أن ما شغله عن تنفيذ مشروعه دخوله في صِدام مع الملك بقراط الرابع في سنة 430هـ/ 1038م، وأسفر ذلك عن نجاح ليبريت في تحقيق مكاسب على حساب النفوذ البيزنطي، ومد مناطق نفوذه إلى الجزء الغربي من مملكة جورجيا خلال السنوات (437-439هـ/ 1045-1047م)، ممّا ضطر الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع إلى التدخل من أجل حل النزاع الذي نشب بين حليفه ليبريت الثالث والملك بقراط الرابع [1] الأمر الذي ساعد على تخفيف حدة الصراع وإنهائه بحدوث تسوية بين الطرفين مُنِح بموجبها الامير ليبريت بعض الاقطاعات، فضلاً عن اقطاعاته القديمة، كما تسنم الأخير بموجب هذه التسوية مركزاً مرموقاً ومنصباً مهماً في الأمور السياسية للمملكة إذ نُصِّبَ قائداً عاماً للقوات الجورجية [2] فقاد جيوش المملكة سنة 440هـ/ 1048م متوجهاً إلى أرمينيا الكبرى لصد القوات السلجوقية التي يقودها الأمير إبراهيم اينال – شقيق السلطان طغرلبك لأُمّهِ – [3] إلا أنه فشل في ذلك، فوقع في

---

مسئولاً عن حماية الخلافة العباسية، وتوحيد العالم الإسلامي الذي كانت تتنازعُهُ الخلافة الفاطمية مع العباسيين، وكان يمتلك القوة الكافية لذلك، فبعد أن دخل بغداد في سنة 447هـ/ 1055م، منحه الخليفة العباسي لقب السلطنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم (بيروت: 1413هـ): 15 / 139 ؛ 18 / 106 ؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية (بيروت: د/ ت): 12 / 431 ؛ == == القلقشندي، مآثر النافة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج (الكويت: 1985م):1/ 338 ؛ ميسون هاشم مجيد، أوضاع بلاد الشام العامة قبيل الغزو الصليبي (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب ـ جامعة الموصل: 1996م)، ص 18.

(1)Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 57 ; Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 178.

(2)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 622.

(3) ابن الأثير، الكامل: 9 / 456 ؛ سليمان، المسلمون والبيزنطيون: 1 / 223.



الأسر السلجوقي بعد أن هزمت قواته، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في المبحث الخاص بالعلاقات الجورجية السلجوقية[1].

عاد ليبريت إلى جورجيا في سنة 443هـ/ 1051م بعد أن فُكَّ أسرُهُ، واستقر به الحال في ولاية ثرياليت حيث مقر عائلته ومارس منصبه السابق، إلا أنه أخذ بالتقرب من البيزنطيين أكثر من ذي قبل مما ساعده على تحقيق أهدافه مستغلاً سوء العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية والملك بقراط الرابع الذي أُحتجِزَ في القسطنطينية إثر زيارته لها في سنة 446هـ/ 1054م، وبقي محتجزاً فيها ما يقارب ثلاث سنين، فأصبح العرش شاغراً لمن يشغُلهُ فقام الأمير ليبريت بحكم منصبه بتنصيب أحد أبناء البيت البقراطي ملكاً على جورجيا وجعل من نفسه وصياً عليه، إلا أن سياسته الاضطهادية التي اتبعها تجاه الأمراء الجورجيين وتسلطه على أمور الحكم في المملكة دفع أولئك الأمراء إلى التعاون مع الملك بقراط الرابع بعد إطلاق سراحه فنجح في إلقاء القبض على ليبريت في سنة 451هـ/ 1059م وأدخله الدير، ونُصِّبَ بقراط الرابع ملكاً على جورجيا للمرة الثانية بعد أن أنقذ المملكة من استبداد الأمير ليبريت [2].

لقد أدى ذلك إلى استياء أمراء الأسرة الأوربلية، فأعلنوا التمرد والعصيان إلا أن الملك بقراط نجح في مواجهة ذلك التمرد واحتوائه من خلال تقديم التنازلات لهم، واستمر ولده الملك جورج الثاني (465-482هـ/ 1072-1089م) في إتباع سياسة الاحتواء تجاه الأسرة الأوربلية وأمرائها [3].

إن اعتلاء الملك داؤد الثالث العرش (482 – 518هـ/ 1089-1124م) كان مقروناً بازدياد تهديدات البيت الأوربلي، فقد قامت العديد من التمردات بقيادة الأمير إيفان، إلا أنه نجح في إفشالها بالقوة، واتبع سياسة مغايرة لسياسة أسلافه التي كانت قائمة على

---

(1) ابن الأثير، نفسه: 9/ 456؛ Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 57.

(2)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 622.

(3)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 623.

إبعادهم عن المناصب العليا في المملكة، وبموت الملك داؤد الثالث سنة 518هـ/ 1124م [1] اتبع ولده ديمتري الأول (518-551هـ/ 1125-1156م) السياسة ذاتها حتى أيامه الأخيرة حيث ترهبن ودخل الدير، ولم يترك وريثاً للعرش سوى ولده الصغير داؤد الرابع الذي لم يبلغ سن الرشد، مّما اضطره إلى تسليم الحكم لشقيقه الصغير جورج الثالث (551-580هـ/ 1156-1184م) ليدير أمور المملكة على أن يسلم العرش لولده الصغير حال بلوغه، كما أوصى الأمير إيفان بالإشراف على الوصية وتنفيذها عندما يحين موعدها [2].

اعتلى الملك جورج الثالث العرش بموجب تلك الوصية، فأدرك ضرورة تقوية العائلات الإقطاعية، ولاسيما الأسرة الأوربلية وتوثيق أواصر الود والصداقة معها من خلال إسناد المناصب العليا لهم لغرض الحصول على مساندتهم ودعمهم لبقائه في الحكم عندما يبلغ آبن شقيقه سن الرشد، كما زاد ذلك من مكانة ونفوذ الأسرة الأوربلية وأميرها إيفان الذي كان له دورٌ كبيرٌ في الهجوم الجورجي سنة 556هـ/ 1160م على مدينة آني [3] العاصمة القديمة لأرمينيا الكبرى والتابعة للحكام المسلمين من بني شداد منذ الفتح السلجوقي في سنة 455هـ/ 1063م، إذ حقق الجورجيون انتصاراً على بني شداد، فتمكنوا من احتلال المدينة في السنة ذاتها [4]، ويرجع الفضل في الانتصار الكبير الذي حققه البقراطيون وأتباعهم إلى الأمير إيفان

---

(1) الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد (الكويت: 1948م): 4/ 42.

(2)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 623.

(3) آني: بنيت مدينة آني في عهد الملك آشوط الثالث (341-367هـ/ 925-977م) وأصبحت مقرَ ملكهِ وعاصمة أرمينيا الكبرى. للمزيد من التفاصيل ينظر: سترك، مادة "**أرمينيا**" دائرة المعارف الإسلامية: 1/ 647.

(4) C. E. Bosworth , The Politiccal And Dynastic History Of The Iranian World , In Cam. His. Of Iran (Cambridge: 1975): 6 / 179 ; C. Cahen , Pre – Ottoman Turkey (London: 1968) , P. 70 ; W. Madelung , The Minor Dynasties Of Noethren Iran , In Cam. His. Of Iran: 4 / 243.



الأوربلي ورجال الأسرة الأوربلية، من خلال تشجيعه واغراءه المتواصل للملك جورج الثالث في استعادة مدينة آني وغيرها من البلاد الجورجية والأرمنية التي خرجت من أيدي البقراطيين، ونظراً لما تمتع به الأمير الشاب ايفان من ذكاء حاد ومقدرة عسكرية، فقد حظي بمكانة مرموقة، وأصبح مقرباً من الملك جورج الثالث، إلا أنه لم يلبث أن دخل في صراع طويل معه [1].

ففي سنة 573هـ/ 1177م وصل الأمير داؤد الرابع إلى سن الرشد، فكان لابد له أن يُنصَب ملكاً على البلاد بدلاً من عمه الملك جورج الثالث، على وفق الوصية السابقة الذكر، وكان ذلك بتشجيع أمراء البيت الأوربلي والعائلات الإقطاعية الأخرى، ممّا أدى إلى توتر العلاقات بين الملك جورج الثالث وأمراء تلك الأسر، وخاصةً الأسرة الأوربلية التي عدت نفسها المسؤولة عن تنفيذ الوصية، فانقلبت سياسته من مهادنتهم وكسبهم إلى إتباع سياسة العنف والقوة معهم، ممّا اضطر الأمراء الاوربليون إلى القيام بعدة محاولات بالتخلص منه [2].

إنَّ هذا التغيير المفاجئ الذي طرأ على سياسة ملك جورجيا جورج الثالث التي انتهجها تجاه الأسر الإقطاعية الجورجية المتنفذة كان محفزاً قوياً للأمير داؤد الرابع على المطالبة بحقه في وراثة عرش مملكة جورجيا مستغلاً تذمر هذه الأسر التي ما أن وجدت في الأمير الجورجي داؤد الاستعداد التام لاعتلاء العرش حتى هرعت إلى تأييده ضد عمه فما كان من الأمير ايفان الذي بقي محافظاً على عهده الملك ديمتري الأول، ومتذكراً الوصية التي أوصاه بها، فتبنى قضية الأمير داؤد مع عمه [3]، وانضم إليهم في حركتهم هذه ما يقرب الثلاثين ألفا من سكان مملكة لوري الأرمنية [4]،

---

(1) صبرة، دراسات، ص 465.

(2)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 622.

(3)Toumanoff , Ibid: 4 / 623.

(4) لوري: مملكة أرمنية صغيرة قامت في أواخر القرن العاشر الميلادي في شمال أرمينيا الكبرى، إثر انقسامها، للمزيد من التفاصيل ينظر: أميل، تأريخ أرمينيا، ص 27.

ولكن وصـــول الأخبار بتحرك الاتـابك ايلـدكز [1] صـاحب أذربيجـان إلى جورجيا[2] أدى إلى انسحاب أنصار الأمير ايفان الأوربلي خشيةً من وصـول القـوات الإسـلامية إلى مملكتهم، فتركوه تحت رحمة الملك جورج الثالث الذي ألقى القبض عليه وأودعه الـسجن، ثم أمر بسمل عينيه ولم يَكتفِ بذلك بل قام بطـرد جميـع رجـال ونـساء الأسـرة الأوربليـة من اقطاعاتهم التي ورثوها من قبل [3].

لقد كان الرد الأوربلي على إجراء الملك جورج الثالـث حيـث تـولى أمـر المقاومـة الأمير ليبريت الخامس شقيق الأمير ايفان إلا أنه لم يتمكن من تحقيق هدفه بـسبب ضـعف قوة الأسرة الأوربلية مقارنةً بما كانت عليه في السابق من ناحية والقوة التي تمتع بهـا الملـك جورج الثالث من ناحية أخرى، إذ نجح في ضبط الأمور من خـلال الـضرب علـى أيـدي الأمراء الذين يشك في أمرهم، ممّا اضطر الأمير ليبريت الخـامس إلى تـرك الـبلاد متوجهـاً إلى بلاد فارس وبصحبته ولده الكـبير، أمـا ولـده الأصـغر فقـد اتجـه إلى مدينـة كنجـة [4] وبذلك يكون أمر هذه الأسرة قد ضعف تماماً وتلاشى في مرحلة تكوين المملكـة، إلا أنهـا لم تلبث أن عادت إلى معترك السياسة الجورجية في عصر القـوة والازدهـار، وتـابع أمرهـا

---

(1)ايلدكز: هو شمس الدين ايلدكز المؤسس الأول للأسـرة الايلدكزيـة، وكـان في بدايـة حياتـه مملوكـاً لكمال الدين الشهيد بن السلطان محمود، ولمـا قتـل الكمـال سـار إلى الـسلطان، وترقـى في كتـب الولاية ولما تولى السلطان مسعود ولاه على ارانية، فاستولى عليها، وبقيـت طاعتـه للملـوك علـى البعد فاستولى على اكثر أذربيجان، واصبح اتابكاً للسطان ارسلان بن مـسعود، فـنجح في تثبيـت مركزه، ثم ملك همذان واصفهان والري، وخطب لابن زوجته السلطان ارسـلان، وبلـغ عـسكره خمسين ألفا واتسعت دائرة نفوذه من تفليس إلى مكران، واصبح ايلـدكز متحكمـا علـى ارسـلان، وبذلك اصبح أقوى حاكم مسلم في بلاد القوقاز إلى درجة تلقبه بالاتابك == == الأعظم. ينظر: ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: 5/ 83 ؛ ستانلي لين بول، الدولة الإسلامية، تصحيح: بارتولد، ترجمة: محمد صبحي فرزان (دمشق: 1974م): 1 / 365.

(2) R. Grousset , Histoire Des Crisades (Paris: 1936): 3 / 231.

(3)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 622- 623.

(4) صبرة، دراسات، ص 466.





أبناء الأمير ليبريت الخامس لكنهم أصبحوا أمراء تابعين للبيت البقراطي، وتولـوا مناصـب عليـا في المملكة، فكانوا بحق من بُناة عصرها الذهبي وزيادة قوتها ونفوذهـا، وهـذا مـا سنوضـحه بالتفـصيل أثناء الحديث عن عهد الملكة تمارا (580-609هـ/ 1184-1212م) [1].

(1) Toumanoff, Armenia And Georgia, In Cam. His.: 4 / 622- 623.

## المبحث الثاني

## موقف الخلافة العباسية من قيام مملكة جورجيا

إنَّ قصة العلاقات الجورجية - العباسية في تلك الحقبة ما هي إلا قصة ظهور مملكة أرمينيا الكبرى وجورجيا على يد العائلة البقراطية الأرمنية الحاكمة في كل منهما [1] إذ إن تلك الأسرة نجحت في كسب جانب الخلفاء المسلمين منذ العهد الأموي عن طريق مؤازرتهم ضد مناوئيهم على الحكم، وخاصةً قتالهم إلى جانب الخليفة الأموي مروان بن محمد ضد الخلافة العباسية في بداية قيامها سنة 132هـ/ 749م، ممّا كان له اثرٌ واضحٌ في سياسة العباسيين الأولين تجاههم، فكان ذلك سبباً في إبعادهم عن الأمور الإدارية في أرمينيا في بداية العصر العباسي الأول، ممّا جعلهم يتخذون موقفاً معادياً للعباسيين بل تعدوا ذلك إلى إعلان تمردهم في سنة 137هـ/ 754م، إلا أن الخليفة أبا جعفر المنصور تمكن من إعادة الاستقرار إلى أرمينيا عندما أعاد هذه الأسرة إلى دست الحكم [2] بعد أن شعر بضرورة التعاون مع الأمراء البقراطيين وكسب ودهم لصد هجمات الخزر التي تعرضت لها أرمينيا، وقد أشار الطبري إلى القوات التي أرسلها المنصور لصد الهجمات الخزرية في سنة 148هـ/ 765م، إلا أن الخزر انسحبوا قبيل وصول القوات العباسية بعد أن دمروا عدداً من المدن والقرى ((وعاثوا بتفليس)) [3].

استمر خلفاء العصر العباسي الثاني في إتباع السياسة نفسها التي اعتمدها أسلافهم كالمنصور والمهدي، إلا أن كثرة حركات التمرد والعصيان في المنطقة بسبب طبيعتها الجبلية الوعرة، وضعف الإدارة العربية الإسلامية فيها شجع الأمراء البقراطيين على السعي من أجل الاستقلال بحكم البلاد والتمرد على سلطة الخليفة مستغلين الموقع المهم

---

(1)مصطفى، دولة بني العباس: 2/ 490 ؛ خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1 / 38.

(2)المدور، الارمن، ص 202 ؛ طه، الحياة العامة، ص 112.

(3) الطبري، تأريخ الرسل: 8 / 27 ؛ أبو الفضائل الحموي، التأريخ المنصوري، ص 91 ؛ المدور، نفسه، ص 202 ؛ مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 293.



لبلادهم التي مثلت حاجزاً بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية [1]، فضلاً عن موقعها على طرق التجارة القادمة من العراق وفارس وعبر أرمينيا إلى ميناء طرابزون البيزنطي الواقع على سواحل البحر الأسود الذي يمثل ميناء التبادل الوحيد مع بيزنطة، مّما ساعد هذه المملكة على النمو الاقتصادي بشكل كبير، وبلوغها درجة كبيرة من الرخاء والازدهار في عهد الأسرة البقراطية التي سطع نجمها بفضل كبار ملوكها كالملك جورج الثالث والملكة تمارا وغيرهم [2]، وخاصةً بعد أن منح الخليفة المتوكل لقب أمير أمراء أرمينيا الكبرى لآشوط بن سمباط البقراطي في سنة 247هـ/ 862م [3].

وعلى ما يبدو أن الخليفة المتوكل كان يسعى من وراء إجرائه هذا إلى تحقيق هدفين رئيسين: هما الحفاظ على أمن واستقرار المنطقة واستمرار تبعيتها للدولة العربية الإسلامية ولو بشكل اسمي هذا من ناحية، وكسبهم إلى جانبه والاستعانة بهم في صراعه مع البيزنطيين من ناحية أخرى، كما سعى الإمبراطور البيزنطي في الوقت ذاته إلى كسب ود الجورجيين والأرمن مستغلاً حالة الضعف التي تمر بها الدولة العباسية بسبب الظروف السياسية المضطربة التي عاشتها آنذاك، والناتجة عن سيطرة العناصر الأجنبية على مقدرات الخلافة العباسية.

ومع تدهور الأوضاع السياسية لكل من القوتين المتنافستين آنذاك اعني [ العباسية والبيزنطية ][4]ازداد نفوذ الأسرة البقراطية، فقرر الخليفة العباسي المتوكل في سنة 247هـ/ 861م أن يمنح لقب أمير أمراء أرمينيا لآشوط بن سمباط (237-277هـ/ 852-890م)، وذلك في السنة الثانية من حكمه لقاء ما قدمه من خدمات وتعاون مع الخلافة من أجل حفظ الأمن والاستقرار في أرمينيا [5].

---

(1) الطبري، نفسه: 9 / 187-188 ؛ ابن الأثير، الكامل: 7 / 59.

(2) مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 490.

(3) المدور، الأرمن: 209.

(4) نوري، العلاقات العباسية البيزنطية، ص 227- 228.

(5) صبرة، دراسات، ص 429 – 430.

لم يكتفِ الأمير آشوط بلقب أمير أمراء بل كان يطمح إلى الحصول على لقب الملك ومن ثم الاستقلال التام عن سلطة الخلافة، وبعد وفاة المتوكل سنة 247هـ/ 862م [1] وتولي المعتمد على الله الخلافة (256-279هـ/ 869-892م) أصبحت الفرصة سانحة أمام آشوط وخاصةً عندما تعاون مع الخلافة العباسية التي قادها الموفق شقيق الخليفة العباسي المعتمد على الله، إذ أدى دوراً كبيراً في القضاء على التمردات التي قامت ضد الخلافة العباسية، فمنحه الخليفة لقب أمير أمراء أرمينيا وجورجيا وبلاد القوقاز، فأصبح حاكماً رسمياً في سنة 272هـ/ 885م [2] فهنأهُ الإمبراطور البيزنطي باسيل الأول، وأرسل إليه لقب الملوكية، فضلاً عن الهدايا الثمينة [3].

فأصبحت جورجيا جزءاً من مملكة أرمينيا الكبرى بشكل رسمي وبتفويض من الخليفة العباسي في بغداد، وهذا ما يدفعنا إلى الظنَّ بان الخليفة هدفَ في ذلك إلى زيادة سلطة الخلافة على جورجيا، التي كانت تتمتع بشبه استغلال وذلك بحكم بعدها عن مركز الخلافة أولا والاستعانة بالملوك الأرمن الموالين لهم ثانياً من أجل إفشال المخططات والمحاولات الجورجية-البيزنطية التي تستهدف إزالة السيادة العربية الإسلامية عن المنطقة.

وعلى الرغم من الاتفاق على أن تأريخ الاعتراف بالأمير آشوط بن سمباط ملكاً قد تم في سنة 272 هـ / 885 م، إلا أن شاكر مصطفى، ذهب إلى أن الاعتراف بالأمير آشوط كملك تم منذ زمن الفتنة بين الأمين والمأمون ابني الخليفة الرشيد، إذ منح الخليفة الأمين حكم أرمينيا وجورجيا للأمير آشوط بن سمباط وأرسل إليه

---

(1) جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تأريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: 1976م)، ص 349.

(2) ك. استارجيان، تأريخ الأمة الأرمنية (الموصل: 1951م)، ص 170-171 ؛ محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين (بيروت: د/ ت)، مج1 / ج1 / 212 ؛ أميل، تاريخ أرمينيا، ص 24 ؛ سيد، أرمينية، ص 146.

(3) مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 290 ؛ خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1 / 290 ؛ Vasiliev , History Of Byzantine: 1 / 378.



الإمبراطور البيزنطي لقب التشريف [1] الذي كان يطلقه على أقربائه وهو لقب (قربلاط) [2] إلا أن الذي يمكن ملاحظته من خلال الرواية التي أوردها شاكر مصطفى، هو عدم الجزم بإعطاء تاريخ محدد، إذ أنه ابتدأ بقوله: ((ويبدو أن ذلك كان زمن الأمين)) [3]، من ناحية، ومن ناحية أخرى فأن مدة حكم آشوط بن سمباط لا تتفق مع ما ذكره، إذ أنه يحدد المدة الزمنية لحكمه بـ (194-218هـ/ 809-833م) في حين أن مدة حكمه الحقيقية التي اجمع عليها المؤرخون كانت (237-277هـ/ 852-890م) وهي لا تتزامن مع حكم كلٍ من الخليفة الأمين أو المأمون، وإنما تتزامن مع حكم الخليفة المعتمد على الله.

وبعدَ موت آشوط الأول سنة 277هـ/ 890م تولى الحكم ولده سمباط الأول (277-302هـ/ 890-914م)، وباعتراف كلٍّ من الخليفة العباسي والإمبراطور البيزنطي باسيل الأول الذي أرسل إليه بالتاج الملكي [4] وعُرِفَ الملك سمباط الأول بنشاطه وحيويته، ممّا دفع أمراء الأقاليم المجاورة بما فيها جورجيا إلى تقديم فروض الطاعة والولاء له [5].

انقسمت الأسرة البقراطية إثر حصولها على حكم أرمينيا الكبرى بشكل كامل إلى فرعين، حكم الفرع الأول منطقة أرمينيا وهو القسم الأكثر اتصالاً من الناحية الجغرافية

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 291.

(2) قربلاط: لقب تشريفي أطلقه الإمبراطور البيزنطي على أمراء الأسرة البقراطية في جورجيا في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وكان في السابق يطلق على أفراد الأسرة الإمبراطورية كابنه وأخيه، ومعناه "**سيد القصر أو حامي القصر**". ينظر: قاسم عبدة قاسم واخرون، ندوة التاريخ الإسلامي الوسيط (القاهرة: 1982م): 1 / 188 ؛

Art " Georgia " , Encyclopaedia Britannica: 10 / 290.

(3) مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 489.

(4) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية في أرمينيا: 1 / 277 ؛

Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran: 4 / 243.

(5) Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 91.

(الموقع والحدود) والسياسية (الحكم) مع الخلافة العباسية في بغداد [1] بينما تمتع الفرع الثاني بنوع من الاستقلال في حكم جورجيا، وكان هذا الفرع اكثر ارتباطاً بالإمبراطورية البيزنطية بل ويسير في فلك السياسة البيزنطية، إذ قاموا بالعديد من المحاولات ضد الولاة العرب المسلمين في بلاد القوقاز بشكل عام وفي جورجيا بشكل خاص [2] ومما يدلل على وجود صِدامات عسكرية بين الطرفين الجورجي والعباسي والتي قد تكون بدفع من حلفائهم البيزنطيين، وهذا ما اورَدَهُ ابن الجوزي عن ورود أسرى جورجيين إلى بغداد في سنة 307هـ/ 919م ((وفي ربيع الآخر ادخل إلى بغداد مائة وخمسون أسيراً من الكرج)) [3].

وإذ ما أمعنا النظر في هذه المسألة، فإننا نلحظ بشكل واضح أن هذا الارتباط بين كلا الطرفين يرجع إلى أمرينِ مُهمينِ هما التآخم الحدودي بين جورجيا والإمبراطورية البيزنطية فضلاً عن بعد جورجيا عن مركز الخلافة العباسية قياساً بالإمبراطورية البيزنطية.

أما الأمر الثاني فقد تمثل بالجانب الديني لان الجورجيين والبيزنطيين أبناء دين ومذهب واحد، إذ اعتنق الجورجيون النصرانية وعلى المذهب الأرثوذكسي، وبذلك فان الكنيسة الجورجية تخضع في تبعيتها للكنيسة البيزنطية على العكس من الكنيسة الأرمنية التي استقلت عن الكنيسة البيزنطية في العقد الأول من القرن السادس الميلادي [4].

لقد ارتبطت جورجيا وأرمينيا من الناحية السياسية فيما بينهما، وذلك لصلة القربى والنسب التي ارتبط بها الحكام البقراطيون، فالأسرة البقراطية الحاكمة في جورجيا، فرع من الأسرة البقراطية الحاكمة في أرمينيا، لذا فان حركات التمرد جميعاً

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 489.

(2)Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 91 ; Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran: 4 / 243.

(3) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المنتظم في تأريخ الملوك والأمم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا (بيروت: 1993م): 6 / 53.

(4) ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة: 1961م)، ص 355.

والمشاكل السياسية التي حدثت في أرمينيا، أثرت بشكل سلبي أو إيجابي في جورجيا، ويمكن ملاحظة ذلك بشكل مباشر من خلال اعتراف الخليفة العباسي والإمبراطور البيزنطي، بحكم سمباط الأول على أرمينيا الكبرى ومنحه لقب ملك [1] فكان لذلكَ الاعتراف أثرٌ كبيرٌ على أبناء عمومتهم حكام جورجيا الذين لقبوا في الوقت ذاته بلقب قربلاط وهو اللقب الذي منحه الإمبراطور البيزنطي لأمراء أسرة داؤد البقراطي وظلّوا يتوارثون ذلك اللقَب والمنصب تِباعاً [2].

لقد كان لأبناء تلك الأسرة دورٌ كبيرٌ في توحيد جورجيا التي كانت منقسمة إلى قسمين الأول بلاد الابخاز والثاني بلاد الكرج الأصلية (جورجيا الشرقية)، فنجح البقراطيون في توحيد جميع أجزاء جورجيا تحت حكمهم وإنهاء الحكم الإسلامي، وعضدتهم في ذلك الكنيسة الأرمنية وطبقة رجال الدين والنبلاء الأرستقراطيين، مما مكّنَ الأمير داؤد الثاني بن سمباط (391–399هـ/ 1000–1008م) من توحيد جورجيا، وإخضاع بلاد الأبخاز على الرغم من تصديهم له بشتى أنواع الوسائل ولم يلبث الجورجيون أن ضموها إلى دائرة نفوذهم في سنة 481هـ/ 1088م، وبشكل نهائي في عهد الملك بقراط الثالث [3]، وبذلك قامت مملكة نصرانية جديدة في المنطقة [4] كان لها دورٌ فعالٌ في مجريات الأحداث التاريخية التي عاشتها بلاد القوقاز فيما بعد، وهو ما ستتطرق إليه هذه الرسالة لمعالجتهِ تفصيلياً في الفصول اللاحقة.

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس: 2، 290 ؛ خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1 / 290 ؛ أميل، تأريخ أرمينيا، ص 24 ؛ سيد، أرمينيا، ص 147.

(2) العريني، الدولة البيزنطية (د / م، القاهرة: 1965م)، ص 694 ؛
Art " Georgia " , Encyclopaedia Britannica: 10 / 290.

(3) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 621.

(4) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص 356.

## المبحث الثالث

## موقف الإمبراطورية البيزنطية من قيام مملكة جورجيا [1]

لقد كان لقيام الدولة العربية الإسلامية وازدياد قوتها في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي أثرٌ واضحٌ في تغيير معالم الخارطة السياسية للمنطقة، عما كانت عليه من ذي قبل إذ كانت تتقاسمها أعظم قوتين، وهما الإمبراطورية البيزنطية والساسانية [2]، إلا أن دورهما بدا يتضاءل اثر حركة الفتح الإسلامي التي قضت على إمبراطورية فارس وأسقطتها بعد توسع القوة الجديدة اعني الدولة العربية الإسلامية، وهذا يمثل عاملاً مباشراً في الصِدام بين الإمبراطورية البيزنطية والدولة العربية الإسلامية بحكم التآخم الحدودي بينهما فأصبحتا وجهاً لوجه، ممّا أدى إلى ضعف قوة البيزنطيين الذين أنهكتهم الانتصارات العربية الإسلامية، فضلاً عن سوء الأوضاع الداخلية التي سادت إمبراطوريتهم، وبذلك انحصر النفوذ البيزنطي إلى درجة كبيرة وخاصة في منطقة آسيا وتحديداً في بلاد القوقاز التي أصبحت تحت السيادة العربية الإسلامية[3].

استمرت تلك البلاد في تبعيتها للدولة العربية الإسلامية حتى نهاية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، إذ بدأ الضعف يدب في الإدارة العربية في تلك الحقبة، ممّا أدى إلى قيام مجموعة من الإمارات والممالك التي تتمتع بشبه استقلال مع اعتراف رسمي بتبعيتها للخلافة العباسية، وأهمها مملكة جورجيا إذ استغل الجورجيون حالة الضعف

---

(1) إن ما أوردته المصادر العربية الإسلامية القديمة من معلومات حول العلاقات الجورجية البيزنطية قليلة جداً، باستثناء بعض الإشارات البسيطة، وفيما يتعلق بالجانب الإسلامي فقط، كما أن عدم توفر المصادر الجورجية والبيزنطية القديمة بين أيدينا اضطرنا إلى الاعتماد في هذا المبحث على المراجع الحديثة العربية والمعربة والأجنبية التي قمنا بترجمتها والتي اعتمدت على المصادر القديمة الجورجية والبيزنطية.

(2) عمر كمال توفيق، تأريخ الإمبراطورية البيزنطية (القاهرة: 1967م)، ص 51-52.

(3) توفيق، تأريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 69-73 ؛

Vasiliev , History Of Byzantine: 1 / 379.

التي سادت كل من القوتين المتنافستين العباسية والبيزنطية، فَبَرَز عددٌ من الأمراء رافعين لواء التمرد من أجل الاستقلال التام بحكم كل من جورجيا وأرمينيا الكبرى معلنين الانفصال عن الدولة العربية الإسلامية، فوجد البيزنطيين الفرصة المناسبة من أجل التآمر مع أولئك الأمراء لضرب الدولة العباسية التي تمثل اكبر قوة منافسة لهم، وبذلك وجدَ كلٌ من الجورجيين والبيزنطيين في الطرف الآخر ضالتَهُ المنشودة [1].

ترجع أولى العلاقات الجورجية - البيزنطية، على الرغم من كونها محددة في أول الأمر إلى سنة 272 هـ/ 885م التي كانت كحركة ردّ فِعل على إجراء الخليفة العباسي المعتمد على الله عندما منح الأمير آشوط بن سمباط لقب أمير أمراء أرمينيا وجورجيا وبلاد القوقاز، فبادرت الإمبراطورية البيزنطية إلى القيام بعمل مماثل حيث منح الإمبراطور باسيل الأول لقب ملك لآشوط وأرسل إليه الهدايا الثمينة ودعاه إلى زيارة القسطنطينية، وعقد معه معاهدة سياسية تجارية، فقدم الملك آشوط المساعدة للامبراطور باسيل الأول في حربه مع البلغار [2].

وبعد موت الملك آشوط بن سمباط في سنة 277هـ/ 890م تولى السلطة ولده سمباط الأول، فجدد في سنة 280هـ/ 893م المعاهدة الجورجية البيزنطية المعقودة بين كل من والده والإمبراطور البيزنطي باسيل الأول [3].

وعندما ازدادت تهديدات أسرة بني الساج الحاكمة في أذربيجان، أرسل الملك سمباط إلى الإمبراطور البيزنطي يخبره بتلك التهديدات، ويطلب منه المساعدة والدعم العسكري [4]، وكان على العرش البيزنطي آنذاك الإمبراطور قسطنطين السابع(301-

(1) خاتنشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1 / 37 ؛ مصطفى، دولة بني العباس: 2 / 290 ؛ Vasiliev , Ibid: 1 / 379.

(2)Sanjian , Armenian Communities , P. 8 ; Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 91.

(3)Bre,hier , Ibid: 5 / 90 - 91.

(4)Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran: 4 / 228.



348هـ/ 913-959م)[1] الذي حققَ نجاحاً كبيراً ضد السياسة التي اتبعها الأمير يوسف بن أبي الساج والي أذربيجان ونجح في إعادة آشوط الثاني بن سمباط الأول (302-317هـ/ 914-929م) إلى عرشه في سنة 302هـ/ 914م بعد هروبه إلى القسطنطينية، وتم الاعتراف به ملكاً على أرمينيا وجورجيا من قبل الأمراء الجورجيين والأرمن المجاورين [2].

وهكذا وضع الإمبراطور قسطنطين السابع الأساس الأول لسياسة بيزنطية نشطة في جورجيا وأرمينيا اللتين حكمهما أبناء العمومة من البيت البقراطي [3]، إلا أن التهديدات الساجية لم تلبث أن تكررت ففي سنة 316هـ/ 928م هاجم الأمير سبك خليفة الأمير يوسف كلاً من جورجيا وأرمينيا أثناء حكم الملك آشوط الثاني، فسعى الإمبراطور رومانوس ليكانيتوس (308-333هـ/ 919-944م) لمساعدته[4] من خلال مهاجمة بني الساج في أذربيجان بهدف القضاء عليهم إلا أنه لم يفلح في مسعاه، وعلى الرغم من إعادته الكرّة في سنة 317هـ / 929م، إلا إنها لم تكن أفضل من سابقتها، فقد فشلت جهود الإمبراطور البيزنطي وحليفه الملك آشوط الثاني، إذ نجحت القوات الساجية في إلحاق الهزيمة بهما [5]، ممّا أدى إلى انحصار النفوذ البيزنطي، وشكل نكسة

---

(1) بينما يشير سليمان إلى أنها الإمبراطورة زوى، وهذا خطأ، إذ حكمت الإمبراطورة زوى للمدة (419-442هـ/ 1028-1050م). للمزيد من التفاصيل ينظر: سليمان، المسلمون والبيزنطيون: 1 / 71 ؛ توفيق، تأريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 210.

(2) سليمان، المسلمون والبيزنطيون: 1 / 71.

(3)Diehl , Byzanium , P. 114.

(4) اغتصب رومانوس ليكانيتوس الحكم من الإمبراطور قسطنطين السابع، فحكم رومانوس للمدة (308-333هـ/ 919-944م)، وعاد بعدها الإمبراطور قسطنطين السابع واستمر في الحكم حتى سنة 348هـ/ 959م. ينظر: توفيق، تأريخ الإمبراطورية البيزنطية: ص201.

(5) سليمان، المسلمون والبيزنطيون: 1 / 76، 79.



أثرت في امتداده إلى بلاد القوقاز في كل من جورجيا وأرمينيا على الرغم من بقاء بعض الحاميات البيزنطية [1].

لم يكتفِ الأباطرة البيزنطيون بفكرة وضع حاميات عسكرية بيزنطية قوية في جورجيا وأرمينيا بل عملوا جاهدين من جل ضمها بالكامل، وتصفية الأسر المحلية بها وبهدف تحويل جورجيا وأرمينيا إلى منطقة دفاعية شبيهة بتلك التي كانت قائمة في الطرف الجنوبي الشرقي من الإمبراطورية، وهذا ما تم فعلاً في عهد الإمبراطور باسيل الثاني (366-416هـ/ 976-1025م)[2].

وعلى الرغم مّما ذكرناه إلا أن التاريخ الفعلي لعلاقاتهم يبدأ في سنة 366هـ/ 976م ويرجع ذلك إلى أن جورجيا كانت خاضعة لملوك الأرمن، إذ إنها أخذت في هذا التاريخ تستقل في حكمها، وأصبحَ الأمير داؤد البقراطي - الجد الأكبر للأُسرة البقراطية الحاكمة في جورجيا- من أقوى الأمراء الجورجيين والأرمن، فتدخل الأمير داؤد في الصراع الداخلي على العرش البيزنطي [3] الذي نشب في داخل الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور باسيل الثاني عندما ثار ضده كلّ من برداس سكليروس [4]، وبرداس فوقاس [1] طمعاً في العرش، فاشتركت قوى أجنبية

---

(1)Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 91.

(2) سليمان، المسلمون والبيزنطيون: 1 / 222.

(3) عندما توفي الإمبراطور البيزنطي يوحنا تزيمسكس (359-366 هـ/ 969 - 979م) لم يترك سوى ولدين قاصرين هما باسيل الثاني وقسطنطين الثامن في سن السادسة عشر، تحت وصاية باسيل ليسبيوس، ممّا أدى إلى طمع بعض الأمراء الأرستقراطيين في الحكم، وخاصة الأقوياء منهم الذين امتلكوا ثروةً وسلطان في الأقاليم الأخرى. ينظر: العريني، الدولة البيزنطية، ص 579 ؛ Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 147.

(4) برداس سكليروس: هو احد قادة الجيش البيزنطي الإمبراطوري في عهد الإمبراطور حنا تزيمسكس، ونجح في تحقيق العديد من الانتصارات على الروس، وأخذت شعبيته بالازدياد، مّما زاد من خشية الإمبراطور من طمعه في العرش، فعينه حاكماً عسكرياً على إحدى الجزر، فعدَّ سكليروس ذلك نفياً، وشعر بأنه قد حرم من الوصاية على عرش الإمبراطور، فبدأ بتمرده ونودي





كالجورجيين والروس والأرمن إلى جانب أحد الأطراف المتصارعة على السلطة، فوقف بعض أمراء جورجيا كالأمير داؤد البقراطي مع برداس فوقاس في ثورته إذ مد الأمير داؤد البقراطي حليفه برداس فوقاس بعون عسكري مرتين، الأولى عندما كان برداس فوقاس مكلفاً في القضاء على ثورة برداس سكليروس (366-369هـ/ 976-979م) من قبل الإمبراطور باسيل الثاني، والمرة الثانية حين قام برداس فوقاس نفسه في الثورة ضد الإمبراطور باسيل (377-379هـ/ 987-989م) من أجل الانفراد بحكم الولايات الجنوبية من الإمبراطورية البيزنطية، فعد الإمبراطور البيزنطي التصرف الذي قام به الأمير داؤد تدخلاً في الأمور الداخلية للإمبراطورية البيزنطية، مّما أغضبه فسعى إلى معاقبته والانتقام منه، وكان الدافع وراء مثل ذلك الفعل من لدن الأمير داؤد هو إضعاف الإمبراطورية عن طريق تشجيع الصراعات الداخلية أو من أجل تغيير نظام الحكم الذي كان معادياً له والاشتراك في إقامة إمبراطور جديد يكون حليفاً له ومعترفاً بسلطته على جورجيا [2].

---

به إمبراطورا من قبل عساكره وحكم لثلاث سنوات (366-369 هـ/ 976 -979م)، ثم وصل إلى القسطنطينية، ونجح في إلحاق الهزيمة بجيشين أُرسلا لإخضاعه، وحكم آسيا الصغرى، واستولى على نيقية في سنة 368هـ/ 978م، وأرسل الوصي على الإمبراطور الصغير قائده برداس فوقاس لقتاله، فنجح الأخير في القضاء التمرد وقتل سكليروس في سنة 369هـ/ 979م. ينظر: العريني، الدولة البيزنطية، ص 579 ؛

Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 147.

(1) برداس فوقاس: هو أحد قادة الجيش البيزنطي الإمبراطوري في عهد الإمبراطور حنا تزيميسكس، نجح في القضاء على تمرد برداس سكليروس، فالحق الهزيمة به بمساعدة الجورجيين وقتله سنة 369هـ/ 979م، إلا أنه لم يلبث أن قام بثورة ضد الإمبراطور باسيل الثاني من أجل الانفراد بحكم الولايات الجنوبية من =====

الإمبراطورية البيزنطية، ونجح في بداية الأمر، مّما اضطر الإمبراطور البيزنطي إلى الاستعانة بالروس من أجل القضاء عليه، فتم القضاء على تمرده في معركة بيدوس سنة 379هـ/ 989م. ينظر: العريني، الدولة البيزنطية، ص 579 ؛ قاسم، ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط: 1 / 175 ؛

Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 147.

(2) العريني، نفسه، ص 612 ؛ قاسم، نفسه: 1 / 175.



اندلعت الثورة ضد الإمبراطور باسيل الثاني في الولايات الجنوبية، وقرر الأمير داؤد مساعدة الثائر من خلال إرسال ألفي فارس لدعمه، مّما أدى إلى تأزم موقف الإمبراطور واضطر أمام مثل تلك الظروف إلى طلب العون والمساعدة من الأمير الروسي فلاديمير [1] أمير إمارة كييف الواقعة جنوب روسيا فأرسل له فرقة عسكرية مكونة من ستة الاف فارس من العناصر الروسية، فاستطاع باسيل الثاني بتلك القوة الجديدة أن يلحق هزيمة ساحقة ببرداس فوقاس [2] وحَليفِهِ داؤد الأول البقراطي في معركة بيدوس سنة 379هـ / 989م، ولم ينسَ الإمبراطور باسيل الثاني للأمير داؤد تعاونه مع عدوه اللدود برداس فوقاس وبمجرد أن حقق الانتصار وقتل فوقاس، أرسل الإمبراطور حملة عسكرية لمعاقبة الأمير داؤد وسائر الأمراء الجورجيين وحين بلغت أخبار الحملة إلى الأمير داؤد خشي من انتقام الإمبراطور باسيل، فقرر كسب وده وأرسل إليه في سنة 386هـ/ 996م طالباً منه العفو والسماح [3] ودعاه إلى أن يكون وريثاً له على ممتلكاته التي تضم إمارته في غرب جورجيا فضلاً عن مساحات واسعة كان الأمير داؤد قد اكتسبها في أرمينيا، واستأذن الإمبراطور في أن يرسل إلى القسطنطينية رؤساء دولته الذين سينفذون وصية الأمير، فيأخذ عليهم الإمبراطور ضمانات تكفل له تسليم ممتلكاته مستقبلاً،

---

(1) فلاديمير: هو الأمير فلاديمير بن سفياتواسلاف بن ايجور أمير كييف الروسية، دخل في صراع مع أشقائه من أجل تولي الحكم بعد وفاة والده سنة 972م واستمر الصراع الذي أسفر عن توليه لحكم الإمارة من سنة 972 حتى سنة 980م، واشتهر الأمير فلاديمير بشجاعته الفائقة إلى جانب حب الشهوات والبذخ، وكان وثنياً إلا أنه دخل النصرانية وعُمِّدَ في سنة 989م، وله في ذلك قصة مشهورة. للمزيد من التفاصيل عن الأمير فلاديمير ودوره ينظر: آرثر كويستلر، إمبراطورية الخزر وميراثها، ترجمة: حمدي متولي، ط2 (دمشق: 1985م)، ص 146-150.

(2) يحيى بن سعيد الأنطاكي المعروف بابن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (بيروت: 1954م): 1 / 168-171.

(3) نفسه: 1 / 168-171.

وإضافتها إلى الإمبراطورية البيزنطية وعلى الفور قبل الإمبراطور دعوته وسامحه بل ومنحه لقب قربلاط وعاد إلى القسطنطينية بعد أن عقد الاتفاق [1].

لقد كان لهذا الحدث الهام أثر كبير في مستقبل جورجيا وأرمينيا في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي [2] إذا اتبع الإمبراطور باسيل سياسة جديدة، فقام بتوطين الجورجيين والأرمن في المناطق التي ثار سكانها ضده بعد أن قام بترحيلهم إلى أقصى مناطق الإمبراطورية، كما حدث في سنة 407هـ/ 1016م عندما وطَّنَ الجورجيين في المنطقة التي تقع شمال شرق الإمبراطورية على حدود بلاد فارس [3].

وعلى ما يبدو أن الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني هدفَ من وراء هذا الإجراء إلى التخلص من خطر الجورجيين وضمان عدم مساندتهم لأي تمرد ينشب ضده من ناحية واستخدامهم كدرع حامٍ للإمبراطورية البيزنطية أمام الأخطار الخارجية على حدودها الشمالية الشرقية التي امتازت بالوعورة من ناحية أخرى، وخاصة أن الجورجيين سكانٌ جَبليونَ يجيدون القتال في مثل تلك المناطق.

لم يلبث القربلاط داؤد أن أخل بشروط الاتفاق ونصب ابن أخيه الأمير جورج الأول بن بقراط الثالث وريثاً له على العرش [4] ممّا زاد من استياء الإمبراطور باسيل الثاني وقرر مهاجمة جورجيا التي نقضت العهد معه إلا أنه في نهاية الأمر فضّلَ إتباع أسلوب الدبلوماسية وحل المسألة بشكل سلمي، فأرسل إلى الأمراء الجورجيين ومنحهم الأموال والعطايا وكسبهم إلى جانبه، وذكرهم بالاتفاق الذي تم بينه وبين القربلاط داؤد،

(1) بموجب هذا الاتفاق تتحول جورجيا إلى التبعية البيزنطية، ويفتح الطريق أمامه للسيطرة على أملاك البقراطيين في كل من جورجيا وأرمينيا. ينظر: العريني، الدولة البيزنطية، ص 619 ؛ صبرة، دراسات، ص 434.

(2) وسام عبد العزيز فرج، دراسات في تأريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية (الإسكندرية: 1982م)، ص320.

(3) العريني، الدولة البيزنطية، ص 645.

(4)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 624.

وطلب منهم تسليم البلاد دون اللجوء إلى القوة، فنجح في ذلك من دون أن يدخل في قتال مع الجورجيين مّما اضطر القربلاط داؤد إلى خلع ابن أخيه والعودة إلى اتفاقه مع الإمبراطور باسيل الثاني [1].

توفي القربلاط داؤد في ربيع سنة 391هـ/ 1000م، وكان للإمبراطور باسيل الثاني يدٌ في ذلك والذي يدفعنا إلى مثل هذا الظّن، هو أن الإمبراطور باسيل صاحب المصلحة والمستفيد الأول من موت القربلاط داؤد، إذ أن موته سيؤدي إلى ضم ممتلكاته إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية، فيتخلص الأباطرة البيزنطيين من تمردات الجورجيين المستمرة، إذ انهم سيصبحون تحت حكمهم وطاعتهم.

وبمجرد سماع الإمبراطور باسيل الثاني بموت القربلاط داؤد، وكان في طرطوس آنذاك حتى أسرع بجيشه إلى شمال أرمينيا، فوقف الأمراء الجورجيون والأرمن لاستقباله في أحد القلاع الأرمنية القديمة، وكان على رأسهم أمير أبخازية بقراط الثالث شقيق القربلاط داؤد وغيره من الأمراء الآخرين، وبعد إتمام مراسيم الاحتفال الرسمي باستقبال الإمبراطور، وقبل أن يسمح لهم الإمبراطور بالعودة إلى ممالكهم وإماراتهم، حدد باسيل الثاني الأقاليم التي آلت إليه بالميراث، وبموجب وصية القربلاط داؤد أعلن ضم جميع ممتلكاته إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية [2] ولم يكن أمام الجورجيين إلا القبول راضين بهذا الإجراء، فضمت الإمبراطورية أجزاء شاسعة إلى حظيرتها شملت كلاً من غرب جورجيا ومملكة أرمينيا وامتدت بهذا حدودها الشمالية الشرقية لمساحات اكبر ممّا كانت عليه سابقاً [3].

وفي الواقع لم تكن تلك العملية أكثر من تسوية، إذ أن انتقال جزء هام من جورجيا وأرمينيا إلى الكيان الإمبراطوري، أدى إلى يقظة الأمراء الجورجيين لما وقعوا فيه، فشكلوا اتحاداً من أجل مناهضة السيطرة البيزنطية، فأصبحت المواجهة بين الإمبراطور باسيل

---

(1) ابن البطريق، التاريخ المجموع: 1 / 182.

(2)Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 160-161.

(3)Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 160-161.



الثاني والأمراء الجورجيين أمراً لا مفرَ منه ففي سنة 399هـ/ 1008م خلَّفَ بقراط الثالث أمير أبخازية أخاه القربلاط داؤد في حكم جورجيا، وأولُ مرة في التاريخ توحدت كل من جورجيا وأبخازية، وأصبح بقراط الثالث ملكاً على مملكة جورجيا الموحدة [1].

وبعد أن بلغ الملك بقراط الثالث هذا المبلغ من السلطة، حاول البحث عن حلفاء أقوياء يعاضدونه في قضيتيه ويشاركونه العداء للإمبراطور البيزنطي سعياً من أجل تحقيق هدفين هما استعادة المناطق التي استولى عليها الإمبراطور باسيل الثاني أولاً، والتخلص من التبعية البيزنطية ثانياً، فوجد الفرصة الملائمة عندما ساءت العلاقات بين الإمبراطور البيزنطي والخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله [2] في مصر، فأرسل الملك بقراط الثالث في سنة 400هـ/ 1009م إلى الخليفة الفاطمي يسأله عقد تحالف لحرب الإمبراطور البيزنطي ويقترح عليه شكل الاتفاق بأن يقصدوه سويةً كلٌ من جهته [3].

إنْ دلَّ هذا التصرف من لدن الملك بقراط على شيء، فإنما يدل على مدى ما وصلت إليه العلاقات الجورجية البيزنطية من حالة سيئة، فكان هذا دافعاً إلى البحث عن حلفاء، وان ابتعدت المسافات واختلفت الأديان والأعراق من أجل مصالحهم الشخصية.

---

(1) فرج، دراسات في تأريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص 321.

(2) الحاكم بأمر: هو الخليفة الحاكم بأمر الله منصور بن عبد العزيز بن المعز العبيدي صاحب مصر، تولى الخلافة بعد وفاة والده العزيز سنة 390هـ/ 999م، وكان راعياً للعلم والعلماء في بداية عهده، فبنا في سنة 400هـ/ 1009م داراً للعلم في مصر، وجلب العلماء والفقهاء إليها، إلا أنه لم يلبث أن انقلب عليهم بعد ثلاث سنوات، وأخذ يقتل أهل العلم وأغلق الدار، كما قام بهدم كنيسة القيامة، بعد أن أخذ النصارى يجهرون بشعائرهم، قتل في سنة 411هـ/ 1020م، فتولى الحكم ولده الظاهر لإعزاز دين الله . للمزيد من التفاصيل ينظر: السيوطي، تأريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (مصر: 1952م)، ص 413، 524 ؛ عبد الحي بن احمد العكري الدمشقي، شذرات الذهب في خبر من ذهب، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم (بيروت: 1413هـ): 2 / 158، 382.

(3) عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها في مصر (الإسكندرية: 1986م)، ص 142.

اعتلى العرشَ الجورجي الملك جورج الأول (405-410هـ/ 1014-1019م) بعد وفاة والده بقراط الثالث في سنة 405هـ/ 1014م، فسار على العكس من سياسة والده وخاصة أن العلاقات بين الإمبراطور باسيل الثاني والملك بقراط الثالث كانت على أحسن ما يرام في السنوات الأخيرة من حكمه بعد ما مرت به من عداء متبادل، إذ طرأ عليها التغيير وسادها الاحترام المتبادل، إلا ان الملك جورج الأول لم يلبث ان طالب الإمبراطور بإرجاع الجزء الغربي من مملكة جورجيا الذي آل إلى باسيل الثاني بالميراث حسب وصية القربلاط داؤد، مّما أدى إلى انهيار تسوية 391هـ/ 1000م وخاصة بعد أن قام الملك جورج بالاشتراك مع الأرمن في مهاجمة غرب جورجيا التابع للنفوذ البيزنطي [1].

لقد أزعجت التطورات الجديدة الإمبراطور البيزنطي وعكرت صفوه، وخاصة ازدياد قوة جورجيا وظهورها على مسرح الأحداث كمملكة موحدة، ولم يستطع الإمبراطور تحمل وجود دولة قوية على الحدود الشمالية الشرقية، فتحرك لمهاجمة مملكة جورجيا بمجرد سماعه بوفاة الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة 413هـ/ 1021م، إذ أنه كان حليفاً للمملكة ولا سيما أن الملك جورج الأول يعد حليفاً قوياً يمكن الاعتماد عليه [2].

وعلى ما يبدو أن الملك جورج على الرغم من إدراكِهِ بعدم قدرة القوات الجورجية على مقاومة الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني إلا أن الذي شجعه على ذلك إقدامه أولا وطبيعة البلاد الجبلية الوعرة ثانياً فضلاً عن قوات أرمنية كانت موجودة إلى جانبه.

وعندما اقترب الإمبراطور باسيل من أطراف مملكة جورجيا، أرسل إلى الملك جورج يطلب منه القدوم أمامَهُ وإظهار الطاعة والولاء له إلا أنه رفض وأصر على موقفه [3] فانطلق الإمبراطور في 413هـ/ 1022م بحملة ثانية ضد الملك جورج استمر

---

(1) فرج، دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، ص 322 ؛ أميل، تاريخ أرمينيا، ص 26-27.

(2) ابن البطريق، التاريخ المجموع: 1 / 240.

(3) العريني، الدولة البيزنطية، ص 696.

لثلاثة أشهر، وامتازت هذه الحملة بقسوتها ضد الجورجيين، إذ أن الإمبراطور سبى الأطفال والنساء واسر الرجال منهم في أربع عشرة مقاطعة وقتلهم، وكان البيزنطيون شديدين في تنفيذ هذه المهمة فوقعت المعركة الأخيرة بالقرب من ارضروم، فطلب الملك جورج الأمان، إلا أنه لم يحصل عليه والذي منع وقوع الصلح هو محاولته القيام بمباغتة الجيش البيزنطي التي كانت نتيجتها الفشل بسبب عدم وصول الجيش الجورجي الرئيس [1].

وبهذا استطاع الإمبراطور باسيل استرداد ما ورثه من أقاليم غرب جورجيا ولكنه لم يتوقف، إذ قام بمهاجمة قلب مملكة جورجيا وهزم الملك جورج الأول الذي اضطر إلى إرسال ولده بقراط كرهينة، كما قيل أنه تنازل عن عدد من القلاع والحصون الهامة في جورجيا التي سبق وان تنازل عنها القربلاط داؤد للامبراطور باسيل مقابل أن يتركه بسلام والذي يمكن ملاحظته أن قبل انتهاء حروب باسيل الثاني ضد الملك جورج الأول تطورت الأحداث في أرمينيا الكبرى لصالحه، إذ توفي ملكها جاجيك الأول في سنة 412هـ/ 1020م وبدأ بموته الفصل الأخير من تأريخ مملكة ارمينيا الكبرى، فأعقب وفاته انقسام يوحنا سمباذ الثالث وآشوط الرابع وسرعان ما نشب القتال بين الأخوين، وخاصةً بعد أن تورط حنا سمباذ الثالث في مساعدة ملك جورجيا أثناء حروبه ضد الإمبراطور باسيل الثاني وعندما حقق باسيل الانتصار على جورج الأول ملك جورجيا خشي الملك الأرمني انتقام الإمبراطور لهذا حاول استرضاءه وكسب ودّه، فأرسل إليه سنة 413هـ / 1022م عارضاً عليه أن يصبحَ وريثاً له على مملكة أرمينيا الكبرى بعد وفاته فقبل الإمبراطور باسيل العرض، وبذلك دخلت كل من مملكتي جورجيا وأرمينيا في حظيرة البيزنطية [2].

(1) S. B. Benedikz , The Varangians Of Byzantinum (Cambridge: 1978) , P. 49.

(2) ابن البطريق، التأريخ المجموع: 1 / 239-240، 242 ؛ سيد، أرمينية، ص 190.

وبعد وفاة الإمبراطور باسيل الثاني في سنة 416هـ/ 1025م اعتلى العرشَ شقيقه الإمبراطور قسطنطين الثامن (416-417هـ/ 1025-1028م) فتم إطلاق سراح الأمير بقراط الرابع ابن جورج الأول ملك جورجيا فعاد إلى بلاده [1].

بينما يشير ابن البطريق إلى خلاف ذلك فهو يذهب إلى أن إطلاق سراح الأمير بقراط بن جورج، كان قبل وفاة الإمبراطور باسيل الثاني إلا أن والده توفي في عهد الإمبراطور قسطنطين الثامن الذي أرسل إليه اعترافاً به كملك على جورجيا، وتحت وصاية والدته ابنة الأمير سنحاريب جون صاحب فاسبوركان [2] فحسّنَ له أصحابه قيامه بعملية استعادة الأراضي والقلاع التي سلمها والده للإمبراطور باسيل الثاني، ممّا اضطر الإمبراطور قسطنطين الثامن إلى تسيير قوات عسكرية لإخضاعه وإجباره على تسليم الأراضي والقلاع على وفق التسوية السابقة لعهدهما، فقامت هذه القوات بعمليات السلب والنهب والسبي والقتل فاضطر الملك بقراط الرابع ووالدته بعد أن لجأوا إلى الجبال إلى إرسال مبعوثين إلى الإمبراطور طالبين العفو منه، فوافق الإمبراطور قسطنطين بعد أن سلموا له القلاع والحصون وأذعنوا لطاعته [3].

وبعد دراسة التاريخين السابقي الذكر تبين لنا أن التاريخ الذي أورده ابن البطريق هو الأرجح لكونه الأقرب زمنياً من الحدث فضلاً عن إجماع المؤرخين عليه، ولم أجد أي تفسير لما ذهبت إليه صبرة على الرغم من اعتمادها على رواية ابن البطريق أيضا.

---

(1) صبرة، دراسات، ص 436 ؛ Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 624.

(2) فاسبوركان: إمارة أرمينية صغيرة، ظهرت عقب انهيار أرمينيا الكبرى على يد البيزنطيين، إذ أصبحت عبارة عن ممالك وإمارات صغيرة كإمارة لوري واني، وتنازل عنها أصحابها للإمبراطور البيزنطي مقابل منحهم اقطاعات في كبدوكيا وجبال طوروس للمزيد من التفاصيل ينظر: أميل، تاريخ أرمينيا، ص 27.

(3) التاريخ المجموع: 1 / 250.

أرسل الإمبراطور قسطنطين الثامن اعترافاً ببقراط الرابع (418-465هـ/ 1027-1072م) وتُوِّجَ ملكاً على جورجيا، وبقيت مملكة جورجيا تسير في فلك السياسة البيزنطية إلى أن بدأت تدخل في صراع مع السلاجقة على حدودها الجنوبية الشرقية [1] مما حدَّ من التوسع البيزنطي في عهد الإمبراطور قسطنطين الثامن في بلاد القوقاز على الرغم من سعيه إلى ضم مملكة جورجيا إلى حظيرة الإمبراطورية بعد موت الملك جورج الأول [2].

قام الإمبراطور قسطنطين الثامن قبل وفاته بتزويج ابنته الأميرة ايريني برومانوس الثالث وفي سنة 419هـ/ 1028م أرسل إليهما تفويضاً بالحكم، فتوج رومانوس الثالث وزوجته على العرش بعد وفاة الإمبراطور قسطنطين، فقرر رومانوس أن يقيم معاهدة سلام مع الملك بقراط الرابع الجورجي على وفق الاتفاقية السابقة مع البقراطيين والأباطرة البيزنطيين، ولتقوية أواصر الصداقة وكسب الملك بقراط إلى جانبه اتبع سياسة المصاهرة السياسية [3] وزوّج ابنة أخيه من الملك بقراط الرابع [4] ممّا أدى إلى زيادة أواصر الصداقة والودّ بين البلاط البيزنطي والجورجي ففي الوقت الذي جعل فيه ابن البطريق من ايريني ابنة الإمبراطور قسطنطين الثامن هناك إشارات أخرى إلى أن زوى هي ابنته وليست ايريني [5].

ومن خلال دراسة كلا الروايتين ومراجعة الحقب التاريخية ومدة حكم كل منهما تبين لنا أن الإمبراطورة التي عاصرت تلك الأحداث زمنياً هي الإمبراطورة

---

(1) صبرة، دراسات، ص 436.

(2)Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 162.

(3) دخلت الأسرة البقراطية بفرعيها الجورجي والأرمني، بالتدريج في فلك السياسة البيزنطية، عن طريق صلات الزواج، حيث شُجِعَ أعضاؤها على التماس عرائسهم من المدينة العظيمة (القسطنطينية)، ومن ذوب القربى بالبيت الإمبراطوري للحصول على شرف القربى. ينظر: رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص 191.

(4) ابن البطريق، التاريخ المجموع: 1 / 251-252.

(5) توفيق، تأريخ الإمبراطورية البيزنطية، ص 201.





زوى (419-442هـ/ 1028-1050م) وليست الإمبراطورة ايريني التي امتدت مدة حكمها (181-187هـ/ 797-802م)، إذ إن حكم الأخيرة أقدم بقرنين من الزمان تقريباً وبذلك يكون ابن البطريق قد خلط بينهما.

وبعد وفاة الإمبراطور رومانوس الثالث في سنة 426هـ/ 1034م، تزوجت أرملته زوى بميخائيل الرابع (426-433هـ/ 1034-1041م) فاعتلى عرش الإمبراطورية إلا إنه لم يكن على مستوى كبير من القوة، فاستبد شقيقه حنا الطواشي الذي كان قائداً عاماً لجيوشه التي وجهها لتأمين تبعية آسيا الصغرى وجورجيا وأرمينيا وبلغاريا وإيطاليا لحكمه بشكل تام [1]، إلا انه مني بالفشل عندما حاول ضم مملكة جورجيا في سنة430هـ/ 1038م [2].

ويرجع ذلك إلى القوة التي بلغتها مملكة جورجيا على العكس من الأوضاع الداخلية التي عمت الإمبراطورية البيزنطية، وأخذت تضعف من شأنها من ناحية، كما ان جغرافية المملكة وطبيعتها الجبلية الوعرة جعلت مهمة السيطرة عليها مسألة صعبة للغاية، ولا تتحقق إلا بعد بذل جهد كبير من ناحية أخرى وممّا عزز قوتها إلى جانب العاملين السابقين نجاح الملك بقراط الرابع في توحيد البلاد تحت سلطته، وعلى الرغم من أن ذلك كان شكلياً مع تبعيتها للإمبراطورية البيزنطية فقد كان الأباطرة البيزنطيون يطلقون الألقاب التشريفية على ملوكِ جورجيا، فضلاً عن بذل الأموال والعطايا لهم من أجل كسبهم إلى جانبهم من ناحية، ولأهمية الموقع الجغرافي لجورجيا بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية من ناحية أخرى [3] لذا اشترك الجورجيون في سنة 435هـ/ 1043م

---

(1) العريني، الدولة البيزنطية، ص 731.

(2) أسد رستم،الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب (بيروت: 1956م):2/ 65.

(3)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 623.





مع البيزنطيين في مهاجمة مدينة كنجة [1] التابعة لنفوذ الشداديين [2] -في عهد الشكري علي بن موسى بن الأفضل الشدادي – ونجحوا في احتلالها، ومنها توجهوا نحو نهر الكر، فأقاموا عليه جسراً بمساعدة سكان المنطقة من الجورجيين، فكان بناءُ ذلك الجسر ذا فائدة لهم في مثل تلك الظروف التي كانت تمر بها بلادهم [3].

وبرزت بعض الأسر المنافسة للبقراطيين على الحكم كالأسرة الأوربلية تحت زعامة ليبريت الذي اتخذ من مدينة ثرياليت مقراً له، وكان معاصراً للملك بقراط الرابع، إلا إن البيزنطيين تدخلوا فيما بينهما ونجحوا في حل النزاع سنة 439هـ/ 1047م [4].

لقد كان من البديهي أن يتخذ الإمبراطور البيزنطي مثل ذلك الموقف بعد أن شعرَ بخطورة المسالة، وأدرك حقيقة الظروف التي تمر بها مملكة جورجيا بسبب التنافس على الحكم بين الأسرة البقراطية والأسرة الأوربلية والذي سيؤدي إلى إضعاف قوتها في آن واحد، إذ كان البيزنطيون أحوج ما يكون إليها للوقوف بوجه الخطر السلجوقي الذي بدأ

---

(1)مدينة كنجة: تقع هذه المدينة بين مدينتي برذعة وشمكور، وتبعد عن الأولى حوالي (54) كم وعن الثانية (61) كم تقريباً، وتسمى حالياً (كيرو ـ آباد) رسمياً في الاتحاد السوفيتي السابق، إلا إن تسمية تسمية كنجة هي السائدة عند العامة إلى يومنا هذا، كما أشار القزويني إلى إنها مدينة كثيرة الخيرات. للمزيد من التفاصيل ينظر: زكريا بن محمد بن محمد القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (بيروت: 1960م)، ص 65 ؛ محمد شكر رسول، الإمارة الشدادية الكردية في بلاد ثاران من 340-595هـ/ 951-1198م دراسة سياسية حضارية (أربيل: 2001م)، ص 39.

(2)الشداديون: أسرة مسلمة من أصل كردي، وهي بطن من بطون الروادية، سكنت بداية الأمر في مدينة دبيل ومنها انتقلت إلى مدينة برذعة، ومن ثم استقرت في مدينة كنجة، وأصبحت حاضرة لإمارتهم في سنة 360هـ/ 970م، فضلاً عن وجودها في مدينة بيلقان وباب الأبواب ومدينة نخجوان، ويعد محمد بن شداد مؤسساً لهذه الأسرة التي دخلت في صراع مع جيرانها الجورجيين. للمزيد من التفاصيل عن الأسرة الشدادية. ينظر: رسول، الإمارة الشدادية؛

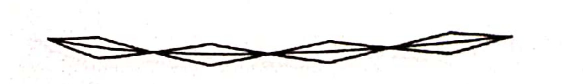
Minorsky , Studies In Caucasian History , Pp. 8-11.

(3)Minorsky , Ibhd , P. 8-11 ; Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran: 4 / 242.

(4)Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 178.







يهدد مناطق نفوذهم وقد تؤثر هذه الظروف في تحالفهم المشترك وخاصة أن مملكة جورجيا تميزت بمكانة مرموقة بين الأقاليم التابعة للإمبراطورية البيزنطية، لذا سعى الأباطرة من أجل إنهاء التنافس فيما بينهما.

وعندما تعاظمت قوة السلاجقة وبدأت تهدد كُلاً من الإمبراطورية البيزنطية ومملكة جورجيا أخذوا يعدون العدة لتشكيل جبهة موحدة من أجل التصدي لهم في سنة 440هـ/ 1048م[1] فوقعت أولى المعارك بينهما سنة 442هـ/ 1052م، فألحقت القوات السلجوقية بهم خسائر فادحة، وأسرت عدداً كبيراً من جندهم فضلاً عن أسر عدد من أمرائهم ومنهم الأمير قاريط [2] ملك الأبخاز الذي افتدى نفسه بمبلغ ثلاثمئة ألف دينار وهدايا تصل قيمتها إلى ما يقرب مئة ألف دينار، وغنم المسلمون أكثر من مئة ألف رأس من الدواب والبغال ومن الأموال مالا يحصى، وعلى ما يبدو أن الهدف الرئيس الذي كان يقف وراء الهجمات السلجوقية هو التعرف على طبيعة بلاد الأناضول، فضلاً عن الحصول على الغنائم وكسب تأييد الأمراء المسلمين في بلاد أذربيجان والجزيرة، ولهذا اتخذت هجماتهم طابع الإغارة، ولم تكن بهدف السيطرة على بلاد الأناضول أو الاحتفاظ بالأرض [3].

إلى هنا واصل وعلى الرغم من الهزيمة التي مُنيت بها القوات الجورجية والبيزنطية المتحالفة معها، فقد بقيت العلاقات بينهما قويةً جداً، فتوجهوا إلى مدينة كنجة مرة

---

(1) سيد، أرمينية، ص 159 ؛
Cahen , Pre – Ottoman Turkey , P. 68.

(2) يقصد ابن الأثير في هذه الرواية بـ (قاريط)، الأمير ليبريت الذي أسَرَهُ السلاجقة، وهو في الحقيقة ليس ملكاً للأبخاز، وانما هو كبير الأسرة الأوربلية الإقطاعية المنافسة للبقراطيين التي استقرت في مدينة ثرياليت. ينظر: الكامل: 9/ 456 ؛ Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 57.

(3) محمد صالح طيب صادق، سلاجقة الروم في آسيا الصغرى دراسة في الجوانب السياسية (470-634هـ/ 1077-1237م)(اطروحة دكتوراه مقدمة إلى كلية الآداب ـ جامعة صلاح الدين:1999م)،ص 41.

أخرى، وفرضوا عليها حصاراً، وكان السبب في العلاقة الجيدة والتوافق الجورجي البيزنطي، هو توسط الملك الأرمني اخسرطان بن جاجيك الأول (450-482هـ/ 1058-1089م) صاحب مدينة شكى الأرمنية، كما أدى التفوق السلجوقي إلى اختلاف ميزان القوة في المنطقة، وأصبحت مملكتا جورجيا وأرمينيا الكبرى أمام خطر السلاجقة المهدد بزوالهما، ممّا أثار مخاوف سكان تفليس، فاستدعوا الملك اخسرطان بن جاجيك الأول وسلموه المدينة في سنة 454هـ/ 1062م، فأحسن إليهم واجزل لهم العطايا إلا إنه لم يلبث أن باعها للبيزنطيين، فأرسلوا إليها من يقوم بأمر إدارتها، كما اهتموا بتحصينها بالرجال والسلاح والأموال، وأمر الإمبراطور بتوسيع الدروب عبر الجبال، لكي يُسَهِل ذلك عبور قواته لمهاجمة بلاد الشام [1] إلا إن ذلك لم يدم طويلاً، فقد نجح السلطان ألب أرسلان في إخضاع الولايات الجنوبية الغربية من مملكة جورجيا في سنة 457هـ/ 1064م و 461هـ/ 1068م، ودخل مدينة تفليس ونصب أميراً شدادياً والياً عليها [2].

كما اشترك الجورجيون بقوات عسكرية ضخمة إلى جانب الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجين [3] في حروبه مع السلاجقة، والتقت القوات البيزنطية بقوات ألب

---

(1) Minorsky , Studies In Caucasian History , P. 20.

(2) صدر الدين بن علي الحسيني، أخبار الدولة السلجوقية، اعتناء: محمد إقبال (بيروت:1984م)، ص35؛ النسوي سيرة جلال الدين، ص60؛ كمال الدين أبو القاسم محمد بن احمد ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، باعتناء، علي سويم، (أنقرة:1976م)، ص35 ؛ صادق، سلاجقة الروم، ص 42 ؛

Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 623.

(3) رومانوس ديوجين: هو قائد القوات البيزنطية في عهد الإمبراطور قسطنطين دوكاس، وبعد موت الأخير رأت أرملته إن تتزوج رجلاً يعينها على وقاية المُلك من غارات السلاجقة، فتزوجت برومانوس ديوجين، والقت عليه أزمة السياسة، فنهض رومانوس بأعباء الإمبراطورية، وكانت نهاية حكمه معركة ملاذكرد. ينظر: لويس رحماني، مختصر تاريخ القرون الوسطى (الموصل: 1877م)، ص 238.



ارسلان في معركة ملاذكرد [1] في ربيع سنة 463هـ/ 1070م أثناء الزحف السلجوقي [2] وعلى الرغم من الهدنة المعقودة بين الملك بقراط والسلطان ألب أرسلان، كما انضمت إلى القوات البيزنطية قوات عسكرية كثيرة ومن أعراق مختلفة [3] جلّها من شعوب الإمبراطورية الرومانية الشرقية من جورجيين وارمن ويونان وروس وبلغار وإفرنج وبجناك، وأراد الإمبراطور البيزنطي أن تأخذ حروبه هذه صبغة الحروب الصليبية [4].

ألحقَ السلطان ألب أرسلان الهزيمة بالقوات البيزنطية، على الرغم من تفوقها العددي، إذ أُبيدت عن بكرة أبيها [5] وأُسِرَ الإمبراطور البيزنطي، واستولت القوات السلجوقية على كم هائل من الغنائم [6]، ولكثرة تلك الغنائم انخفضت أسعار الدواب والسلاح والمتاع في الاسواق حتى بيع كل اثنتي عشرة خوذة بسدس دينار، وكل ثلاثة دروع بدينار واحد [7] ولم تكن معركة ملاذكرد حاسمة بالنسبة للبيزنطيين فقط، وإنما تركت أثراً كبيراً على حلفائهم الجورجيين، فبقيت الأراضي الجورجية التي استولت عليها القوات السلجوقية سابقاً في أيديهم [8].

---

(1) يطلق عليها عدة تسميات منها منازجرد وملاذكرد وملاذجرت، وهي بلدة مشهورة بين مدينة خلاط وبلاد الروم، وتقع في أرمينيا الكبرى. ينظر: صفي الدين بن عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي بن محمد النجاوي (بيروت: 1955م): 3 / 1314.

(2) ابن الأثير، الكامل: 7 / 65 ؛ ابن خلدون، تاريخ : 5 / 3 ؛ ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي دهان (بيروت: 1958م): 2 / 28.

(3) ابن العديم، نفسه: 2 / 28.

(4) محمد بن جميل آق بيق، معركة ملاذكرد غيّرت مجرى التاريخ، مجلة منار الإسلام، ع4، 1991م، ص 117 ؛ صادق، سلاجقة الروم، ص 44.

(5) K. M. Setton , A History Of The Crusades (Bensylvania: 1955): 2 / 623 ; Ostrogorsky , History Of The Byzantine State (Oxford: 1968) , P. 344.

(6) الفارقي، التاريخ الفارقي، ص 186 ؛ ابن العديم، زبدة الحلب: 2/ 28 ؛ ابن خلدون، تاريخ: 5 / 3.

(7) الفتح بن علي بن محمد البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ط3 (بيروت: 1980م)، ص 43.

(8) صبرة، دراسات، ص 443.



وبعد وفاة الملك بقراط الرابع في سنة 465هـ/ 1072م تولى حكم المملكة ولده الملك جورج الثاني (465-482هـ/ 1072-1089م)، فانتهج سياسة أسلافه نفسها كتابع للامبراطور البيزنطي الذي أطلق عليه لقب قيصر في سنة 474هـ/ 1081م فضلاً عن لقب قربلاط الذي منحه له زوج شقيقته الإمبراطور نقفور الثالث (471-474هـ / 178-1081م)[1] إلا إن لقب قربلاط اختفى من الساحة السياسية في عهد الملك داؤد الثالث(482-518هـ/ 1089-1124م)[2] وإن دلَّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على أن مملكة جورجيا بدأت تقترب من الاستقلال عن التبعية البيزنطية نوعاً ما.

لقد كان لمعركة ملاذكرد نتائج مهمة، وكان لها اكبر الأثر في تغيير مجرى التاريخ وخاصة التاريخ البيزنطي، إذ اختلف ميزان القوة في المنطقة، فقد ضعفت الإمبراطورية البيزنطية [3] وانصر نفوذها عن منطقة آسيا الصغرى المجاورة لمملكة جورجيا، وحلت محلها الدولة السلجوقية [4].

ويتبين ممّا سبق أن الجورجيين فقدوا أهم وأقوى حليف لهم، كان يدعمهم عسكرياً في صراعهم مع القوى الإسلامية فضلاً عن الانقطاع الجغرافي إلا من الناحية البحرية، وان وجد الاتصال فبشكل محدود جداً لانشغال الإمبراطورية البيزنطية في نزاعاتها على الحكم والتي وجهت جُلَّ اهتمامها للقضاء عليها والعمل على إقرار الأمن وتثبيت ركائزه، ممّا أدى إلى انصرافها عن الأمور الخارجية ولاسيما الأخطار الخارجية المحدقة بها كالحملات الصليبية والغارات النورمانية.

لقد كان لتلك الأحداث التي مرت بها الإمبراطورية البيزنطية اثرٌ واضحٌ في ركود العلاقات الجورجية البيزنطية إلا بشكل محدود، ولم تشهد تطوراً ملموساً إلا في القرن

---

(1)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. His.: 4 / 623.

(2 ) Minorsky , Art " Georgia " , In Enc. of Islam: 10 / 290.

(3) للمزيد من التفاصيل عن معركة ملاذكرد والأوضاع السياسية التي سادت المنطقة آنذاك ينظر: اللهيبي، مملكة أرمينية الصغرى، ص 15-20 ؛ صادق، سلاجقة الروم، ص 44 – 48.

(4) عبد المنعم محمد حسنين، دولة السلاجقة(القاهرة: 1975م)، ص 50-52 ؛ صادق، نفسه، ص 47.



السادس وبداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي عندما تعرضت بيزنطة لنكبة أخرى كانت اكثر وقعاً ووطأة عليها إلا إنها في هذه المرة لم تكن على أيدي المسلمين بل على أيدي أبناء دينها المتمثلة بسقوط القسطنطينية على يد رجال الحملة الصليبية الرابعة في سنة 600هـ/ 1204م [1] فقامت بعدها الإمبراطورية اللاتينية في السنة ذاتها [2].

إنَّ سقوط الإمبراطورية على يد الصليبيين أدى إلى قيام ثلاث ممالك بيزنطية تبنت مسألة إعادة تشكيل الكيان الإمبراطوري، وتمثلت هذه الممالك بمملكة ميخائيل انجيلوس ابن عم الإمبراطور الكسيوس كومنين الثالث (591-600هـ/ 1195-1204م)، فقد أقام انجيلوس دولته في غرب اليونان واتخذ من مدينة بيروس عاصمة له، إلا إن أهمها كانت

(1) الحملة الصليبية الرابعة: انطلقت هذه الحملة من ميناء زارا في سنة 599هـ/ 1203م متجهةً نحو القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية، وكان للبابا انوسنت الثالث (596 – 613هـ/ 1198-1216م) دورٌ كبيرٌ في تحركها لادعائه بتوحيد البلاد النصرانية، وهي الحملة الوحيدة التي لم توجه ضد المسلمين بل كانت موجهة ضد دولة نصرانية، فنجح الصليبيون في احتلال القسطنطينية في 3 نيسان سنة 600هـ / 1204م، واستبيحت من قبلهم ثلاثة أيام متتالية واقاموا فيها إمبراطورية لاتينية واتخذوها عاصمة لإمبراطوريتهم، واستمر الصليبيون في السيطرة عليها حتى سنة 659هـ 1261م. ينظر: روبرت لي وولف، الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية 1204-1261م، ترجمة: ليلى عبد الجواد إسماعيل، ضمن كتاب تأريخ الحروب الصليبية، تحرير: سعيد عبد الله البيشاوي ومحمد مؤنس عوض، (عمان: 2004م): 1 / 378 ؛ هانس ابرهارد ماير، تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة: عماد الدين غانم (ليبيا: 1990م)، ص 282، 286، 288 ؛ عبد القادر احمد اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر (بيروت: 1969م)،ص 163-164.

(2) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحركة الصليبية (القاهرة: 1963م): 2 / 898 ؛
Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 17,261.





مملكة نيقية التي ترأسها الأمير ثيودور لاسكاليس زوج ابنة الإمبراطور الكسيوس كومنين الثالث الذي خلعه الصليبيون [1].

أمّا المملكة الثالثة فقد قامت في طرابزون على الساحل الجنوبي للبحر الأسود وتزعمها آل كومنين، وفي خضم هذه الأحداث التي مر به البيزنطيون، فقد أدت المملكة الجورجية دوراً كبيراً، إذ أسهمت في تأسيس مملكة طرابزون في عهد الملكة تمارا (580-609هـ/ 1184-1212م)، وكان السبب الرئيس وراء هذا الدعم هو صلة القُربى التي ربطت الملكة تمارا بالأمراء الكومنينيين، فان كلاً من الكسيوس وداؤد كومنين هما أبناء شقيقها الإمبراطور اندرونيكوس (580-581هـ/ 1183-1185م) [2] فمكنتهم من الاستيلاء على منطقة طرابزون بمساعدة القوات الجورجية، ونجحوا في توطيد حكمهم على امتداد الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الأسود واسيا الصغرى إلا إن داؤد كومنين لقي مصرعه في سنة 602هـ/ 1206م أثناء حروبهم من أجل مد مناطق نفوذهم إلى منطقة البسفور، بينما عاش الكسيوس حتى اتخذ لقب إمبراطور، وأنشأ أسرةً ظلت تحكم قرابة القرنين ونصف [3].

---

(1) اسحق عبيد تاوضروس، الدولة البيزنطية في عهد باليوغالوس (بيروت: د/ ت)، ص 16 ؛ ج.م. هسي، العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد (القاهرة: 1982م)، ص 211.

(2) تاوضروس، الدولة البيزنطية، ص16 ؛

Bre,hier , The Life And Death Of Byzantium: 5 / 17,261.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العربني (القاهرة: 1963م): 3 / 227-228 ؛

Ostrogorsky , History Of The Byzantine State , P. 346.

## المبحث الرابع

## علاقة الأرمن بمملكة جورجيا وموقفهم من قيامها

ارتبطت مملكة جورجيا سياسياً (الحكم) بالأسرة البقراطية التي تمثل فرعاً من الأسر البقراطية الحاكمة في أرمينيا الكبرى [1] ويمكن ملاحظة ذلك من خلال النظر في الظروف السياسية السائدة في أرمينيا آنذاك التي أثرت فيهما على حدٍ سواء بل وكان تأثيرها مباشراً عليهما إذ ازدادت حالة الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي منذ بداية ظهور الأسر الإقطاعية في جورجيا، فرسمت تلك الأوضاع الخطوط العامة للعلاقات الجورجية - الأرمنية لاعتبارين الأول: تبعية جورجيا لحكم الأمراء البقراطيين في أرمينيا، وذلك بحكم صلة القربى بين الأسرتين الحاكمتين في كل منهما، والثاني: أن حكام مملكة جورجيا كانوا جزءاً من أرمينيا الكبرى وخاصةً بعدما حصلوا على اعتراف الخلفاء المسلمين والأباطرة البيزنطيين بحكومتهم، إذ عدَ ذلك الاعتراف ربطاً رسمياً لجورجيا بجارتها مملكة أرمينيا إلا إن هذا الإجراء لم يُرضِ بعض الأمراء الإقطاعيين في جورجيا، فتزعمهم أحد كبار أمراء الطبقة الإقطاعية الجورجية، ويدعى الأمير بير [2] إذ طمحوا إلى الحصول على الاستقلال والحصول على بعض الأراضي الأرمنية وضمها إلى إمارتهم الفتية [3].

لقد كان المحفز الرئيس الذي دفع الأمير الجورجي بير إلى محاولة الاستيلاء على أراضي أرمنية، هو الخلافات المذهبية بين البلدين - التي تم الحديث عنها في مقدمة الفصل

---

(1 ) Minorsky , A History Of Sharvan And Darband In The 10th –11th Centuries (Cambridge: 1958) , P. 14 ; Lang , Armenia , P. 95.

(2) لم تشر المصادر التاريخية الأخرى إلى هذا الاسم، سوى المصادر والمراجع الأرمنية. ينظر: سيد، أرمينية، ص 172 ؛ استارجيان، تاريخ الأمة الأرمنية، ص 182، ولكن على الأرجح إنها عنت بذلك الأمير بقراط الثاني، الذي تتفق مدة حكمه مع هذا التاريخ.

(3) أميل، تاريخ أرمينيا، ص 26 ؛ سيد، نفسه، ص 165.

وأكدت المصادر الأرمنية على أن الأمير بير سعى إلى مباغتة الملك الأرمني العباس الأول (317-342هـ/ 929-935م) [1] وتدمير قوته العسكرية، وبمجرد وصول أخبار الحملة الجورجية إلى مسامع الملك الأرمني فأسرع لإعداد العدة لمواجهتم، على الرغم من محاولته لإنهاء المسألة بشكل سلمي من خلال إقناع الأمير بير للعودة إلى بلاده لما تربطه به من صلات قربى، إذ أن الأمير بير كان شقيقَ زوجةِ الملك الأرمني العباس الأول، لكن رفض الأمير بير وإصراره على المواجهة العسكرية، اضطر الملك العباس إلى خوض المواجهة، وما هي إلا ساعات حتى حلت الهزيمة بالجيش الجورجي وعلى رأسه الأمير بير الذي ألقي القبض عليه، وأمر الملك العباس بسمل عينيه، وأعيد إلى بلاده مقابل فدية مالية كبيرة [2].

لم تتخذ العلاقات الجورجية الأرمنية طابع العلاقات الدولية إلا بعد استقلال مملكة جورجيا بشكل تام من تبعية الملوك الأرمن، واصبح لها كيانها الخاص في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، إذ تم تنصيب داؤد الثاني أميراً عليها الذي تزامنت مدة حكمه مع عهد الملك الأرمني جاجيك الأول البقراطي في أرمينيا الكبرى، فعملا سوية من أجل توجيه ضربة قوية للإمارة الساجية في أذربيجان، وخاصة في عهد أميرها محمد بن أبي الساج الذي شكَّلَ خطراً مباشراً عليهم اثر تعاظم نفوذه، إذ قام بمهاجمة الأراضي الجورجية من أجل نشر الإسلام فيها وإعادتها إلى التبعية الإسلامية، فأنفذ قواته في سنة 387هـ/ 997م، والتقى بالقوات الجورجية والأرمنية المتحالفة التي يقودها الأمير داؤد والملك الأرمني جاجيك إلا إن الأمير محمد بن أبي الساج أنسحب

---

(1) العباس الأول: أحد ملوك أرمينيا الكبرى (317-342هـ/ 929-953م)، تولى العرش بعد وفاة الملك آشوط الثاني، وكان العباس الأول محبوباً من قبل عامة الأرمن، واتبع أسلوب السياسة اللامركزية، وأكتفى بالنفوذ اللامركزي على الأمراء الأرمن الآخرين، وكان له دور كبير في اعمار البلاد، توفي سنة 343هـ/ 953م بعد حكم دام خمسة وعشرين عاماً.ينظر: استارجيان، تأريخ الأمة الأرمنية، ص182.

(2) سيد، أرمينية، ص 172، 174-175 ؛ استارجيان، تأريخ الأمة الأرمنية، ص 181-182.

قبل أن يصطدم بقوات الطرفين لإدراكه التام بعدم مقدرته على الاشتباك معهم، لكنه لم يلبث أن قاد جيشاً آخر في سنة 388هـ/ 998م مستغلاً تجمع القوات السلجوقية من العراق وإيران، فهاجم المناطق الواقعة شمال شرق بحيرة وان [1] واشتبك معهم بالقرب منها إلا إن قيام القوات المتحالفة بمباغتتهم اضطرهم إلى الانسحاب على الرغم من تفوقهم العددي [2].

لم تستمر العلاقات الجورجية الأرمنية طويلاً فقد سادها الفتور، وحدوث فجوة بين كل من الأمير داؤد الثاني والملك جاجيك الأول ويرجع ذلك إلى العلاقات الودية التي أقامها الأمير داؤد مع البيزنطيين [3] وانخراطه في فلك السياسة البيزنطية وبما أن علاقة الملوك الأرمن بالبيزنطيين لم تكن على ما يرام آنذاك بسبب سعي الأباطرة من أجل ضم ممتلكاتهم إلى حظيرة الإمبراطورية من ناحية والاختلاف المذهبي من ناحية أخرى ـ كما أشرنا آنفاً ـ فانعكس بشكل مباشر على العلاقات الجورجية - الأرمنية [4].

لقد كان لإجراء الملك داؤد الثاني دوره في الحصول على الدعم البيزنطي، فأصبح من أقوى أمراء جورجيا وأرمينيا إلا إن تدخله في الأمور الداخلية للإمبراطورية البيزنطية من خلال دعمه لحركات التمرد والعصيان ضد الإمبراطور باسيل الثاني في سنة 379هـ/ 989م أدى إلى ازدياد غضب الإمبراطور وسار لمعاقبته، فنجح في إخضاعه، واجبره على جعله وريثاً له على العرش الجورجي في سنة 386هـ / 969 م [5]، وعندما

---

(1) بحيرة وان: تقع في قلب أرمينيا التاريخية، وبنيت على شواطئها الشرقية مدينة وان، وفيها شبه جزيرة اغطامار، التي بنى فيها الملك الأرمني جاجيك كنيسة باسم اغطامار، وقصراً ومكتبة. ينظر: زهرالدين، سياسة الحكومة العثمانية، ص 37.

(2)Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran: 4 / 217.

(3) صبرة، دراسات، ص 436.

(4) للمزيد من التفاصيل عن هجرة الأرمن وعلاقاتهم بالبيزنطيين الذين حاولوا الاستيلاء على الأراضي الأرمنية ينظر: اللهيبي، مملكة أرمينية الصغرى، ص 14-15.

(5)العريني، الدولة البيزنطية، ص 692-693 .

توفي الأمير داؤد في سنة 391هـ/ 1000م، سار الإمبراطور باسيل الثاني إلى جورجيا لاستلام الأراضي التي تنازل له عنها الأمير داؤد، إلا انه لم يلجا إلى الحرب خشيةً من تدخل ملك أرمينيا جاجيك الأول، وفعلا لم يجد باسيل الثاني أي مقاومة إلا من جانب الملك جاجيك الذي خَشي من أطماع الإمبراطور وهجومه عليهم من أجل ضم مملكة أرمينيا إلى بيزنطة [1].

لم يحتّج الأمير بقراط شقيق الأمير داؤد الثاني على استيلاء الإمبراطور البيزنطي على الأراضي الجورجية بموجب الاتفاق السابق غير أن ابن أخيه الأمير جورج الأول تحدى الإمبراطور باسيل في سنة 405هـ/ 1014م، وطالبه بإرجاع الأراضي الجورجية ولم يكتفِ بذلك بل أخذ يبحث عن حلفاء يدعمونه في قضيته، فتوجه إلى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله [2] وإلى ملك أرمينيا، وعندما أدرك الملك حنا سمباط الثالث بن جاجيك الأول بالخطر المشترك الذي بدا يهددهما معاً نهض لمساندة الأمير جورج في سنة 406هـ/ 1015م فأغار على الأراضي البيزنطية المجاورة [3].

لقد قرر الإمبراطور باسيل معاقبة كل منهما، فسار في سنة 411هـ/ 1020م بقواته ودخل معهما في عدة اشتباكات، نجح خلالها في إلحاق الهزيمة بهما، ممّا اضطرهما إلى إرسال السفارات إلى الإمبراطور باسيل يطلبون فيها عقد الصلح، ولم يلبث الملك سمباذ الثالث أن تنازل في السنة ذاتها للإمبراطور عن جميع ممتلكاته في أرمينيا أي أمعنا يصبح وريثاً له بعد موته بسبب ازدياد الغارات السلجوقية من ناحية، وسوء الأوضاع الداخلية من ناحية أخرى التي سادت مملكة أرمينيا الكبرى [4].

إن ذلك التصرف من لدن الملك سمباذ الثالث، اضطر ملوك الأرمن الآخرين في منطقة فاسبوركان وقرس الأرمنيتين إلى التنازل عن ممتلكاتهم للإمبراطور باسيل مقابل

---

(1)العريني، الدولة البيزنطية، ص 692 –693.

(2) ماجد، ظهور خلافة الفاطميين، ص 142.

(3) ابن البطريق، التاريخ المجموع: 1 / 54 ؛ سيد، أرمينية، ص 165.

(4) العريني، الدولة البيزنطية، ص 697–698.





منحهم اقطاعات في منطقتي كبدوكيا وطوروس الواقعتين في جنوب شرق الأناضول، وكان ذلك إذاناً بانهيار مملكة أرمينيا الكبرى وزوالها [1] وأسقطتها تحت السيطرة البيزنطية، وانتقل معظم الأرمن إلى المناطق البديلة مؤسسين فيها عدد من الإمارات الصغيرة كإمارة كوغ باسيل والإمارة الهيثومية والروبينية وفيلاريتوس [2] التي تمخض عنها قيام مملكة أرمنية الصغرى في سنة 596هـ/ 1199م [3].

لقد سلمت بعض الإمارات والمالك الأرمنية الصغيرة، وخاصةً القائمة على الحدود المشتركة بين الدولة البيزنطية مع سلاجقة الروم من التبعية لكل منهما كمملكة تاشير وزوركيت (369-507هـ/ 979-1113م)، ومملكة سيونيك (377-566هـ/ 987-1170م) التي بقيت تشكل اقطاعات أرمنية في المناطق الجبلية [4] كما ارتبط تثبيت أركان تلك المالك بقوة مملكة جورجيا المجاورة، وبإعادة السيطرة على كل الأراضي الأرمنية من أيدي السلاجقة،وتزعمت تلك الحركة أسرة أرمنية عريقة تسمى بـ(الزكاريون) وقيل إنها من أصل كردي، وسميت بهذا الاسم نسبةً إلى مؤسسها المدعو زكريا الذي عمل في خدمة الملوك الجورجيين وكان من قادتهم البارزين، ولشدة إخلاصه منحوه منصب القائد العام للقوات الجورجية في عهد الملكة تمارا [5].

---

(1) اميل، تأريخ أرمينيا، ص 25 ؛ المدور، الأرمن، ص 220.

(2) نشأت تلك الإمارات في جنوب شرق آسيا الصغرى (الأناضول) اثر سيطرة البيزنطيين على أرمينيا الكبرى، واستبدال الأمراء والملوك الأرمن لاقطاعاتهم بتلك المناطق، وتمخض عنها في نهاية الأمر قيام مملكة أرمينية الصغرى في بلاد الأناضول. للمزيد من التفاصيل عن هذه الإمارات وقيام مملكة أرمينية الصغرى ينظر: اللهيبي، مملكة أرمينية الصغرى، ص 23 -24 ؛ المدور، نفسه، ص 203-224.

(3) استارجيان، تأريخ الامة الأرمنية، ص 216 ؛ المدور، نفسه، 231.

(4) اميل، تأريخ أرمينيا، ص 20-22. Lang , Armenia , P. 198.

(5) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1 / 38.

إن تبعية تلك الأسرة وولاءها لمملكة جورجيا مسألة أكيدة إلا إن الشيء الذي لا يمكن الجزم به، إنها من أصل كردي مسلم، ومما يدفعنا إلى عدم الجزم ونفي انتساب الأسرة الزكارية إلى الأصل الكردي أمران، الأول: لا يمكن لشخص مسلم إن يعمل في صفوف الجورجيين ضد أبناء دينه من المسلمين، والثاني: إن الجورجيين لا يمكنهم الوثوق بشخص مسلم فيولوئهُ مثل هذا المنصب المهم وهذا ما يدفعنا إلى استبعاد رجوعهم إلى أصل كردي وانهم من أصول أرمنية.

وخلال النصف الثاني من القرن السادس ومطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، تمكنت القوات الجورجية والأرمنية المتحالفة من السيطرة على الكثير من الأراضي الأرمنية الواقعة في الجزء الشمالي الشرقي والوسط من مملكة أرمينيا الكبرى، فأغاروا في سنة 561هـ/ 1164م على الأراضي الإسلامية المجاورة ((حتى بلغوا مدينة كنجة فقتلوا واسروا وسبوا كثيرا ونهبوا ما لا يحصى)) [1] وتابع خلفاء الملك الجورجي داؤد الرابع سياستهم في مقاومة الإمارات السلجوقية في شمال أرمينيا الكبرى معتمدين على دعم السكان الأرمن، فخلال حكم الملكة الجورجية تمارا تمت عملية استعادة مدينة آني وشيراك واركتسوتن وقارص وجميع أراضي الشمال الأرمني، وقامت بذلك اقطاعات أرمنية تحت التبعية الجورجية تولى حكمها أمراء زكاريون وفي سنة 596هـ/ 1199م استردت مدينة آني بشكل نهائي من أيدي الشداديين، وغدت هذه المدينة مركزاً سياسياً وثقافياً للأمير زكريا وخلفائه الذين حملوا فيما بعد لقب شاهنشاه، وعدوا أنفسهم ورثة الملوك البقراطيين الأرمن [2].

(1)ابن الأثير، الكامل: 11 / 323.

(2)خانشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1 / 38.

# الفصل الثالث

# الدور السياسي لمملكة جورجيا في بلاد القوقاز

**المبحث الأول : الحركة الصليبية في بلاد القوقاز**

**المبحث الثاني : مملكة جورجيا ودورها في الحروب الصليبية**

**المبحث الثالث : مملكة جورجيا والقوى الإسلامية في بلاد القوقاز**

**أولاً : العلاقات الجورجية ـ الشروانية** (333- 622هـ/944- 1225م)

**ثانياً : العلاقات الجورجية ـ الشدادية** (340- 596هـ/951- 1199م)

**ثالثاً : العلاقات الجورجية ـ الأذربيجانية** (552- 622هـ/1157- 1225م)



## المبحث الأول

## الحركة الصليبية في بلاد القوقاز

تعرضت الدولة العربية الإسلامية مع نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لأشرس هجمة استعمارية، وهي الحروب الصليبية التي انطلقت من الغرب الأوربي مستهدفة احتلال أرضها ونهب خيراتها بل والاستيطان فيها في وقت كانت الدولة العربية الإسلامية تعيش في ظل ظروف أنهكت قواها، فأصبحت من الناحية السياسية تمثل مجموعة من الممالك والدويلات والاتابكيات[1] التي امتاز بعضها بالقوة بينما سادت البعض الآخر حالة من الضعف سواءً من الناحية السياسية أم العسكرية أم الاقتصادية بسبب حالة النزاع فيما بينهما من أجل التوسع كل على حساب الآخر من ناحية والضغط الخارجي الممثل بالغارات التي تشنها القوى المعادية من ناحية أخرى، وخاصة في مناطق أطراف الدولة العربية الإسلامية، مما أدى إلى انشغال حكامها بتلك الأمور[2].

لقد كانت بلاد القوقاز إحدى تلك المناطق، إذ أنها عانت من الظروف السالفة الذكر فسعت القوى المعادية ولاسيما الممالك والإمارات المسيحية التي قامت في بلاد القوقاز أو على أطرافها، من أجل استغلال ما كانت تعانيه فوجهت الضربات لها

---

(1) الاتابكيات: ظهر نظام الاتابكيات في العهد السلجوقي، وخاصةً بعد انقضاء مدة السلاطين الأقوياء ومجيء سلاطين ضعاف، ونشوء الصراعات على السلطنة، مما أدى إلى انقسام الممتلكات السلجوقية بين ابناء البيت الحاكم، فكان يمنح كل أمير إقطاعاً على الرغم من صغر سنه، ويعين أحد قواد الجيش السلجوقي للإشراف على تربيته، وإدارة إقطاعياته، ويطلق على هذا القائد لقب اتابك ومعناها الأمير الوالد، واصبح هؤلاء الاتابكة أصحاب نفوذ فعلي يغلب على نفوذ الأمراء السلاجقة في كثير من الأحيان ينظر: القلقشندي، صبح الأعشى: 6/ 3 ؛ حسن الباشا، الألقاب الإسلامية في التأريخ والوثائق والآثار، (القاهرة: 1957م)، ص122ـ 123.

(2) محمود سعيد عمران، المغول وأوربا (الإسكندرية: 1997م)، ص13.

الواحدة تلو الأخرى، إلا أن الدافع وراء سعيها لم يكن دينياً بقدر ما هو سياسي واقتصادي لكنها حاولت صبغها بالصبغة الدينية من أجل تحقيق أمرين:

**أولهما**: إضفاء الشرعية والقدسية عليها من أجل توسيع مناطق نفوذها على حساب الأراضي الإسلامية.

**وثانيهما**: كسب تأييد العامة وتقوية حماسها لخوض تلك الحروب ضد المسلمين دون أي تهاون، لذا فقد اتخذت تلك الحروب التي شنت على المسلمين طابع الحروب الصليبية [1] وانقسمت تلك الحروب حسب طبيعة شنها إلى قسمين هما:-

**أولا**: الحروب التي شنت على الدولة الإسلامية بشكل مباشر، وخاصة في منطقة بلاد الشام ومصر والأندلس، وعلى شكل حملات متعددة، انطلقت من أوربا اثر دعوة البابا اوربان الثاني[2] لنصارى الغرب في دير كليرمونت الواقع في جنوب فرنسا لشن حرب ضد المسلمين من أجل استرداد بيت المقدس، ولإضفاء طابع القدسية على تلك الحرب [3].

**ثانياً**: ويتمثل ذلك القسم بالغارات المتكررة التي شنت على أطراف الدولة العربية الإسلامية من جهة مملكة جورجيا وأرمينية الصغرى التي لم تعلن عن صليبيتها بشكل مباشر، وإنما مارستها بشكل غير مباشر من أجل أضعاف الدولة العربية الإسلامية والتوسع على حسابها مستغلة انشغالها بالأمور الداخلية من ناحية والتصدي للحملات الصليبية على بلاد الشام من ناحية

---

(1) عاشور، الحركة الصليبية: 1/ 25 ؛ صالح العابد، الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة، مجلة المورد، ع4، بغداد:1987م، ص6ـ10.

(2) حول النص الكامل لخطاب البابا اوربان الثاني. ينظر: فوشيه الشارتري، تأريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي (عمان: 1990م)، ص 32-35.

(3) وليم الصوري، تأريخ الحروب الصليبية والأعمال المنجزة في ما وراء البحار، ترجمة: سهيل زكار، (بيروت: 1990م): 1/ 168ـ172.



أخرى، إذ قادها أبناء دينهم بتشجيع من الغرب الأوربي الذي كان يعاني آنذاك من ظروف اقتصادية صعبة[1].

حققت الممالك المسيحية وخاصة مملكة جورجيا المجاورة للأراضي الإسلامية في بلاد القوقاز الفائدة للصليبيين من خلال إشغال الأمراء المسلمين بالتصدي لغارات جيوشها وبالتالي منعهم من إنجاد إخوانهم في بلاد الشام عن طريق إمدادهم أو المشاركة معهم في صد الحملات الصليبية الأولى وخير مثال على ذلك إغارتهم على ممتلكات الاراتقة في بلاد الجزيرة سنة 514هـ/ 1120م، مما منع الأمير ايلغازي الارتقي من العودة إلى بلاد الشام وقتال الصليبيين بعد أن عاد منها اثر عقده صلحاً مع بلدوين الثاني ملك مملكة بيت المقدس الصليبية في بداية سنة 514هـ/ 1120م[2].

تعد العوامل السالفة الذكر من العوامل التي شغلت الدولة العربية الإسلامية وأنهكت بعض قواها، وعلى هذا الأساس كانت مشاركة تلك القوى فعالة في الحروب الصليبية وان لم يكن بعضها على اتصال مباشر بالصليبيين.

ونظراً لدراسة العلاقات الخارجية لمملكة جورجيا التي كان لها دورٌ كبيرٌ في تلك الحروب، فإننا سنتناول في هذا المبحث العلاقات الجورجية- الصليبية بشكل مفصل لإيضاح دورها في تلك الحروب ومدى علاقاتها بالصليبيين التي امتازت بأنها علاقات ذات طابع ايجابي باستثناء بعض الفترات القصيرة جداً.

---

(1) سيد، أرمينية، ص218.

(2) عماد الدين خليل الإمارات الارتقية في الجزيرة وبلاد الشام، ( بيروت: 1980م)، ص 254،256.



## المبحث الثاني

## دور مملكة جورجيا في الحروب الصليبية

عندما بدأت الحروب الصليبية التي شنت على الدولة العربية الإسلامية، انطلقت الحملة الأولى متوجهةً إلى الشرق في سنة 491هـ/ 1097م [1] وكان لكل من الجورجيين والأرمن دورٌ كبيرٌ في تلك الحملة منطلقين من عدائهم التأريخي وصليبيتهم الحاقدة ضد المسلمين في بلاد القوقاز، فبادروا إلى تقديم الدعم للصليبيين، فضلاً عن قيامهم بعمليات عسكرية ضد الممتلكات السلجوقية في آسيا الصغرى، حيث أكثروا من الغارات عليها مما أدى إلى إضعافها وبالتالي سيطرة الصليبيين عليها في نهاية الأمر، ومّما يدلل على دور الجورجيين الفاعل في تلك الحملة فقد أطلق عليها البعض اسم الحملة الصليبية الجورجية[2].

إن وصول الحملة الصليبية الأولى إلى الشرق ومنطقة آسيا تحديداً جاء متزامناً مع عهد الملك الجورجي داؤد الثاني الذي عرف بعدائه للمسلمين، مّما مكّنَ الجورجيين من الاستيلاء على عدد من المدن الإسلامية كمدينة كاختيا وكنجة وغيرها [3].

ولم يكتفِ الملك داؤد بالاستيلاء على تلك المدن بل تعداه إلى قيامه بإرسال المُؤن والإمدادات فضلاً عن إرساله قوة عسكرية جورجية لمساعدة الصليبيين في محاولة لاحتلال حلب سنة 519هـ/ 1122م[4] وبعد وفاة الملك داؤد الثاني في السنة ذاتها [5] اعتلى العرش ولده الملك ديمتري الأول، فاتبع سياسة والده العدائية للدولة العربية الإسلامية بل كان أكثر صليبيةً منه مستغلاً حالة الضعف التي تمر بها بسبب الصراعات

---

(1) الصوري، تأريخ الحروب الصليبية: 1 / 170-174 ؛ عاشور، الحركة الصليبية: 1 / 25-27.

(2) صبرة، دراسات، ص446.

(3)أبو يعلى حمزة ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق (بيروت: 1908م)، ص168.

(4) ماير، تأريخ الحروب، ص 122.

(5)ابن الأثير، الكامل: 10/ 625.



الداخلية بين أمرائها من جهة، وتصديها للصليبيين على الجبهة الشامية من جهة أخرى، ومما يدل على ذلك ما قاله نور الدين زنكي اتابك الموصل وحلب للاتابك ايلدكز صاحب أذربيجان ((فانك قد امتلكت نصف بلاد الإسلام وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها، وقد بليت أنا وحدي بأشجع الناس الفرنج، فأخذت بلادهم وأسرت ملكهم، فلا يجوز لي أن أتركك على ما أنت عليه، فانه يجب علينا القيام بحفظ ما أهملت من بلاد الإسلام وإزالة الظلم عن المسلمين))[1].

وعلى الرغم مما أوردته بعض المصادر التاريخية من روايات عن المعاملة الحسنة التي كان يلاقيها المسلمون من لدن الملك ديمتري الأول [2] فقد نفت مصادر أخرى ذلك[3] وبعد البحث والاستقراء الدقيق في سياسة الملك ديمتري الأول التي اتبعها تجاه المسلمين طول عهده تبين لنا أن سياسته الحسنة تجاه المسلمين والتي فصّلَ الحديثَ عنها الفارقي، ما هي إلا سياسة مقنعة للوجه الصليبي الذي كان يخفيه الملك ديمتري، وكانت سياسته تلك بدافع الرفع من شأن تعامل النصارى مع المسلمين وانه ليس أقل شأناً من التسامح الإسلامي تجاه الأديان الأخرى، كما تلقب بلقب (حسام المسيح أو سيف المسيح) إذ يعد دليلاً على صليبيته التي ظهرت فيما بعد بشكل جلي [4].

~~لم يدم ذلك التعامل الحسن من لدن الملك ديمتري الأول طويلاً~~، إذ كشفت الأحداث نواياه الخبيثة وأظهرته على حقيقته، وخاصةً عندما قام بمهاجمة بلاد المسلمين المجاورة لعدة مرات خلال سنة 556هـ/ 1159م[5] مستغلاً الأوضاع

---

(1)أبو شامة، الروضتين: 2/ 167.

(2) الفارقي، تاريخ ميفارقين، ص45.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص168 ؛ ابن الأثير، الكامل: 10/ 615.

(4) Minorsky , History Of Sharvan , p. 85.

(5)Toumanoff , Armenia And Georgia,In Cam.Med.His.: 4 / 621-623.





السياسية التي كان يعيشها العالم الإسلامي، إذ أصبح عبارة عن إمارات وممالك واتابكيات فضلاً عن انشغال تلك الممالك في التصدي للغزو الصليبي الذي هددها جميعاً(1).

لم تتوقف السياسة الصليبية للجورجيين بعد وفاة الملك ديمتري الأول في سنة 556هـ/ 1159م، إذ تولى السلطة ولده داؤد الرابع الذي لم يلبث أن وافاه الأجل في غضون ستة أشهر، فتولى السلطة شقيقه جورج الثالث في نهاية سنة 556هـ/ 1159م وسار على السياسة الصليبية نفسها التي انتهجها والده تجاه القوى الإسلامية المجاورة(2).

وبعد وفاة الملك جورج الثالث في سنة 581هـ/ 1184م لم يترك ذكَراً وريثاً للعرش سوى ابنته تمارا التي تولت العرش في السنة ذاتها، فكان لها أثرٌ كبيرٌ في ازدياد قوة المملكة وازدهارها فيما بعد، فطبقت السياسة نفسها التي انتهجها أسلافها في جميع أمور السياسة الداخلية والخارجية(3) وخاصةً تجاه القوى الإسلامية التي عاصرتها من خلال شن الغارات على الأراضي الإسلامية المجاورة لمملكتها، كما اتبعت أسلوباً خبيثاً واكثر صليبية ممن سبقها من الملوك الجورجيين ألا وهو محاولة التدخل في الشؤون الداخلية للمسلمين، ومناصرة الأمراء المنشقين ضد السلطات الإسلامية الحاكمة ساعيةً إلى بث روح الفرقة وشق الصف الإسلامي(4).

لم يقف طموح الملكة تمارا عند ذلك الحد فقط، وإنما تعداه إلى نطاق أوسع وخاصةً بعد أن وصلت شهرتها إلى مختلف أرجاء القوقاز، فوجدت في الحروب الصليبية الفرصة المناسبة من أجل تحقيق أهدافها(5) فظهر ذلك بشكلٍ جلي عندما أوفدت رسولاً إلى

---

(1) عاشور، الحركة الصليبية: 2/ 633.

(2) Toumanoff, Armenia And Georgia, In Cam.Med.His.:4624 /.

(3) Ibid.: 4 / 623-624.

(4) الحسيني، أخبار، ص186 ؛ حسام الدين علي غالب النقشبندي، أذربيجان دراسة في أحوالها السياسية والحضارية (أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة بغداد: 1984م)، ص332 .

(5) صبرة، دراسات، ص 468.



الناصر صلاح الدين الأيوبي في سنة 588هـ/ 1192م ليبين لـه الأمـاكن المقدسـة الخاصـة بالجورجيين في مدينة القدس، ويستعطفه من أجـل إعادتهـا إلى أيـدي نـوابهم فـضلاً عـن عرضها عليه مسألة بيع الصليب المقدس إلا أن الناصر رفض بيع الصليب لها [1].

وعلى الرغم من رفضه بيع الـصليب المقـدس لهـا ، بقيـت الملكـة تمـارا تطمـح إلى كسب ود الناصر صلاح الدين وصداقته [2] لكي يكون حليفـاً لهـا ضـد الـصليبيين منتهـزة حالة التوتر والحروب بينهما، ويرجع ذلك التصرف من لدن الملكـة تمـارا إلى شـدة حنقهـا علـى الصليبيين من العنصر الأوربـي، وخاصـة بعـد أن اخـذوا باضـطهاد الجـورجيين في مدينة القدس ومصادرة الأماكن الخاصة بهم [3] .

وقد أشـار المؤرخون الغربيون المحدثون إلى أن أسباب ذلك الكـره مـن لـدن الملكـة تمارا للصـليبيين يرجـع إلى معـاملة الصليبيين السيئة للجورجيين من سكان مدينـة القـدس أثناء سيـطرتهم على المدينـة [4] في الوقـت الـذي لم يـشيروا فيـه إلى أي نـوع مـن المعاملـة السيئة من قبل المسلمين، وخاصةً في عهـد الناصـر صـلاح الـدين الأيـوبي الـذي قـرب النصـارى الشـرقيين منه معتمداً سياسة اللين وحرية ممارسة الطقوس الدينية [5].

وعلى الرغم من محاولة الملكة تمارا لشراء الصليب المقدس، لم تكـن هنـاك صـلات قوية بين الجورجيين والصليبيين في عهدها [6] وعلـى الأرجـح أن الـسبب الـرئيس لعـدم ميل الجورجيين للصليبيين يرجع إلى الاختلاف المذهبـي بينهما، إذ عـدهم الـصليبيون مـن المنشقين بل والخارجين على الدين المسيحي [7] مما جعلهم أكثر مـيلاً للبيـزنطيين وغيـرهم

---

(1) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص234 ؛ أبو شامة، الروضتين، ص203.

(2) ابن شداد، نفسه، ص 234 ؛ أبو شامة، نفسه: 2 / 203.

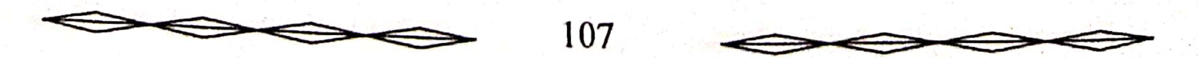
(3) لين بول، صلاح الدين، ص288.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: 2/ 254 ؛ براور، عالم الصليبيين، ص 82.

(5) *Sanjian , The Armenian Communities In Syria , P. 171.*

(6) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: 2/ 254.

(7) براور، عالم الصليبيين، ص 82.



ممن يشتركون معهم في المذهب الأرثوذكسي، وهم بذلك على العكس من أبناء عمومتهم الأرمن [1] ومما يثبت صحة اعتقادنا، ما قامت به الملكة تمارا من مساعدة أبناء الأسرة الكومنينية البيزنطية كل من الكسيوس وداؤد حفيدي الإمبراطور اندرونيق الاول كومنين (579-582 هـ/ 1182-1185م) اللذين عاشا في كنف الملكة تمارا [2] فقدمت لهم الدعم، ومكنتهم من تأسيس إمارة طرابزون البيزنطية الواقعة على ساحل البحر الأسود [3] اثر نجاح الصليبيين في الاستيلاء على القسطنطينية سنة 601هـ/ 1204م، وتأسيسهم بما يعرف بالإمبراطورية اللاتينية [4] فكانت الملكة تمارا بحق العنصر الأساس في تكوين إمارة طرابزون البيزنطية بل واهم شخصية قامت بدور إيجابي في قيامها [5].

وعلى الرغم مما ذكرناه عن سياسة الملكة تمارا تجاه الصليبيين إلا أنها أسهمت بصورة غير مباشرة في تحقيق الفائدة لهم عن طريق شن الغارات على الممالك الأيوبية في بلاد الجزيرة كخلاط وغيرها في سنة 605هـ/ 1208م و606هـ/ 1209م و607هـ/ 1210م[6] وخاصةً بعد وفاة الناصر صلاح الدين وتولي أبنائه وإخوته لحكم مملكته، مّما شغل الأمراء الأيوبيين عن تقديم الدعم والمساعدة لأقاربهم ضد الصليبيين في بلاد الشام.

---

(1) رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ص355.

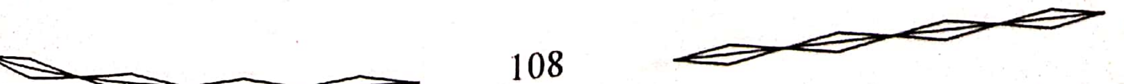
(2) وولف، الامبراطورية اللاتينية: 1/ 389.

(3) بعد سقوط القسطنطينية على يد الحملة الصليبية الرابعة في سنة 601هـ/ 1204م، قامت ثلاث ممالك الأولى هي مملكة أبيروس في شمال غرب بلاد اليونان، واعتلى عرشها ثيودور انجيلوس، والثانية مملكة نيقية في شمال غرب آسيا الصغرى، وتخضع لثيودور لاسكاليس صهر الأسرة الإنجيلية الإمبراطورية، التي خلعها الصليبيون، والثالثة إمارة طرابزون كما وضحنا. للمزيد من التفاصيل ينظر: هسي، العالم البيزنطي، ص211.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 290.

(5) وولف، الإمبراطورية اللاتينية: 1/ 430.

(6) Minorsky , Studies In Caucasian , P. 149.



توفيت الملكة تمارا في سنة 609هـ/ 1212م واعتلى العرش ولدها جورج الرابع الذي تزامن عهده مع وقوع أحداث هامة أثرت في مجرى التاريخ البيزنطي وغيّرت موازين القوة في المنطقة وخاصةً بعد قيام الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وقيام الممالك البيزنطية في طرابزون وشمال غرب اليونان مما اضطر الملك جورج إلى البحث عن قوة حليفة، تدعمه في مواجهة الأخطار الخارجية التي هددت مملكته، فقرر الاتصال بالبابوية التي بدأت تعد العدة للقيام بحملة صليبية ضد الأيوبيين في مصر[1] وعندما توجهت الحملة الصليبية الخامسة بقيادة الملك حنا جان دبرين إلى دمياط في سنة 617هـ/ 1220م[2]. ولحقت به قوات أخرى على رأسها المندوب البابوي الكاردينال بلاجيوس الذي كتب إلى البابا هنريوس الثالث يطلب منه أن يرسل إلى ملك جورجيا، ويطلب منه تقديم المساعدة لرجال الحملة، وساهم الجورجيون فيها من خلال تقديم الدعم إلا أن ظهور الخطر المغولي شل حركتهم وأبعدهم عن المساهمة الفعلية فيها، وأدى إلى عدولهم عن ذلك[3] فكانت تلك الحادثة آخر اتصال بين الجورجيين والصليبيين حسب ما أوردته المصادر والمراجع التاريخية، إذ لم تشر إلى وجود علاقة بينهما بعد تلك المدة، فتوقفت العلاقات الجورجية - الصليبية بسبب الأوضاع الداخلية السيئة التي عمت كلا الطرفين، فقد عانت مملكة جورجيا من تولي ملوك ضعفاء بعد وفاة الملكة تمارا في الوقت الذي ضعفت فيه الكيانات الصليبية في بلاد الشام، مّما أدى إلى اتخاذها موقفاً دفاعياً أكثر مما هو هجومي للحفاظ على ما تبقى من مناطق نفوذها.

---

(1) صبرة، دراسات، ص478_479 ؛
Boswarth , The Political And Dynastic: 5 / 123, 179 ; Ostrogrsky , History Of The Byzantine , P. 426 ؛ Setton , A history Of The Crusades: 2 / 403.

(2)عمران، الحملة الصليبية الخامسة، (الإسكندرية: 1970م)، ص350_353، بسام العسلي، فن الحرب الإسلامي ايام الحروب الصليبية (بيروت: 1988م): 4 / 535 .

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 290.

## المبحث الثالث

## مملكة جورجيا والقوى الإسلامية في بلاد القوقاز

كان لاضطراب الأوضاع السياسية في نهايات العصر العباسي الأول، وبدايات العصر العباسي الثاني بسبب مجيء خلفاء مسلمين ضعاف من ناحية، وسيطرة العناصر الأجنبية على مؤسسة الخلافة من ناحية أخرى، أثره الواضح في ضعف الإدارة العربية الإسلامية في بلاد القوقاز بشكل عام والجهات الواقعة على مسافات بعيدة عن مركز الخلافة بشكل خاص، فبرزت في خضم تلك الأحداث الحرجة بعض الأسر العربية الإسلامية التي عينها الخلفاء العباسيون كولاة على تلك الأقاليم، وكان لها دورٌ كبيرٌ على المسرح السياسي في المنطقة، إذ أصبحت عبارة عن أُسر إقطاعية حاكمة إلى جانب الأسر المحلية، كما أشرنا آنفاً ضمن المباحث السابقة، فشكلت تلك الأسر المتنفذة إمارات ذات حكم وراثي ساعيةً في الوقت ذاته إلى الحصول على استقلالها عن الحكم المركزي المتمثل بالخلافة العباسية وبشتى الطرائق والأساليب [1].

ونظراً لسعة الدولة العباسية وامتدادها شرقاً وغرباً، وما يتطلبه ذلك من جهد كبير في إدارة الدولة، فقد ارتأت الخلافة العباسية إعطاء نوع من الاستقلال الذاتي (اللامركزية) للولايات البعيدة من أجل استمرار بقائها تابعة للخلافة العباسية في بغداد، ما دامت تلك الولايات معترفة بالسلطة العباسية، وتقدم ما عليها من تبعات مالية ومن أبرز الإمارات الإسلامية التي حكمت في بلاد القوقاز الإمارة الشروانية في منطقة الدربند [2] والإمارة الشدادية في دوين [3] واتابكية ايلدكز

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس: 2/ 489.

(2) الدربند: هي مدينة حصينة تقع في بلاد شروان (**داغستان حالياً**)، وتسمى باب الأبواب أيضا، وتقع على الشاطئ الغربي لبحر قزوين، إلى الشمال من مدينة باكو وقبالة تفليس، وعليها سور منيع من الحجارة والآجر والطين.ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص292؛ القلقشندي، صبح الأعشى: 4/ 364 ؛ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة (القاهرة: 1941م)، ج1/ ق1/ ص248/ هامش3.

(3) دوين: بلدة من نواحي أران تقع في آخر حدود أذربيجان بالقرب من مدينة تفليس عاصمة الكرج، ومسقط رأس ملوك الشام من بني أيوب، وأصبحت فيما بعد عاصمةً لبني شداد حكام

في أذربيجان، ونظراً لوقوع تلك الإمارات في بلاد القوقاز، وارتباطها مع مملكة جورجيا من الناحية الجغرافية لذا فقد ارتبطت معها بعلاقات يسودها الصراع في اغلب الأحيان، ولاسيما أن عبء التصدي لتلك الموجة الصليبية المعادية في بلاد القوقاز، كما سادها السلام في أحيان أخرى وذلك حسب ما تمليه مصالح أقوى المعادية وخاصة في فترات ضعفها، وقد خصصنا تباعاً لهذا الموضوع فصلاً مستقلاً من هذه الأطروحة.

## أولاً: العلاقات الجورجية ـ الشروانية( 333- 622هـ/944- 1225م )

قبل البدء بالحديث عن العلاقات السياسية بين الطرفين لابد من إعطاء نبذة مختصرة عن الإمارة الشروانية من حيث الموقع الجغرافي، وكيف ظهرت على مسرح الأحداث في بلاد القوقاز لكي يتسنى للقارئ فهم الموضوع بشكل واضح.

لقد قامت الإمارة الشروانية في بلاد ما وراء القوقاز أي المنطقة المعروفة حالياً بـ (الداغاستان) الواقعة إلى الساحل الغربي لبحر قزوين [1] ويحدها من الجهة الشمالية جبال القوقاز التي تشكل حداً طبيعياً يفصلها عن بلاد القوقاز الواقعة في الطرف الشمالي لتلك الجبال ولا يربطها سوى ممر ضيق يقع بين البحر وجبال القوقاز أطلقت عليه المصادر تسمية البند أو باب الأبواب الذي لا يتجاوز عرضُهُ ميلاً ونصف الميل [2].

أما حدودها الشرقية فهي تحاذي ساحل بحر قزوين، فيحدها من الجنوب كل من أذربيجان وبلاد أران التي تحكمها الإمارة الشدادية، وتتاخم من جهتها الغربية مع مملكة جورجيا، وضمت تلك الإمارة العديد من المدن والقصبات التي أدت دوراً كبيراً في

---

أران.للمزيد من التفاصيل ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 491 ؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء:20/ 588 ؛ عبد القادر بن محمد العليمي ؛ الدارس في تاريخ المدارس (بيروت:1410هـ): 2/ 137 ؛ Minorsky , AStudies In Caucasian , P. 19.

(1) بارتولد، مادة" دربند"، دائرة المعارف الإسلامية: 9/ 178.

(2) بارتولد، نفسه: 9/ 178 ؛ لسترينج، بلدان الخلافة الشرقية، ص214.



التأريخ السياسي للمنطقة كالدربند أو باب الأبـواب ومدينـة الـشابران[1] وشمـاخي[2] وقبلة[3] وشكى وشروان، إذ أدت الأخيرة دوراً متميـزاً في الأحـداث الـسياسية، ويرجـع ذلك إلى الموقع الجغرافي، وخاصةً بعد أن أصبحت عاصمةً للإمارة التي سميت بهـا حيـث أُطلقَ عليها بلاد شروان فضلا عن تلقب حكامها بلقب شروانشاه منذ الحقبة التي سـبقت الفـتح العربـي الإسـلامي، واسـتمر ذلـك اللقـب خـلال حقبـة التبعيـة للدولـة العربيـة الإسلامية وما بعدها[4].

حكم الساسانيون تلك البلاد ودخلوا في صـراع مـع البيـزنطيين مـن أجـل فـرض السيادة عليها، كما قام ملوك الفرس بتحصين تلك البلاد، وتقويتها عن طريق بناء القـلاع والمدن،فقد ذكرت المصادر أن مدينة شروان التي بناها الملك انو شـروان، لـذا فقـد حملـت اسمه، وحُذف فيما بعد المقطع الأول من الاسم (انو) تخفيفاً واقتصر الاسم علـى المقطـع الثاني (شروان) فقط[5] وفي حقبة الفتح الإسلامي تم فتحهـا في العهـد الراشـدي، وعُـينَ عليها الولاة، وأصبحت جـزءاً مـن ولايـة أرمينيـا الكـبرى طيلـة القـرنين الأول والثـاني الهجري / السابع والثامن الميلادي حتى نهاية القرن الثالـث الهجـري / التاسـع الميلادي حيث بدأ الانحلال الإداري والفوضى السياسية يسودان المنطقة، وكان ولاتهـا آنـذاك مـن

---

(1) الشابران: مدينة من مدن إقليم شروان، ومعظم أهلـها مـن النـصارى، وتقـع علـى بعـد عـشرين فرسـخاً مـن الدربند.ينظر: لسترينج، نفسه، ص214 ؛ والفرسـخ = 3 أميـال والميـل = 1,650م، أي 20× 3 =60 ميـل ×1650م = 99كم، أي أنهـا تبعـد هـذا القـدر مـن المسافة عـن شـروان.ينظـر: هـنتس، المكاييـل والأوزان، ص95.

(2) شماخي: أو الشماخية وهي من مدن إقليم شروان، قيل شروان ولايـة وقـصبتها شمـاخي، وهـي قرب بحر قزوين، وعلى بعد أربعة عشر فرسخاً عن نهر الكر، وعلى مسير ثلاثة أيام عن شـروان. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 3/ 361، 338 ؛ لسترينج، نفسه، ص214.

(3) قبلة: ناحية من نواحي أرمينيا الكبرى، أسسها الملك قبـاذ والـد الملـك انوشـروان، وقيـل قلعـة في الجبال القريبة من الدربند. ينظر: لسترينج، نفسه، ص215 ؛ أحمد، لقاء الكرد، ص 57،43.

(4) بارتولد، مادة "شروانشاه"، دائرة المعارف الإسلامية: 14/ 35ـ 37.

(5) لسترينج، بلدان الخلافة، ص215.





أحفاد يزيد بن مزيد الشيباني (183 - 185هـ / 799-801م) الذي توفي في سنة 185هـ / 801 م ونقلوا عاصمتهم من الشابران إلى شروان، وفي عهد الهيثم بن خالد بن يزيد بن مزيد الشيباني اضطربت الأوضاع السياسية فنادى الهيثم بنفسه حاكماً في سنة 209هـ/ 824م، وتحت لقب شروانشاه مستغلاً الأوضاع السياسية السيئة التي عمت البلاد اثر مقتل الخليفة العباسي المتوكل في سنة 247هـ/ 861م[1].

لقد أصبح لتلك الإمارة كيانها الخاص، والمستقل عن الخلافة العباسية واستمرت تلك الأسرة في حكم البلاد حتى سنة 381هـ / 991م، فتولت حكمها سلالة جديدة مدعيةً أن نسبها يتصل بالبيت الساساني الحاكم في بلاد فارس، وتحت قيادة محمد بن يزيد الذي اتخذ لقب شروانشاه أيضا، ونقل عاصمته من شروان إلى شماخي واستمرت تلك الأسرة في الحكم حتى سنة 460هـ / 1067م كإمارة مستقلة، ومن ثم استمرت تابعة للحكم الجورجي حتى حقبة الغزو المغولي في سنة 622هـ / 1225م[2] وهذا ما سنوضحه بشكل مفصل أثناء الحديث عن العلاقات السياسية بين مملكة جورجيا والإمارة الشروانية.

اتسمت العلاقات بين الطرفين بالطابع العدائي حالها حال علاقة الإمارة الشروانية مع الإمارات والممالك النصرانية الأخرى، وخاصةً مملكة جورجيا التي كانت أكثرها صليبية وعداءاً للمسلمين إلا أن ذلك العداء من الجانب الإسلامي لم يكن عداءً دينياً بل امتاز بالطابع السياسي، كما هو الحال في استياء أي جانب سواءً إسلامي أم نصراني من أي معتد خارجي[3]. كما ويمكننا أن نضيف سبباً آخر من أسباب ذلك وهو العداء المتبادل الذي امتاز بالشدة بين الطرفين الجورجي والشرواني إلى التآخم الحدودي

---

(1) المسعودي، مروج الذهب: 4/ 36.

(2) محمد بن أحمد النسوي، سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي (القاهرة: 1953م)، ص 287 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: 5/ 137.

(3) Minorsky , History Of Sharvan , P. 3.

بينهما، مما أدى إلى طمع كلٌ منهما في التوسع على حساب الطرف الآخر من خلال مهاجمة الأراضي التابعة له.

دخلت العلاقات الجورجية الشروانية في طور الصدام، ولأول مرة في سنة 333هـ / 944م، وذلك عندما هاجم الديلم بلاد شروان في عهد الأمير أبو طاهر يزيد بن محمد بن يزيد (30-337هـ/ 917-948م)[1] فاضطر أبي طاهر إلى طلب الصلح ومهادنة جيرانه من سكان مدينة الباب (الدربند) وبعد تعهده برد جميع ما استولى عليه من ممتلكات وقرى تابعة لهم، فساعدوه على طرد الديلم من بلاده إلا انه أدرك ضرورة كسب ود الديلم لمواجهة أخطار الجورجيين والبيزنطيين، ونجح في تحقيق ذلك من خلال عقد المعاهدات مع الديلم في سنة 333هـ / 944م و 337هـ / 948م [2] وكان الهدف من ذلك التحالف تقييد مملكة جورجيا التي بدأت في القيام بمحاولات الاعتداء والتوسع على حساب جيرانها، فجاء ذلك متزامناً مع بدء الغارات على مملكة أرمينيا الكبرى في تلك الحقبة، مما سهَّل عملية قيام التحالف بين الطرفين اللذين وجد كلٌ منهما ضالته المنشودة في الطرف الآخر، وان الفرصة مؤاتية لهما لتحقيق مآربهم في بلاد القوقاز[3].

استغل ملوك جورجيا الاضطرابات الداخلية التي عمت الإمارة الشروانية في سنة 459هـ / 1066م بسبب توتر العلاقة بين شروانشاه فريبرز بن سلار بن يزيد الذي تولى حكم الامارة في سنة 455هـ/ 1063م وبين سكان عاصمته اليزيدية [4] ممّا اضطره إلى

---

(1) الديلم: قبيلة تسكن الجزء الغربي من بلاد جيلان، الذي يحده من الشمال جيلان، ومن الشرق طبرستان ومازندران، ومن الغرب أذربيجان وبلاد اران، ومن الجنوب نواحي بلاد قزوين، واستعملهم الخلفاء العباسيون جنوداً بين صفوف قواتهم بزعامة أحمد بن بويه . للمزيد من التفاصيل ينظر: بارتولد، مادة "ديلم"، دائرة المعارف الإسلامية: 9/ 367.

(2) Minorsky , History Of Sharvan , P. 27.

(3) Ibid , p. 61.

(4) اليزيدية: مثلت مركز بلاد شروان في العصور الإسلامية، بنيت في سنة 306 / 918م على أنقاض مدينة شماخي القديمة، وتقع اليزيدية على الضفة الغربية للمنابع العليا لنهر بير سكت والى الشرق



عقد معاهدة مع الجورجيين منحهم بموجبها حق الدخول إلى عاصمته، لأجل القضاء على منافسيه ومن يقف ضده، وما أن حصلوا على ذلك الامتياز حتى بادروا بدخولها في شهر جمادى الآخرة من السنة ذاتها ومارسوا فيها جميع أعمال السلب والنهب، وقبضوا على كل من كان فيها من الفقهاء والأعيان والزعماء وسلموهم إلى فريبرز، فأمر الأخير بقتل بعضهم واجبر البعض الآخر على دفع الخراج المفروض على السكان [(1)]. إلا أن العلاقات لم تلبث أن شابها التوتر بسبب العداء الشخصي بين الأمير فريبرز والملك الجورجي جاجيك حاكم كاخثيا [(2)] المجاورة لبلاد شروان وخاصةً بعد أن نجح الأخير في مد مناطق نفوذه إلى شرق نهر الرس في سنة 440هـ / 1048م، مما شجعه على مهاجمة بلاد شروان لضمها إلى دائرة نفوذه، فهاجم مدينة شكى في السنة ذاتها، ونجح في الاستيلاء عليها بعد أن قتل صاحبها .

توفي جاجيك ملك كاخثيا، فتولى الحكم من بعده ولده اخسرطان الثاني كحاكم مؤقت إلا انه نجح في توطيد حكمه الذي استمر للمدة من 440هـ/ 944م إلى 477هـ/ 977م وسعى الأخير إلى كسب ودُّ المسلمين، في الوقت الذي كان فيه على علاقة سيئة بقريبه بقراط الرابع (418 – 465هـ / 1027 – 1072م) بن جورج الأول ملك ابخازية الواقعة إلى الغرب من جورجيا، واشتهر اخسرطان بالنشاط والحيوية، وعرف في المصادر العربية بـ (ابن كركي)[(3)].

---

من نهر آخ صو بأربعين كيلومتر، وعلى مقربة منها قلعة كلستان مركز قيادة الأمير، ينظر: أحمد، لقاء الكرد واللان، ص 57–58.

(1)Minorsky , History Of Sharvan , pp. 35 , 66.

(2) كاخثيا: احد أقسام مملكة جورجيا وتقع في حوض نهر الازان، وتمتاز بأنها ارض زراعية خصبة تزرع فيها أنواع الحمضيات وبساتين الفاكهة وأجود أنواع العنب .ينظر: سولوفيوف، جغرافية الاتحاد السوفيتي، ص176.

(3)Minorsky , History Of Sharvan , Pp. 66_ 67.

وعلى الرغم من سعي اخسرطان الثاني ملك كاخثيا إلى كسب ود المسلمين إلا أن الروايات التاريخية أكدت على أن حكام كاخثيا نجحوا في ضم مدينة شكى التابعة للإمارة الشروانية إلى دائرة نفوذهم خلال الحقبة ما بين(339-442هـ/ 1050-1050م) ورداً على ذلك سعى الأمراء الشروانيون إلى الاستعانة بالشداديين حكام دوين، فهاجموا مملكة جورجيا في سنة 417هـ / 1026م، والحقوا بها خسائر فادحة، وقتلوا نحو عشرة آلاف من الجورجيين [1].

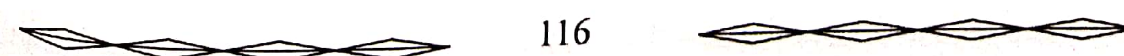
لقد أدى توتر العلاقات بين الطرفين إلى وقوع صِدام بينهما في سنة 445هـ / 1053م، أسفر عن هزيمة القوات الجورجية واسترداد مدينة شكى، فوقع الملك اخسرطان في اسر شاهنشاه فريبرز، ومن ثم أطلق سراحه مقابل فدية مالية كبيرة، لكن اخسرطان لم يعتبر من هزيمته السابقة، فعاود الكرة وهاجم مدينة شكى للمرة الثانية وتمكن من احتلالها ولكن سرعان ما سار فريبرز، واسترد المدينة منه ودمرها حتى لا يتسنى للجورجيين مهاجمتها مرة أخرى أو الاستفادة منها، ورداً على ذلك وفي السنة ذاتها اتفق شاهنشاه فريبرز مع الأمير الفضل بن شاور الشدادي صاحب اران، فسارا بقواتهما، وحاصرا أحد القلاع التابعة لمملكة جورجيا، وطردا نائب الملك اخسرطان الثاني فيها [2] وفي خضم الصراع بين الملوك الجورجيين في كاخثيا وجيرانهم الشروانيين، كانت جورجيا تمر في مرحلة من أهم المراحل التي عاشتها وهي مرحلة ظهور الأسر القوية كالأسرة البقراطية التي عملت على توحيد جورجيا بعد أن فرضت سيطرتها على الأجزاء الجنوبية والغربية (أبخازية) من البلاد، فاعتلى الملك الجورجي بقراط الثالث العرش في مملكة الابخاز سنة 368هـ / 978م، فبدأ يتحرك لتوحيد جميع الأراضي الجورجية، وسار ولده جورج الأول على سياسته نفسها، وكذلك حال ولده بقراط الرابع، الذي حقق نجاحاً كبيراً، على الرغم من التهديدات التي كانت تشكلها الإمارة

---

(1) Minorsky , Ibid. , p. 121.

(2) منجم باشي، جامع الدول نقلاً عن:

Minorsky , History Of Sharvan , p. 15.



العربية في تفليس، التي كان يحكمها أمراء مسلمون من ناحية [1] وصراعاته مع الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الثامن من ناحية أخرى[2].

إن اضطراب الأوضاع الداخلية في عاصمة الملك بقراط الرابع، وقيام العديد من التمردات في سنة 459هـ / 1067م جعل الفرصة سانحة لشروانشاه، فهاجم مملكة جورجيا في السنة ذاتها، مّما اضطر الملك الجورجي إلى عقد الصلح مع المتمردين ومهادنتهم من أجل التفرغ للأخطار الخارجية التي بدأت تعصف ببلاده [3] فسار الملك بقراط إلى بلاد شروان، ونجح في الاستيلاء على عدد من القلاع إلا انه تنازل عنها للملك اخسرطان الثاني حاكم كاختيا، ولم ينجح شروانشاه في تحريرها [4] إلا أن الإنجاز الأكبر للملك بقراط كان توحيد جورجيا تحت سلطته، مما زاد ذلك في نمو قوتها [5].

وبعد موت الملك بقراط الرابع تولى السلطة ولده داؤد الثالث (482-518 هـ / 1089 - 1124م) الذي اتبع سياسة التحالفات مع جيرانه، فعقد عدة اتفاقيات مع البيزنطيين والأمراء المسلمين المجاورين الذين تقع أراضيهم بين مملكة جورجيا وبحر قزوين كالشروانيين والشداديين [6] مما سهل له عملية توحيد جورجيا تحت سلطته فأصبحت مملكة ذات نفوذ وكيان في منطقة القوقاز، ويرجع ذلك إلى السياسة الحكيمة التي اتبعها، إذ أدرك أن القوة لا تجدي نفعاً من ناحية وان الظروف التي تمر بها بلاده لا تسمح له بالقيام باعمال عسكرية من ناحية اخرى، لذا لا يمكنه توحيد البلاد إلا بعد أن يأمن جانب القوى المجاورة.

---

(1) Ibid , p. 84.

(2) ابن البطريق، التأريخ المجموع:1/ 242.

(3) Minorsky , History Of Sharvan , p.84.

(4) منجم باشي، جامع الدول، نقلاً عن: Ibid , p. 15.

(5) Ibid. , p.84.

(6) الباز العريني، المغول (بيروت:1981م)، ص77.

أدت مملكة جورجيا دوراً كبيراً ومؤثراً في الأحداث التي كانت تمر بها بلاد شروان وخاصةً في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، مما جلب انتباه شروانشاه إلى مسألة صرف الجورجيين عن مهاجمة بلاده، ففي سنة 510هـ / 1116م زوج الملك داؤد الثالث شقيقته تمارا بشروانشاه منجوشهر الثاني إلا أن ذلك الزواج لم يدم طويلاً، فعادت تمارا إلى مملكة جورجيا وترهبنت، وبقيت بلاد شروانشاه تحت سيطرة الملوك الجورجيين، كمحمية تابعة لهم [1].

استمرت تبعية بلاد شروان للجورجيين حتى سنة 517هـ / 1123م إلا أن سياسة التعسف والاضطهاد التي مارسها الجورجيون ضد سكانها أدى إلى استنجاد السكان بالسلطان محمود بن محمد السلجوقي (509-529هـ/ 1115-1134م) من خلال إرسالهم جماعة من أعيان بلاده ليوقفوه على ما يمرون به من الاضطهاد الجورجي من ناحية [2] ولغرض إعلامه بما هم عليه من الضعف والعجز أمام حفظ بلادهم من ناحية أخرى، وما أن علم الجورجيون بذلك حتى قاموا بتجهيز حملة عسكرية إلى بلاد شروان نجحت في اختراقها حتى بلغوا مدينة شماخي إلا أن السلطان كان أسرع مسيراً منهم، فقد وصل إلى المدينة قبل بلوغهم إياها فنزل ببستان بالقرب منها، ولكن الرعب لم يلبث أن دب في قلوب عساكر السلطان بمجرد تحرك الجورجيين إليهم، فأشار عليه الوزير شمس الملك [3] بالانسحاب وعندما سمع سكان شروان بذلك، أسرعوا إلى لقاء السلطان وقالوا له: ((نحن نقاتل ما دمت عندنا، وان تأخرت عنا ضعفت نفوس المسلمين وهلكوا، فقبل قولهم، وأقام في

---

(1) Toumanoff ,Armenia And Georgia: 4 /625.

(2) ابن الأثير، الكامل: 10/ 616.

(3) شمس الملك: هو شمس الملك عثمان بن الوزير الكبير قوام الدين نظام الملك أبو الحسن علي بن إسحاق الطوسي. ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان: 2/ 128-131 ؛ علي محمد محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط (القاهرة: 2004م)، ص33.





مكانه)) [1]، ولكن اختلاف عساكر الجورجيين والقفجاق، أدى إلى انسحابهم وكفى الله المسلمين شرهم.

وفي عهد الملك داؤد الثاني سنة 520هـ / 1126م كرر الجورجيون الهجوم على مدينة شكى الواقعة ضمن نفوذ الأمراء الشروانيين، فسار السلطان محمود السلجوقي في سنة 524هـ / 1130م إلى بلاد شروان ودخلها وأخضعها لسلطته واجبر سكانها على دفع الخراج له، فأصبحت خزينة بلاد شروان خاوية، مما جعلها مهددة من قبل الملك الجورجي داؤد الثاني، فانسحب السلطان عن بلاد شروان [2] وعلى أية حال لم ينته حكم الملك داؤد الثاني في جورجيا سنة 524هـ/ 1130م إلا وأُلحقَت بلاد شروان بدائرة نفوذه [3].

استمرت تلك التبعية وعمل الجورجيون على توطيدها من خلال إقامة مصاهرة سياسية بين الطرفين، إذ تزوج شروانشاه أبو المظفر صاحب شروان من ابنة ديمتري ملك جورجيا، إذ أكد ذلك ابن الأزرق الفارقي [4] ضمن حوادث سنة 549هـ / 1154م عندما كان في خدمة الملك ديمتري الذي رافقه الفارقي عندما كان في رحلة لتفقد حدود دولته الشرقية المتاخمة مع بلاد شروان، فقد أشار إلى قدوم شروانشاه أبي المظفر ليحيي الملك ديمتري أبي زوجته، واظهر له كل مظاهر الاحترام، فكان ذلك الحدث يمثل شيئاً مهماً عند ابن الأزرق الفارقي فثبته في تاريخه الذي ألفه.

---

(1) ابن الأثير، الكامل:10/ 616 ؛ حسنين، دولة السلاجقة، ص104.

(2) Boswarth , The Political And Dynastic : 5123 /,178.

(3) أحمد السعيد سليمان، تأريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة (القاهرة:1972م): 2/ 360.

(4 ) Minorsky , Studies In Caucasian , Pp. 170 -171





ازداد التدخل الجورجي في الأمور الداخلية لبلاد شروان في سنة 561هـ/ 1166م من خلال الدعم والمساعدة التي قدمها جورج الثالث ملك جورجيا لشروانشاه اخسرطان ضد أخيه نظراً لارتباطه معه بصلات نسب، إذ إن زوجته كانت من البيت البقراطي [1].

وصلت مملكة جورجيا في عهد الملكة تمارا (580-609هـ/ 1184-1212م) إلى أوج قوتها، فأصبحت الإمارة الشروانية تابعة لها بعد أن أدخلتها في طاعتها إذ تأتمر بأمر الملوك الجورجيين وتدفع الخراج لهم[2] وبموجب تلك التبعية فقد التزم الشروانيون في القتال إلى جانب مملكة جورجيا في حروبها الخارجية ففي سنة 583هـ/ 1187م التجأ مير ميران عمر بن محمد البهلوان إلى جورجيا وطلب المساعدة من الملكة تمارا في صراعه مع أخيه أبي بكر اتابك أذربيجان من أجل الحكم [3] فأرسلت إلى شروانشاه تلزمه بالمسير مع مير ميران عمر إلى أذربيجان [4].

استمرت الإمارة الشروانية في تبعيتها لجورجيا طول عهد الملكة تمارا التي وطدت حكمها، ووسعت دائرة نفوذها إلى البلاد المجاورة، وبعد موتها تولى الحكم ولدها جورج الرابع (609 - 620هـ / 1212 - 1223م) الذي قبض على ممتلكاته بيد من حديد طوال عهده[5].

وعلى الرغم من ذلك فان المصادر التأريخية لم تزودنا بمعلومات مفصلة عن علاقته بالإمارة الشروانية سوى تبعيتها لنفوذه، وبعد وفاته تولت السلطة في البلاد شقيقته

---

(1) لقد تأثر البيت الحاكم في بلا شروان على الرغم من أصله العربي سكان المنطقة بحكم عملية الزواج والاختلاط مع السكان المحليين، فاخذوا يطلقون الأسماء الأعجمية على ابنائهم كفريبرز وافريدون ومنجو شهر واخسرطان. ينظر: ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: 5/ 136 ؛
Minorsky , History Of Sharvan , p. 136 .

(2) Boswarth , The Political And Dynastic: 5 / 123 ,179.

(3) النقشبندي، أذربيجان، ص332

(4) الحسيني، أخبار الدولة، ص186.

(5) صبرة، دراسات، ص478.



روسودان (620 – 643 هـ / 1223 – 1245م) التي لم تكن كسلفها من حيث القوة والعزم، فتعرضت بلادها لغزوات خارجية كالخوارزميين الذين ظهروا كقوة إسلامية فتية، فبدأت في سنة 622هـ / 1225م بشن الغارات على جورجيا والبلاد المجاورة لمد نفوذهم، وفي تلك الحقبة دخلت الإمارة الشروانية في مرحلة الصراعات والنزاعات الداخلية، إذ ثار في سنة 620هـ / 1223م الأمير فريبرز ضد والده شروانشاه افريدون [1] ونازعه الملك فأخرجه من البلاد بمساعدة معظم السكان، الذين عانوا الكثير نتيجة السياسة السيئة التي اتبعها والده، إذ كان كثير الظلم والفساد بل واخذ في سلب أموال الرعية وأملاكهم، فلما خرج عليه ولده قدموا له الدعم ضد والده [2].

جلس الأمير فريبرز على عرش الإمارة وكان همه الأول كيفية التخلص من ربق التبعية لمملكة جورجيا، فلما رأى الأمير المخلوع ذلك توجه إلى البلاد الجورجية، حيث بلاط الملكة روسودان ابنة الملكة تمارا أملا في استرداد عرشه الضائع، فاستنجد بها وطلب منها العون، فسيرت الملكة معه قوات جورجية لمساعدته في استرداد ملكه مقابل تنازله لها عن نصف البلاد وبشكل نهائي، فجمع الأمير فريبرز قواته واستنفر السكان ووضح لهم المخططات والاتفاق الذي أبرمه والده مع الجورجيين، فخرج السكان معه فبلغت قواته ألف فارس، فدخل في معركة حامية الوطيس مع القوات الجورجية التي يقودها والده [3].

نجح شروانشاه فريبرز في إلحاق خسائر فادحة بخصومه، إذ قتل عدداً كبيراً منهم واسر قسماً منهم وفر الباقون إلى بلادهم بأسوء حال وفي مقدمتهم والده، فطرد الأخير

---

(1) أشارت المصادر التاريخية إلى انه افريدون بن فريبرز، إلا أن ابن واصل أشار إلى انه رشيد، إلا أن الأرجح انه افريدون بن فريبرز وذلك لإجماع المؤرخين على افريدون.ينظر: جمال الدين محمد ابن سالم بن واصل، مفرج الكروب في اخبار بني أيوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع (القاهرة: 1972م):4/ 146؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص287 ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: 5/ 137

(2) الملك الاشرف، العسجد المسبوك : 1/ 404.

(3) الملك الاشرف، العسجد المسبوك: 1/ 405.





من قبل الملكة روسودان، فترك مملكة جورجيا ولا يعلم أين وجهته، واستقر الأمير فريبرز في الحكم، وأحسن السيرة في الرعية [1].

كما عمل في الوقت ذاته على تحسين علاقته مع مملكة جورجيا بشتى الطرق ولاسيما الزواج السياسي، فتقدم لخطبة ابنة الملكة روسودان لولده جلال الدين في سنة 622هـ / 1225م، فوافقت الملكة روسودان على ذلك الزواج، على أن يتنصر ولده فوافق شروانشاه وسلمه إليهم، وبقي في البلاط الجورجي حتى دخول جلال الدين خوارزمشاه إلى مملكة جورجيا في السنة ذاتها، فأخذه من جورجيا وولاه على أحد المدن التابعة له [2] ولما استولى جلال الدين خوارزمشاه على بلاد إيران سنة 622هـ / 1225م، أرسل إلى شروانشاه فريبرز بن افر يدون مطالباً إياه بالإتاوة التي كان يدفعها للكشاه السلجوقي [3] البالغة مئة ألف دينار إلا انه أرسل إلى السلطان جلال الدين يشكو إليه ضعف بلاده، وعدم قدرته على دفع الإتاوة لتغلب الجورجيين واستيلائهم على معظمها كشكى وقبلة وغيرها[4].

استمرت مراجعات الرسل في ذلك الأمر حتى خفض السلطان جلال الدين الإتاوة إلى النصف أي خمسين ألف دينار يحملها سنويا إلى الخزانة الجلالية [5] فسار شروانشاه إلى السلطان دون استدعائه، و أهدى إليه خمسمئة فرس ولوزيره خمسين فرساً فاستقبلها فحاول الوزير الوشاية به عند السلطان، وأشار عليه بحبسه إلا انه رفض ذلك [6].

وبدخول بلاد شروان في تبعية الدولة الخوارزمية من ناحية، والضعف الذي بدأ يدب في مملكة جورجيا بسبب الغارات المتتالية من قبل الخوارزميين من ناحية أخرى

---

(1) ابن الأثير، الكامل: 12/ 430ـ431 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب: 4/ 146.
(2) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص287 ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: 5/ 136.
(3) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص287.
(4) ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: 5/ 137.
(5) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص289.
(6) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص289 ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون، 5/ 137.

فترت العلاقات الجورجية الشروانية حتى حقبة ظهور الخطر المغولي الذي هدد العالم بأسره، فاسقط الدولة الخوارزمية وبلاد شروان، واخضع مملكة جورجيا لتبعيته فأصبحت بلاد القوقاز بأكملها عبارة عن ولاية تابعة للمغول.

## ثانياً: العلاقات الجورجية ـ الشدادية (340 ـ 596هـ / 951 ـ 1199م)

قبل البدء بالحديث عن العلاقات السياسية بين مملكة جورجيا والإمارة الشدادية التي مثلت طرفاً في تلك العلاقة، لابد من التطرق إلى تلك الإمارة من حيث موقعها الجغرافي، وأصل حكامها وكيفية قيامها لغرض معرفة طبيعة تلك العلاقات بشكل واضح.

ظهرت الإمارة الشدادية للمدة من (340 - 596هـ / 951 - 1199م) في إقليم اران الذي يتاخم مع إقليم أذربيجان من جهته الجنوبية الشرقية، ويفصل بينهما نهر الرس ويحده من الغرب أرمينيا، أما من الجهة الشمالية فتحده جبال القوقاز كحدود طبيعية، واتخذت الأسرة الشدادية من مدينة دوين عاصمة لها [1] وهي ترجع إلى أصل كردي حسبما أشارت المصادر، إذ انحدرت من المغامر شداد الكردي [2] الذي نصب نفسه حاكماً على مدينة دوين في منتصف القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، ومن الصعب تحديد أصل تلك الأسرة بشكل دقيق بسبب أن عدداً من أسماء أفرادها يرجع إلى أصل ديلمي كالاشكري ومرزبان بل أن أحدهم اشوط وهو اسم ذو أصل ارمني [3] والراجح أنها من أصل كردي، وإحدى بطون قبيلة رواد الكردية التي استقرت في منطقة روادي من بلاد آران وانتسبت اليها، وكلمة روادي في اللغة الكردية تعني (القرية)

---

(1) ياقوت الحموي، معجم البلدان: / 136.

(2) منجم باشي، جامع الدول، نقلاً عن:

Minorsky , History Of Sharvan , p. 1.

(3) ابن الأثير، الكامل: 7/ 466؛

Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran: 4 /243.

أو(المنطقة الصالحة أو اللائقة)[1] فضلاً عن أن المنطقة التي قطنوها فيها نسبة كبيرة من الأكراد، أما فيما يتعلق بتنوع الأسماء، فيبدو انه يرجع إلى تعدد أصول السكان فيها فكان ذلك بحكم عامل التأثير والتأثر.

لم ينجح محمد بن شداد في إخضاع مدينة دوين في سنة 360هـ / 971م إلا أن ولديه الشكري والفضل نجحا في الاستيلاء عليها بدعوة من نبلاء مدينة كنجة ونجح الفضل في نهاية الأمر في إقامة قوة محكمة في ذلك الإقليم [2] كما أكدت مصادر التأريخ الأرمني على قوته ونشاطه العسكري، مما مكنه من تثبيت حكمه وقاتل الجورجيين البقراطيين وحكام الأرمن في آني وألبانيا وتأشير وعبر نهر الرس في سنة 421هـ / 986م لغرض ضم أذربيجان إلى دائرة نفوذه، ويعد الفضل صاحب الدور الأكبر من بين الأمراء الشداديين في إقامة تلك الإمارة، واتبع أخلافه السياسة ذاتها التي اعتمدها من أجل تثبيت حكمهم وإقامة إمارة قوية[3].

دخلت الإمارة الشدادية في صراعات مع القوى المجاورة، فكانت مملكة جورجيا إحدى تلك القوى، وامتازت العلاقات الجورجية الشدادية بطابع الصراع من أجل مناطق النفوذ، فكانت عدائية أكثر مما هي ودية منذ قيام الإمارة الشدادية في اران، إذ أصبحت الإمارة تمثل الهاجس الذي بدأ يثير مخاوف ملوك جورجيا واحداً تلو الآخر، وخاصةً بعد أن اخذ الأمراء الشداديون يسعون من أجل توسيع دائرة نفوذهم على حساب الأراضي المجاورة في أرمينيا وجورجيا بل تعداه إلى مناطق نفوذ القوى الإسلامية إلا أن توجههم الأكبر كان مركزاً على أرمينيا التي كانت تعيش حالة من الفوضى والاضطرابات السياسية، فنجحوا في ذلك، وخاصةً في عهد الأمير فضلون الأول بن محمد بن شداد (375-422هـ/ 985-1030م) الذي وطد سيطرته على بلاد اران وبعض

---

(1) محمد التونجي، المعجم الذهبي، ص 285،300. نقلاً عن: رسول، الإمارة الشدادية، ص 61، هامش (143).

(2) محمد نجم النقشبندي، الكرد وكردستان (بغداد: 2002م)، ص63.

(3) Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran: 4243 /.



أجزاء أرمينيا وأذربيجان، ونظراً لما بلغته تلك الإمارة من القوة فقد رضخ الأرمن إلى واقع الحال، وجنحوا إلى التفاوض والسعي من أجل عقد الصلح الذي اضطروا من خلاله إلى دفع الجزية السنوية للشداديين [(1)] والتي بلغت 300,000 درهم [(2)].

وجد ملوك جورجيا الفرصة مؤاتية لهم مستغلين ما يمر به الأرمن من أجل كسبهم إلى جانبهم وعقد تحالف معهم لمواجهة الخطر الشدادي الذي بدأ يستهدف الأراضي الجورجية بعد أن انتهى من السيطرة على الأراضي الأرمنية، وكرد فعل على ذلك نشأ نوع من التحالف بين الإمارة الشدادية والإمارة الشروانية في عهد فضلون الأول وتمت مهاجمة جورجيا في سنة 417هـ/ 1026 م، ونجحوا في تحقيق انتصارٍ كبيرٍ كَبدوا فيه الجورجيين عدداً كبيراً من القتلى والأسرى والغنائم، وانسحبوا عائدين إلى بلادهم[(3)].

كما قام الأمير فضلون بغزو جورجيا في سنة 421هـ / 1030م إلا أن الملك بقراط الرابع نجح في نصب كمين له في أثناء انسحابه، بالتعاون مع كلاً من ليبريت أمير كاخثيا وداؤد الاناضولي ملك تاشير الأرمنية، فألحقت الهزيمة بالقوات الشدادية [(4)] ولم يلبث الأمير فضلون أن توفي في السنة ذاتها أي بعد عودته، فتولى الحكم ولده أبو الفتح علي (421-425هـ/ 1031-1033م)، فانتهج سياسة والده ذاتها إلا أن المصادر لم تشر

---

(1 ) Minorsky , Studies In Caucasian , P. 43.

(2) أبو حامد الأندلسي، نخبة الألباب، ص 85. نقلاً عن: إسماعيل، الإمارة الشدادية، ص85، هامش (90).

(3) Minorsky , History Of Sharvan , p. 121; Studies In Caucasian , P. 17.

(4) أبو حامد الأندلسي، تحفة الألباب، ص118، نقلاً عن: رسول، الإمارة الشدادية، ص85 ؛ Minorsky , Art: “ Al Kurdj ” In Enc. Of Islam: 5289 /; Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran: 4 /243.





إلى أحداث مهمة في عهده ما عدا القيام بمحاولات ضم الأراضي الجورجية المجاورة[1] وقد يرجع ذلك إلى قصر مدة حكمه[2].

توفي أبو الفتح علي سنة 425هـ/ 1033م فتولى الحكم ولده أبو الحسن علي الشكري الملقب بـ الشكري الثاني (425-441هـ/ 1033-1049م)، فاتبع سياسة أسلافه ذاتها في شن الغارات على مملكة جورجيا التي نجح من خلالها في تحقيق الانتصارات، ففي الوقت الذي يشير فيه أحد الباحثين المختصين بتاريخ القوقاز إلى انه شن غارة واحدة في سنة 426هـ/ 1034م[3]، يؤكد المستشرق الروسي مينورسكي إلى أن الشكري الثاني شن في سنة 438هـ / 1046م غارة على الاراضي الجورجية، وكانت من أهم غاراته التي قام بها كرد فعل على التحالف الذي تم بين الجورجيين والأرمن ، والحق بهم افدح الخسائر، وغنم كماً كبيراً من الأموال والدواب والمتاع، ولم يكتف بذلك بل أجبرهم على دفع الجزية السنوية له[4] إذ اشتركت القوات الجورجية في السنوات (437_439هـ / 1045-1047م) إلى جانب الملك الأرمني جاجيك في حملته ضد الشداديين في دوين، ونجحوا في استعادة السيطرة على بعض الأراضي الجورجية التي استولوا عليها فيما مضى[5].

وبعد وفاة الشكري الثاني في سنة 441هـ/ 1033م تولى حكم الإمارة انوشروان الملقب بابي المنصور، فسار بقواته إلى عدد من القلاع والحصون الحدودية التي استلمها من حكام كاخثيا وجورجيا، وعلى الرغم من الهدوء النسبي الذي امتازت به مدة حكمه التي لم تدم إلا بضعة أشهر، فقد اندلعت الثورة ضده في مدينة شمكور سنة 441هـ/ 1049م، بعد ان تآمروا مع صاحب دوين الأمير شاور بن فضلون الأول بن

---

(1) Minorsky , Studies In Caucasian , P. 43 –44 .

(2) كسروي، شهرياران: 3/ 278، نقلاً عن: رسول، الإمارة الشدادية، ص 85، هامش (92).

(3) رسول، الإمارة الشدادية، ص 85-86.

(4) Minorsky , Studies In Caucasian ,P. 17.

(5) Louis ,The Life And Death , P. 178.



محمد بن شداد الملقب بأبي الأسوار، إذ كان على اتصال بهم، فقدم الدعم والمساعدة المادية لهم، ونجحوا في السيطرة على المدينة وقلعتها ونادوا به حاكماً عليهم، وخاصةً انه كان مستقلاً بحكم دوين منذ سنة 413هـ/ 1022م وكان جاراً مزعجاً بالنسبة لجيرانه من الجورجيين والأرمن ولاسيما انه أصبح الخطر الذي يهددهم، واكتسب في الوقت ذاته سمعة جيدة لدى المسلمين وهي سمعة الأمير المجاهد والمثالي مقارنةً بأمراء المنطقة الآخرين، فنجح في سنة 446هـ/ 1039م في غزو الأراضي الجورجية والأرمنية وانسحب عنها بعد أن جنا ما جناه من الغنائم [1].

شن أبو الأسوار في سنة 453هـ/ 1061م هجوماً على مملكة جورجيا، حقق خلاله نجاحاً باهراً، فألحق الهزيمة بالقوات الجورجية بعد أن قتل وأسر عدداً كبيراً منهم واستولى على أموال وغنائم جماً، كما وجه حملة عسكرية ثانية إلى جورجيا في سنة459 هـ/ 1066م وعلى رأسها ولده الأمير فضلون الثاني، ونجح في فرض سيطرته على مساحات واسعة من الأراضي الجورجية المجاورة، مما اضطر ملك جورجيا إلى التفاوض معه طالباً الصلح، فوافق الأمير فضلون على أن يقر الملك الجورجي بالجزية السنوية يقدمها للأمير أبي الأسوار الشدادي [2].

لقد كان للدور الذي أداه الأمير فضلون الثاني (459-484هـ/ 1066-1091م) في حياة والده، أهميته في كسب مكانة سياسية أهلته لتولي أمور الحكم بعد وفاة والده في سنة 459هـ/ 1066م، فبادر بمجرد توليه السلطة إلى إعداد العدة لمهاجمة مملكة جورجيا بالتعاون مع القوات السلجوقية بعد أن دخل في تبعية السلطان السلجوقي فسارت القوات المشتركة الشدادية والسلجوقية نحو الأراضي الجورجية، ونجحت في دخولها بعد

---

*(1) Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran: 4 / 243.*

(2) الحسيني، أخبار، ص46 ؛
Minorsky , Studies In Caucasian , P. 50.



أن كبدت الجورجيين خسائر بشرية ومادية فادحة [1] كما تمكن الأمير فضلون من انتزاع مدينة تفليس وآني من أيدي الجورجيين في سنة 460هـ/ 1068م فأصبحت الأولى تحت سلطة الأمير فضلون والثانية تحت سلطة أخيه الأمير منجوشهر ابن أبي الأسوار [2].

وقع الأمير فضلون أسيرا بيد الجورجيين في كاخثيا واحتجز لدى الملك اخسرطان فقام الأخير بتسليمه للملك بقراط الرابع ليستبدله بقلعتي السكرة والحسين، وهما من أحصن القلاع التي يصعب الاستيلاء عليهما [3].

لم ينس الجورجيون ما تعرضوا له من هزائم على يد الشداديين، فبدؤوا في شن سلسلة من الغارات على مناطق نفوذ الشداديين، ابتدأت أواخر أيام الملك بقراط الرابع في سنة 464هـ / 1072م فنجح في استعادة مدينة تفليس إلا انه تنازل عنها للشداديين مرة أخرى، وبعد وفاة الملك بقراط الرابع في السنة ذاتها اعتلى العرش ولده الملك جورج الثاني (464-482هـ/ 1072-1089م) [4]، إلا انه لم يقم بأي محاولة هجومية على مناطق نفوذ الإمارة الشدادية، ويرجع ذلك إلى انشغاله بأمور السياسة الداخلية.

نشطت السياسة العدائية التي انتهجها الملوك الجورجيون تجاه المسلمين من جديد بمجرد موت الملك جورج الثاني سنة 482هـ/ 1089م وتولى ولده داؤد الثالث (482-518هـ/ 1089-1124م) الحكم بل واتخذت طابعاً صليبياً، إذ سارعلى سياسة جَدِهِ بقراط الرابع، فقام بعدد من المحاولات لمهاجمة الشداديين، فهاجم الأراضي الشدادية في سنة 513هـ / 1119م، وتمكن من فرض السيطرة على بعض أجزائها عندما أعاد الكّرة في

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص 168 ؛ الحسيني، أخبار، ص47 ؛ رسول، الإمارة الشدادية، ص 94 (بالاعتماد على مصادره).

(2)*Minorsky , Art: " Al Kurdj" , In Enc. Of Islam:5 / 289 ; Studies In Caucasian, P. 23 ; Toumanoff ,Armenia And Georgia: 4 / 623.*

(3)Minorsky , Art:" Al Kurd " ,In Enc. Of Islam :5 /289 ; Minorsky ,History Of Sharvan ,P. 67.j

(4) Toumanoff , Armenia And Georgia:4 /623.



سنة 515هـ/ 1121م كمدينة تفليس[1] إلا ان تلك السيطرة لم تدم إلا بضعة أشهر، إذ تمكن المسلمون من طردهم وإعادة المدينة[2] لم يتوقف الملك داؤد الثالث عن صليبيته العدائية للمسلمين، فهاجم مناطق نفوذ الشداديين في سنة 517هـ/ 1124م، وتمكن من السيطرة على مدينة اني العاصمة التأريخية للأرمن والتابعة لحكم الشداديين آنذاك ، وبقيت تحت السيطرة الجورجية حتى سنة 520هـ/ 1126م فضلاً عن أراضٍ أخرى في شمال أرمينيا[3] واستمرت حالة الصدام المسلح بين الطرفين حتى وفاته في سنة 518 هـ/ 1124م [4] فتولى الحكم ولده الملك ديمتري الأول (518-551هـ/ 1124-1156م) الذي قاد قواته في عدد من الهجمات ضد الشداديين في اران [5] إلا أن الشداديين تمكنوا من استرداد المدينة بمساعدة السلاجقة في سنة 520هـ/ 1126م [6] وتولى أمر إدارتها الأمير الفضل الثالث ابن أبي الأسوار الثاني (520-524هـ/ 1126-1130م)[7] .

إن ما بلغته مملكة جورجيا في عهد الملك ديمتري الأول من قوة وازدهار جعلها تتطلع إلى استعادة فرض السيطرة على الأراضي الجورجية والأرمنية التي أصبحت تابعة لحكم الإمارة الشدادية، فخرج ديمتري ملك جورجيا في سنة 533هـ/ 1138-1139م على رأس حملة عسكرية ضد الإمارة الشدادية في بلاد اران، واحتل مدينة كنجة وقام بتدميرها [8] مما كان له دور في قيام تعاون

---

(1) الحسيني، أخبار، ص81 ؛ ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص269 ؛ أبو عبد الله محمد بن علي العظيمي، تأريخ العظيمي، الموسوعة الشامية الشاملة، تحقيق: سهيل زكار (دمشق:1995م): 1/ 162.

(2) رسول، الإمارة الشدادية، ص 94.

(3) Toumanoff , Armenia And Georgia: 4 / 624 ; Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran ,: /34.

(4) الذهبي، العبر:4/ 42.

(5) Toumanoff , Armenia And Georgia: 4 / 624 ; Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran ,: /34.

(6) سليمان، تاريخ الدول: 2/ 358.

(7) Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5 / 123 .

(8) ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص205.

مشترك بين الشداديين والتركمان القاطنين على أطراف بلادهم، من أجل تحرير المدينة من السيطرة الجورجية، ونجحوا في تحقيق الانتصار وطردهم من المدينة[1] ومما يثبت تلك الحملة ويؤكد وقوعها وما قام به الملك ديمتري من تدمير للمدينة، هو اكتشاف كتابة معمارية من ثمانية اسطر في مدينة كيندزاك (كيروف آباد - في أذربيجان حالياً -) تشير إلى ذلك الانتصار، وهي منقوشة بالخط الكوفي البسيط على بوابة المدينة الحديدية، كما أشار النص إلى أن البوابة نقلت في البداية إلى مدينة الدربند أو باب الأبواب، وثمة نقلت إلى بلاط الملك الجورجي ديمتري في تفليس بعد الهزة الأرضية التي وقعت في سنة 533هـ/ 1139م، وحملت بعدها إلى مدينة كيندزاك [2].

وعلى الرغم من تأخر الرد الشدادي على الغارات الجورجية التي شنها ملوكهم فقد سار الأمير أبو الأسوار شاور بن الفضل بن محمد بن شداد بقواته في سنة 548هـ/ 1153م، فهاجم الأراضي الجورجية، ونجح في استرداد بعض القلاع الحدودية التي كانت تابعة لنفوذه سابقاً ، فوضع فيها الحاميات العسكرية، وعهد في أمر إدارتها إلى ولده الاسكندر الملقب بأبي منصور ومن ثمة ذهب إلى طغرلبك في تبريز ومنها إلى كنجة في سنة 549هـ/ 1154م، وادعى أبو الأسوار بالطاعة للسلاطين السلاجقة، واشترك معهم في مهاجمة الأراضي الأرمنية، وأصبح الشداديون حكاماً تابعين للسلاجقة في مدينة اني حتى نهاية القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي[3].

وفي سنة 549هـ/ 1154م استولى الجورجيون على مدينة اني [4] كما هاجمت القوات الجورجية مناطق نفوذ الشداديين في سنة 550هـ/ 1155م في المناطق الأرمنية وتمكنت من الاستيلاء على مدينة اني، فلم يكن أمام الأمراء الشداديين إلا اللجوء إلى

---

(1) رسول، الإمارة الشدادية، ص 95.

(2) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1/ 117،226_227.

(3) Minorsky , Studies In Caucasian , P. 19 ; Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran : 4243 /.

(4)Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5 /178.



قوة تدعمهم في صراعهم ضد الجورجيين، فكانت القوى الإسلامية المعاصرة آنذاك تتمثل في أتابكية أذربيجان التي يتزعمها الاتابك ايلدكز ' وهو احد الأمراء التابعين للسلاجقة قبل ضعف دولتهم، فطلبوا منه المساعدة والدعم في سنة 556هـ/ 1161م، فأمدهم بما مكنهم من مجابهة الجورجيين واسترداد مدينة آني، ونظراً للدور الذي أدته القوات الأذربيجانية في استرداد المدينة، فقد أصبحت تحت تبعية ايلدكز الذي منح حكمها إلى الأمير شروانشاه شقيق الأميرين فخر الدين شداد وفضلون الثالث في سنة 556هـ/ 1161م [1]. إلا أنها لم تلبث أن انتقلت أثناء حكم الملك جورج الثالث بن ديمتري الأول (551–580هـ/ 1156–1184م) من حكم الفضل الرابع بن محمود الشدادي إلى أيدي الجورجيين [2].

وفي الحقبة التي بدأ فيها الضعف يدب في جسم الإمارة الشدادية، بلغت مملكة جورجيا قدراً كبيراً من القوة، مما زاد ذلك في أطماع الملوك الجورجيين الذين أكثروا من الغارات من أجل ضم الأراضي الأرمنية إلى مملكتهم، وشن الجورجيون هجوماً على مدينة دوين عاصمة الشداديين في سنة 557هـ/ 1162م تمكنوا من خلاله السيطرة عليها واستولوا على ما فيها من أموال، وسبوا وقتلوا واسروا الكثيرين من سكانها، ودمروا مساجدها، ومن ثمة انسحبوا إلى مدينة تفليس [3] ومنها قاموا بشن غارة على مدينة كنجة ونهبوا ما فيها واسروا عدداً من سكانها، واقتادوا نساء المسلمين عاريات أثناء

---

(1) سليمان، تأريخ الدول الإسلامية: 2/ 358.

(2) رسول، الإمارة الشدادية، ص 95.

Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5 / 179.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص361 ؛ الفارقي، تاريخ آمد وميفارقين، الموسوعة الشامية الشاملة: 11/ 276.



انسحابهم إلى تفليس، وعندمـــا علمت النســـاء الجورجيات بما فعلت قواتهم بنساء المسلمين أنكرن عليهم تلك الفعلة [1].

لم يكتفِ الجورجيـون بتلـك الغـارات بـل هـاجموا مدينـة انـي الـتي كانـت ضمن ممتلكات الأمير شداد وفـضلون ابـني منجوشـهر الـشدادي، وذلـك في شـهر جماد الأول 559هـ/ نيسان 1164م إلا أنهم انسحبوا عن المدينة بمجرد سماعهم لأخبار توجـه ايلـدكز لقتالهم، فوصل الأخير إليها، وأعاد سكانها إليها، وبنى مـا دمـر منهـا ثـم توجـه لمواجهة القوات الجورجية، بعد أن سلم أمر الحكم في المدينة إلى الأمير شاهنـشاه الـشدادي شقيق الأمير فضلون[2].

استمر الجورجيون في الإغارة على بلاد المسلمين اثناء عهد الملـك جـورج الثالـث فهاجموا مدينة آني في سنة 570هـ/ 1174م، ونجحوا في احتلالها ونصبوا فيها نائبـاً عـنهم، ولكـن لم يلبث الشداديون أن تمكنوا من طرده من المدينة، واستردوا حكمها في السنة ذاتها [3].

وعلـى الـرغم مـن أن المـصادر والمراجـع أشـارت إلى ان تـأريخ الغـارة كـان 570هـ/ 1174م إلا أن ابن العبري أشار إلى أن ذلك تَمَّ في سنة 569هــ/ 1173م مـن دون الإشارة إلى تمكـن بـني شـداد مـن اسـتعادة المدينـة[4] وبعـد مراجعـة الروايـات التأريخية والبحث في كلا الروايتين تبين لنا أن الرواية الأولى هـي الأرجـح لأسـباب أهمهـا إجماع المؤرخين على هذه الرواية، وخاصة أن المؤرخين الذين أشاروا إليها هـم أقـدم زمنياً من ابن العبري بل هم معاصرون للحدث كابن الأزرق الفارقي الذي كان في خدمـة ديمتري ملك جورجيا آنذاك فضلاً عن أن الرواية الأولى أشارت إلى تمكن الأمراء الـشداديين من استعادة المدينة وهذا ما تَمَّ فعلا بينما لا تشير الرواية الثانية إلى ذلك.

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص361 ؛ ابن الأثير، الكامل:11/ 286 ؛ زيـن الـدين عمر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، تحقيق: أحمد رفعت البدراوي (بيروت: 1970م): 2/ 91.

(2) النقشبندي، أذربيجان، ص261.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص364 ؛ النقشبندي، نفسه، ص261.

(4) تاريخ الزمان، ص190 .



وفي الوقت ذاته أشارت روايات أخرى إلى أن الحكم الشدادي على المدينة انتهى في ذلك التأريخ، ولكن الحقيقة غير ذلك، وهي كما أشارت الرواية الأولى. ومما يدل على ذلك اكتشاف عدد من النقوش في المدينة ذاتها تؤكد على أن الحكم الشدادي فيها استمر حتى سنة 595هـ/ 1189م وخاصةً أن النقوش أُرخَت في هذا التأريخ [1].

والجدير بالذكر أن عهد الملكة تمارا التي اعتلت العرش الجورجي (580-609هـ/ 1184-1212م) تميز بالقوة والازدهار، مما حدا بها إلى اتباع سياسة أسلافها في توسيع دائرة نفوذها، واسترداد ما فقدته المملكة سواء عن طريق شن الغارات أم عقد التحالفات مع القوى المجاورة كالإمارة الشروانية والشدادية [2] فتمكنت الملكة تمارا في سنة 596هـ/ 1199م، وبمساعدة قائدها زكريا من استعادة مدينة اني التي سبق وان سيطر عليها الأمراء الشداديون عدة مرات، ويرجع ذلك إلى حالة الضعف التي سادت الإمارة الشدادية وسوء الأوضاع الداخلية، مما مكن الملكة تمارا من احتلال بلاد اران التي أصبحت ضمن نفوذها في سنة 600هـ/ 1203م[3] وغدت مدينة اني مركز ثقافياً وسياسياً للأرمن، ومقراً للأمير زكريا وخلفائه الذين حملوا لقب (شاهنشاه) لكونهم حكام أرمينيا الشمالية ولقب (سادة آني)، إذ كانوا يعدون أنفسهم ورثة الأسرة البقراطية التي حكمت أرمينيا سابقاً [4].

---

(1) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1/ ص 226-227 ؛ رسول، الإمارة الشدادية، ص 95.

(2) Minorsky , Studies In Caucasian , P. 100.

(3)Art: " Georgia " ,Encyclopaedia Britannica: 10 /290.

(4) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية: 1/ 38.

## ثالثاً: العلاقات الجورجية ـ الأذربيجانية (552- 622هـ/1157- 1225م)

تهاوت دولة السلاجقة نتيجة حالة الضعف والفوضى التي مرت بها بعد أن عاشت أزهى فترات حكمها في زمن السلطان ألب ارسلان (455-465هـ/ 1063-1072م) وولده ملكشاه (465-485هـ/ 1072-1092م)(1) إذ أصبحت ضمن حدود دولتهم كل من بلاد الشام وأرمينيا الكبرى وبلاد قيليقيا (2) وبموت الأخير في سنة 485هـ/ 1092م بدأت الانقسامات الداخلية تسودها بسبب النزاع على العرش، حيث انتهى ذلك النزاع بظهور سلاجقة الروم والعراق والشام وإيران (3) وفي تلك الحقبة الحرجة ظهرت قوة إسلامية جديدة ولدتها تلك الظروف، وأخذت على عاتقها أعباء مكافحة الأخطار الخارجية، والدرء عن مناطق نفوذ السلاجقة التي كانت تحت سلطتهم الا وهي اتابكية أذربيجان التي أسسها الأمير شمس الدين ايلدكز(4).

لقد كان لسياسة ايلدكز التي اتبعها في توسيع دائرة ملكه دورٌ كبيرٌ في وقوع صدامات مع القوى المجاورة، وخاصة جيرانه الجورجيين، ويرجع ذلك إلى التآخم الحدودي بين مناطق نفوذه في أذربيجان ومملكة جورجيا التي مثلت اكبر قوة نصرانية في بلاد القوقاز بعد انهيار مملكة أرمينيا الكبرى على يد البيزنطيين والسلاجقة.

أدّى التآخم الحدودي من ناحية وسعي وتنافس كلٌ من القوتين، وتنافسهما من أجل توسع أحد الطرفين على حساب الطرف الآخر من ناحية أخرى إلى المواجهة العسكرية، ولاسيما أن حكم شمس الدين ايلدكز قد تزامن مع مرحلة تجدد ونشاط

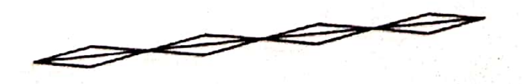
---

(1) هسي، العالم البيزنطي، ص174 ؛ عصام عبد الرؤوف، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي (القاهرة:1976م)، ص71.

(2) مؤرخ مجهول، تاريخ الرهاوي المجهول، تعريب: الأب البير (بغداد:1986م): 2/ 66.

(3) هسي، العالم البيزنطي، ص 174.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: 5/ 83.



الملوك الجورجيين، وخاصةً في عهد الملك ديمتري الأول [1] الذي تميز بسياسته العدائية للمسلمين كصليبية أسلافه، واستمر ولده الملك جورج الثالث في إتباع سياسة أبيه نفسها من خلال شن الغارات العديدة لغرض التوسع على حساب اتابكية أذربيجان وإضعافها وخاصةً أنها شكلت هاجساً مرعباً له [2]، فكانت أولى العلاقات بينهما في سنة 552هـ/ 1157م، عندما أعدَّ الأتابك ايلدكز العدة لدرء خطر الجورجيين وردعهم من الإغارة على بلاد أذربيجان [3] فكان له دورٌ كبيرٌ في حروب 556هـ/ 1161م بين كلٍ من الجورجيون والسلاجقة [4] وفي سنة 557هـ/ 1162م اعد الملك جورج الثالث جيشاً بلغ تعداده ثلاثين ألف مقاتل لمهاجمة أذربيجان مستغلاً فرصة عدم وجود الأتابك فيها وانشغاله في محاربة الأمراء المسلمين من أجل توحيد الصف، فتمكن الملك الجورجي من احتلال مدينة دوين بعد أن مارس فيها شتى أنواع السلب والنهب وتدمير مبانيها وقَتَلَ عدداً كبيراً من سكانها، ولم يكتفِ بذلك بل سبى النساء وقادهن حافيات عاريات إلى عاصمته تفليس [5] كما أغار في الوقت ذاته على مدينة كنجة وفعل بها ما فعل بمدينة دوين من قتل وسبي وسلب ونهب ومن ثم انسحب بقواته إلى تفليس، وعند وصول القوات الجورجية استنكرت النساء الجورجيات ما فعله الملك بنساء المسلمين وأنكرن عليهم ذلك خشية أن يقوم المسلمون بمثل ذلك الفعل [6].

---

(1) Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5 / 178.

(2) Crousset , Historie Des Croisades: 3 /231.

(3) حافظ أحمد حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول (القاهرة: 1949م)، ص134.

(4) الحسيني، أخبار، ص 134، 165 ؛ سليمان، تأريخ الدول: 2/ 363.

(5) ابن الأثير، الكامل: 11/ 287 ؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: 2/ 100 ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون:5/ 80 ؛
Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5 / 179.

(6) ابن القلانسي، ذيل تأريخ دمشق، ص361 ؛ محمد بن علي بن سليمان الراوندي، راحة الصدور وآية السرور، تصحيح: محمد إقبال (ليدن: 1921م)، ص 411 ؛ ابن الوردي، نفسه: 2/ 100.



إن دلَّ هذا الإنكار على شيء، فإنما يدل على مدى إدراك الجورجيين لقوة الاتابك ايلدكز وبطشه إلى درجة معرفة نسائهم بتلك القوة، ممّا أدى إلى استنكارهن على فعلة قومهن.

وبمجرد معرفة ايلدكز بأمر الغارة الجورجية على بلاده، عاد على جناح السرعة ولم يكتف ملك جورجيا بذلك الحد بل أرسل إلى ايلدكز، يأمره بدفع خراج مدينتي كنجة وبيلقان اللتين كانتا تدفعان الخراج لملوك جورجيا قبل سيطرة ايلدكز عليهما، مما أثار غضب الأخير فهدده بمهاجمة الأراضي الجورجية ومحاصرة عاصمتها تفليس، وعدم الانسحاب عنها حتى الاستيلاء عليها [1] وفعلاً أخذ يعد العدة وهيأ قواته، وانضم إليه كل من شاه أرمن وآبن آق سنقر أمير مراغة، فساروا جميعاً إلى مملكة جورجيا في سنة 558هـ/ 1162م، ودخلوا أطرافها وقتلوا وأسروا عدداً كبيراً من الجورجيين، وعندما تقدمت القوات الجورجية في جموع كبيرة والتقت مع القوات الأذربيجانية نشب بينهم قتالٌ شديدٌ استمر اكثر من شهر، وأسفر عن هزيمة الجورجيين في نهاية الأمر، فعاد ايلدكز إلى بلاده ومعه عدد كبير من الأسرى الجورجيين والسبايا من النساء الجورجيات [2].

إن الهزيمة التي مني بها الجورجيون كانت كبيرة وخسائرها فادحة، وممّا يدلل على ذلك أن المؤرخين عجزوا عن وصف غنائمهم، وأكد ابن القلانسي ذلك من خلال قوله: ((واستولى المسلمون على غنائم لم يغنم أحد من المسلمين وعسكر من المسلمين مثلها وامتلأت الأيدي من الغنائم والخيل والسوائم والأموال الجزيلة والخيام الحسنة الجميلة والغلمان الذين كأنهم اللؤلؤ المكنون)) [3]، إذ لا يمكن وصف الخسائر التي تكبدوها ولا يسعنا التحدث عن الغنائم التي تم الاستيلاء عليها، فكان من بين الغنائم إسطبل خيول الملك الجورجي الذي كانت معالفه من الفضة، وحانة الملك مع كل ما تحتويه من أواني فضية

---

(1) ابن الأثير، الكامل: 11/ 286.

(2) ابن كثير، البداية والنهاية :12 / 245 ؛ سيد، أرمينية، ص 219 ؛
Crousset , Historie Des Croisades: 3231 /.

(3) ذيل تاريخ دمشق، ص364 .



وذهبية، وقد نقلت تلك الأواني: هي وجميع ملحقاتها إلى السلطان، وقد تطلب نقلها عربة كاملة فأرسلها بدوره إلى بلاده مع غنائم أخرى تعادل ألفي دينار [1]، ولشدة عظم تلك الهزيمة فقد وصفها ابن كثير: ((والتقوا معهم فكسروهم كسرة فضيعة منكرة مكثوا يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام)) [2].

في الوقت الذي يذهب فيه ابن الأثير وابن خلدون إلى أن خسارة القوات الجورجية للمعركة ترجع إلى تعاون أحد الأشخاص الجورجيين الذي كان قد اعتنق الإسلام على يد الاتابك ايلدكز، فجعله الأخير قائداً على مجموعة من الجند، وكان عالماً بطرق البلاد ومسالكها، وفي أثناء المعركة باغت القوات الجورجية من خطوطها الخلفية مّما سبب إرباكا في صفوفها، وانهزامها بعد أن تكبدت خسائر فادحة [3] ويؤكد الراوندي على مسألة هامة، وهي الحنكة السياسية والمقدرة العالية للاتابك ايلدكز في قيادة المعارك ووضع الخطط العسكرية التي امتازت بالمباغتة، واتخاذ الاحتياطات اللازمة[4] بينما جمع أحد الباحثين بين السببين، مؤكداً على أن كليهما كان سبباً في تحقيق الانتصار، فضلاً عن تعزيزهما بسبب ثالث، وهو وحدة الجيوش الإسلامية في المنطقة تحت قيادة واحدة عملت من أجل تحقيق هدفٍ سامٍ وهو الجهاد في سبيل الله [5] وهناك سبب آخر لا يمكن تجاهله، وهو توحيد صفوف الأمراء المسلمين وتناسي خلافاتهم الشخصية أمام الخطر المشترك الذي هددهم وألحق الضرر بالمسلمين ونخلص من ذلك إلى أن تلك الأسباب كانت مكملة بعضها للبعض الآخر إبتداءاً بالسبب الأول وانتهاءاً بالسبب الرابع.

(1) Minorsky , Studies In Caucasian , P. 93.

(2) البداية والنهاية: 12 / 245.

(3) ابن الأثير، الكامل: 11/ 287 ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: 5/ 171 ـ 172.

(4) راحة الصدور، ص412ـ 413.

(5) النقشبندي، أذربيجان، ص260.



وعلى الرغم من الهزيمة التي لحقت بالقوات الجورجية والخسائر التي تكبدتها لكنها استمرت في شن الغارات على الأراضي الإسلامية التابعة لاتابكية أذربيجان، فقد هاجمت في سنة 559 هـ/ 1164م مدينة اني العاصمة التاريخية لأرمينيا الكبرى التي يحكمها أمراء البيت الشدادي كتابعين للاتابك ايلدكز إلا أن أخبار تقدم القوات الأذربيجانية نحو المدينة، اضطر القوات الجورجية على الانسحاب، فدخلها ايلدكز وأعاد سكانها وحصنها ثم انسحب إلى عاصمته بعد أن سلم أمر إدارتها للأمراء الشداديين [1].

إلا أن الجورجيين أعادوا الكرة في سنة561 هـ/ 1166م، وأغاروا على مناطق نفوذ الاتابك ايلدكز، وانسحبوا مكتفين ببعض أعمال السلب والنهب[2] وكرد فعل على تلك الهجمات عمل ايلدكز جاهداً من أجل كسر شوكة مملكة جورجيا التي أخذت تشكل تهديداً مباشراً لمناطق نفوذه، فاعد العدة لمقاتلتهم في سنة 563هـ/ 1168م ودخل الأراضي الجورجية إلا انه خسر المعركة وأسر عدد كبير من رجاله، وعلى الرغم مما أبداه من بسالة فائقة، مما اضطر الاتابك ايلدكز إلى سحب قواته من أجل إعادة تنظيمها وجلب قوات أخرى، إلا أن المواجهة في تلك المرة لم تحدث بين الطرفين بسبب انسحاب القوات الجورجية [3] .

وعلى ما يبدو أن خسارة ايلدكز في تلك المعركة ترجع إلى أعداد الجيش الجورجي لملاقاة القوات الأذربيجانية، لإدراكهم مدى قوة ايلدكز ودوره القيادي من ناحية، وتوقع ملوك جورجيا لمثل تلك الهجمة من ناحية أخرى، مما جعلهم على حذر من ذلك، وفي سنة 566هـ/ 1170م دخلت القوات الأذربيجانية بمعية عساكر السلطان السلجوقي وشاه أرمن صاحب خلاط إلى الأراضي الجورجية، وشنوا فيها الغارات التي كبدوا فيها

---

(1) الفارقي، تاريخ آمد وميفارقين، ضمن حواشي كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص364.
(2) الذهبي، العبر: 4/ 174 ؛ دول الاسلام: 2 / 57..
(3) الفارقي، تاريخ آمد وميفارقين، ضمن حواشي كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص365.



الجورجيين خسائر بشرية ومادية فادحة ومن ثمة توجهوا إلى مدينة كنجة وانسحبوا منها بعد أن نُصّبَ الاتابك ايلدكز فيها نائباً عنه [1].

وعلى الرغم من ركون العلاقات الجورجية الأذربيجانية إلى الهدوء نوعاً ما وعدم وجود أي صدام عسكري بين الطرفين لأكثر من ست سنوات، إلا أن الحذر ظل سائداً خشية القيام بأي عملٍ معادٍ من كليهما، وفي شتاء سنة 569هـ/ 1174م أغار الجورجيون بقيادة الملك جورج الثالث على الأراضي الأذربيجانية وسلبوا ونهبوا وانسحبوا عائدين إلى تفليس وللرد على تلك الغارات تحرك ايلدكز على رأس حملة عسكرية في محرم سنة 571هـ/آب 1175م لمهاجمة مملكة جورجيا بمعية ولده محمد البهلوان أمير ديار بكر، وعدد من الأمراء المجاورين كناصر الدين سقمان أمير خلاط لكبح جماح ملكها الذي افرط في شن الغارات على الأراضي الأذربيجانية، وبمجرد سماع الجورجيين لأنباء تلك الحملة حتى هرعوا إلى الجبال والغابات خشيةً من بطش الاتابك ايلدكز إلا أن المواجهة بين الطرفين لم تحدث، فتوجه ايلدكز نحو مدينة آق شهر التي اتخذ منها ملوك جورجيا قاعدة لشن الغارات على بلاد المسلمين، فصب عليها جام غضبه، واحرقها ودمر مبانيها تدميراً كاملاً[2].

لقد كانت تلك الحملة آخر حملة من بين الحملات التي شنها الاتابك ايلدكز على جورجيا، إذ توفي ايلدكز اثر عودته، فتولى السلطة ولده محمد البهلوان (571-581هـ/ 1175-1185م) الذي اتسمت مدة حكمه بهدوء العلاقات الجورجية الأذربيجانية بسبب عدم استقرار الأوضاع الداخلية في كلا البلدين، وانشغال الأمير محمد البهلوان في ملذات الحياة، وازدادت حالة الضعف والاضطرابات التي عمت بلاد أذربيجان اثر وفاة الأخير في سنة 581هـ/ 1185م بسبب نزاع ولديه مير ميران عمر

(1)الفارقي، تأريخ آمد وميفارقين، ضمن حواشي كتاب ذيل تأريخ دمشق لابن القلانسي، ص365-366.

(2) الفارقي، نفسه ، ص365 ؛ الراوندي، راحة الصدور، ص427-428 ؛ Minorsky , Studies In Caucasian , P. 98.



وأبي بكر من ناحية، وصراعهم مع عمهم قزل ارسلان (581-587هـ/ 1185-1191م) من ناحية أخرى، إذ تولى الأخير السلطة بعد وفاة شقيقه [1].

نجح الأمير أبو بكر(587-607هـ/ 1191- 1210م) في استرداد عرش والده من عمه، ومن ثم هزم شقيقه مير ميران عمر، فاضطر الأخير إلى اللجوء إلى مملكة جورجيا، حيث بلاط الملكة تمارا، فطلب منها العون والمساعدة لاسترداد السلطة من شقيقه أبي بكر [2] مقابل التنازل لها عن نصف البلاد، فأغرى ذلك العرض الملكة تمارا، مما دفعها إلى مد يد العون والمساعدة له من خلال تزويده بالرجال والسلاح، وخاصة أنها كانت تطمح إلى توسيع دائرة نفوذها على حساب الأراضي الأذربيجانية، ولم تكتف تمارا بذلك بل كتبت إلى شروانشاه تأمره بمساعدة مير ميران عمر ونصرته على أخيه أبي بكر فتمكن مير ميران عمر من الاستيلاء على مدينة كنجة والجلوس على دست الحكم فيها إلا أن ذلك لم يدم طويلاً بسبب وفاته بعد مضي أقل من شهر، فأرسل سكان المدينة إلى شقيقه أبي بكر صاحب نخجوان، وسلموه أمر المدينة فنصب ولده فيها وعاد إلى عاصمته[3].

استغل الجورجيونَ فرصةَ وفاة مير ميران عمر، فهاجموا بلاده في سنة 593هـ/ 1196م [4] إلا أن ابن الاتابك أبا بكر قام بمباغتتهم، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم، وكبدهم خسائر فادحة ومن ثمة توجهوا نحو مدينة نخجوان بعد أن يأسوا من الاستيلاء على كنجة، وما أن علم أبا بكر بذلك حتى فر إلى تبريز لإدراكه التام عدم القدرة على مقاومتهم إلا أن والدته نجحت في الحفاظ على حكم المدينة، على الرغم من الدمار والقتل الذي حل بها، فعقد الصلح مع الجورجيين مقابل دفع مبلغ كبير من المال، ودفع الخراج الذي فرضه الجورجيون على بلاد اذربيجان بعد أن احتلوها باستثناء مدينة كنجة،

(1) الراوندي، راحة الصدور، ص430.

(2) الحسيني، اخبار، ص185.

(3) الراوندي، راحة الصدور، ص430.

(4) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: 5 / 85.



وكان السبب وراء ما حل ببلاد أذربيجان هو انشغال الاتابك أبي بكر بأمور اللهو فضلا عن الصراعات الداخلية بين أبناء الأسرة من ناحية، والصراع مع السلطان السلجوقي طغرل من ناحية أخرى [1].

لقد استضعف ملوك جورجيا بلاد أذربيجان، فاستمروا في شن الغارات عليها فأغاروا في سنة 599هـ/ 1202م على مدينة دوين بعد أن أمنوا جانب أميرها أبي بكر آبن محمد البهلوان الذي أهمل حمايتها، وانشغل بأمور الحياة وملذاتها، ولما قدم إليه أهل المدينة يطلبون العون والنجدة بسرعة من أجل رفع الحصار الجورجي عنها توانى عن تقديم العون من أجل إنقاذ مدينة من أهم مدن إقليمه بل وتعد ركناً مهماً من أركان دولته ولم يجد سكانها بُداً من مقاومة القوات الجورجية ((فاختل قانون مملكته واضطرب أمر رعيته، فأنحل نظام جنده وأهل تلك البلاد قد أكثرت من الاستغاثة إليه وإعلامه)) [2] فابدوا مقاومةً شديدةً إلا أن التفوق العددي من ناحية، والقوة التي امتازت بها القوات المعادية مقارنةً بالقوات الاذربيجانية من ناحية أخرى، اضطرتهم إلى فتح باب المدينة للجورجيين في سنة 601هـ/ 1204م فقتلوا عدداً كبيراً من سكانها وأعملوا فيها يد السلب والنهب [3]، إلا أنهم غيروا منهجهم السياسي تُجاه سكان المدينة، فأحسنوا إليهم بعد أن استقام لهم الأمر ((ثم أن الكرج بعد أن استقر أمرهم بها أحسنوا إلى من بقي من أهلها)) [4]، وبقيت مدينة دوين في أيديهم حتى أجلاهم عنها جلال الدين الخوارزمي بعد عامين من ذلك[5].

---

(1) النقشبندي، أذربيجان، ص322–324.

(2) أبي طالب علي بن انجب ابن الساعي، الجامع المختصر في التواريخ وجامع السير، تحقيق: جواد علي (بغداد: 1934م): 9/ 100ـ101 ؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر: 3/ 103 ؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: 2/ 181.

(3) ابن العبري، تأريخ مختصر الدول، ص 228 ؛ تأريخ الزمان، ص 224.

(4) ابن الساعي، الجامع المختصر: 9 / 101.

(5) الذهبي، سير أعلام النبلاء: 22/ 223.

كما أكدت المصادر الإسلامية على استئناف الجورجيين غاراتهم في سنة 601هـ/ 1204م على الأراضي الإسلامية في أذربيجان ، منطلقين في تلك المرة من مدينة دوين نحو مدينة خلاط وملاذكرد وارجيش بعد أن عاثت جيوشهم فيها خراباً وسلباً ونهباً ومن ارجيش توجهوا نحو حصن التين المجاور لمدينة ارضروم، فنهض طغرلشاه سيف الدين قلج أرسلان صاحب المدينة لمساعدة شاه أرمن صاحب خلاط، فنجح في الحد من تقدم الجورجيين، والحق بهم هزيمة نكراء[1] ولشدة الهزيمة وفداحتها فقد أشار الدمشقي إلى ضخامة عدد القتلى الذين كان الملك الجورجي من بينهم((وكان ملك الكرج بضمنهم))[2].

في حين يشير ابن العبري [3] إلى الرواية نفسها فهو يتفق مع المؤرخين الآخرين في تأريخ وقوعها إلا انه يختلف معهم في تفاصيل الرواية، إذ يذكر أن تلك الغارة لم تلق أي مقاومة من قبل المسلمين، ممّا مكّنَ الجورجيون من اجتياح أكثر من مكان إلا أن الرواية الأولى أدق مما ذكر ابن العبري، وذلك لإجماع المؤرخين[4]على نهوض المسلمين لمقاومة القوات الجورجية بقيادة طغرلشاه بن قلج ارسلان وانفراد ابن العبري فيها من ناحية، ومن ناحية أخرى فإننا إذ ما تتبعنا أصل ابن العبري فانه شخص نصراني ويميل إلى جانب أبناء دينه في أغلب رواياته وذلك يُعُد مأخذاً عليه، فضلا عن ذلك فانه في روايته التي أوردها في كتابه تأريخ مختصر الدول تناقض روايته التي أوردها عن تلك الغارة في كتابه تأريخ الزمان، إذ يؤكد فيها على خروج طغرلشاه السلجوقي لنجدة المسلمين وانهزام الجورجيين أمامه.

---

(1) الذهبي، دول الإسلام، باعتناء: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري (قطر: 1988م): 2/ 75 ؛ العبر: 5/ 1 ؛ الملك الاشرف، العسجد المسبوك: 1/ 292.

(2)عبد الحي بن أحمد العكري، شذرا ت الذهب في أخبار من ذهب (بيروت:د/ ت): 3/ 2.

(3) تاريخ الزمان، ص244 ؛ تأريخ مختصر الدول، ص 292.

(4) العكري، شذرات الذهب: 2/ 3 ؛ الذهبي دول الإسلام: 2 / 57 ؛ العبر: 5 / 1.

سعى أبو بكر بن البهلوان إلى مهادنة مملكة جورجيا وكسب ود ملوكها ورضاهم بشتى الطرائق، ومنها إتباع أسلوب المصاهرة السياسية، فتزوج في سنة 602هـ/ 1205م من ابنة ملكة جورجيا ووقعت بينهما معاهدة صلح، وهذا ما أكّدته مصادر التأريخ الإسلامي ((وراسل ملك الكرج وتزوج بابنته ووقعت الهدنة)) [1] ذلك لانشغاله بأمور اللهو عن تدبير مملكته فكف الجورجيون عنه [2] وإن ذلك الإجراء من لدن الاتابك أبا بكر يعكس مدى ضعف قوته، إذ لم يعد قادراًعلى مقاومة أي خطر خارجي وخاصةً أطماع ملوك جورجيا ممّا دفعه إلى اتباع أساليب أخرى لغرض حماية بلاده فاتخذ طريقة الزواج السياسي فضمن ذلك له إقامة علاقات ودية معهم، وعدم إغارتهم على مناطق نفوذه إلا أن الجورجيين أغاروا على مدينة ارجيش في سنة 605هـ/ 1208م، وقتلوا عدداً من سكانها وأسروا قسماً آخر [3] كما دفعهم الحقد الصليبي ضد المسلمين إلى الإغارة في سنة 612هـ/ 1215م على الأراضي الأذربيجانية ومارسوا كل أعمال القتل والسلب والنهب واسروا ما يقارب مئة ألف من المسلمين [4].

وعلى الرغم من صحة هذه الرواية إلا أن عدد الأسرى مبالغ فيه، إذ إن ذلك العدد من الأسرى كبيراً جداً مقارنةً بضخامة المعارك التي كانت تدور آنذاك، وربما يكون العدد ألف أو عشرة آلاف على الأغلب.

استمرت حالة الضعف التي سادت أذربيجان حتى سنة 616هـ/ 1219م من جراء الغارات الجورجية، مّما أعجزها عن دفع الأتاوى للسلطان علاء الدين الخوارزمي عندما

---

(1) الذهبي، العبر: 5 / 3؛ دول الإسلام: 2 / 109 ؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: 2 / 184.

(2) أبو الفدا، المختصر: 3/ 107 ؛ الذهبي، العبر: 5/ 3 ؛ دول الإسلام: 2 / 109 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: 2/ 184.

(3) الذهبي، العبر: 5/ 11 ؛ الدول الإسلام: 2/ 111.

(4) شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، الذيل على الروضتين، باعتناء: عزت العطار الحسيني (بيروت: 1947م)، ص 89؛ الذهبي، العبر: 5/ 39 ؛ سير أعلام النبلاء: 22/ 230 ؛ الدمشقي، شذرات الذهب: 3/ 49.

طالب بها، ومما يدل على ذلك ما قالهُ الاتابك ازبك (607-622هـ/ 1209-1225م) للسلطان، إذ اعتذر عن دفع الأتاوى بعدم قدرته ((أن الكرج إستضعفوا جانبه واستولوا على أطراف بلاده)) [1].

عندما بدأ الخطر المغولي بالظهور والازدياد توجه إلى بلاد القوقاز، فسيطروا على أذربيجان صلحاً بعد أن قدم لهم أميرها الهدايا [2] فأخذوا يستعدون لمهاجمة أرمينيا الكبرى في سنة 617هـ/ 1220م، وتوجهوا فيها نحو سواحل بحر قزوين لقضاء فصل الشتاء لكي يتسنى لهم مهاجمة مملكة جورجيا في فصل الربيع، فأرسل الملك الجورجي إلى الملك الأشرف بن الملك العادل الأيوبي صاحب خلاط وإلى ازبك صاحب أذربيجان الذي أبقى في مكانه أحد نوابه بعد أن هرب إلى تبريز، وطلب منهما ملك جورجيا أن يتهادنوا ويتصالحوا من أجل التصدي للمغول [3] الذين شكلوا العدو المشترك لهم إلا أن المغول أدركوا ذلك وبأن الدائرة سوف تدور عليهم، فأسرعوا لمنع قيام مثل ذلك التحالف فهاجموا مملكة جورجيا، ولم ينهض الأيوبيون وصاحب أذربيجان لنجدتها [4] ويرجع ذلك لما في داخلهم من أثر سيء جراء ما كان يقوم به ملكها من أعمال عدائية من ناحية ثم لإدراكهم التام بعدم القدرة على التصدي لقوة المغول من ناحية أخرى، وخاصة انه أخذ بتدمير كل ما يمر به من بلاد.

وعلى الرغم من العلاقات العدائية بين ملوك جورجيا والقوى الإسلامية المجاورة إلا أن ملك جورجيا شعر بضرورة مهادنة أعدائه المجاورين، لصد الخطر المشترك الذي بدأ يهددهم جميعاً منطلقاً من قاعدة عدو عدوي صديقي.

استغل الجورجيون محنة المسلمين أمام المغول في بلاد اذربيجان فبدؤوا في الإغارة على أراضيهم، ونجحوا في احتلال عدد من المدن والقرى الواقعة على الحدود الجورجية،

---

(1) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص59.

(2) حسن، تاريخ الإسلام: 3/ 145.

(3) ابن الأثير، الكامل: 12 / 375.

(4) نفسه: 12 / 411 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب: 4/ 90 ؛ سيد، أرمينية، ص295.

ونهبوا ما استطاعوا نهبه، فضلا عن عمليات القتل والسلب[1] وفي سنة 619 هـ / 1222م اتبع اتابك أذربيجان سياسة الحياد تجاه مملكة جورجيا، ولم يشترك مع القفجاق الذين التجأوا إليه بعد هزيمتهم أمام الجورجيين، إذ طلبوا منه الدعم والمساعدة للثأر منهم إلا انه رفض ذلك [2] وهذا ما يدفعنا الى الاعتقاد بأن اتخاذه مثلَ هذا الموقف المحايد قد يرجع إلى سببين هما:ـ

**الأول**:خشيته من غدر القفجاق، فإن خرج معهم لمهاجمة مملكة جورجيا، سيقوي شوكتهم بعد أن يحققوا النصر على الجورجيين.

**الثاني**: عدم الدخول في حرب مع جيرانه الجورجيين الذين يمثلون جاراً دائما له على العكس من الوجود المؤقت للقفجاق من ناحية أخرى.

وفي شهر رمضان من السنة ذاتها سارت القوات الجورجية من بلادها متوجه إلى بلاد اران، وقصدوا بيلقان وكان المغول قد نهبوها ودمروها تدميراً كاملاً قبل ذلك فوضع الجورجيون السيف فيها، ومارسوا جميع أعمال السلب والنهب والقتل فضلا عن أسر عدد من سكانها وعلى نطاق أوسع مما فعله المغول فيها [3].

يتفق الملك الاشرف مع ابن واصل في تفاصيل الرواية عن هذه الغارة إلا انه يختلف معه في تاريخ وقوعها مشيراً إلى أن تلك الغارة كانت في شهر رمضان سنة 618هـ/ 1221م [4] وبعد التدقيق في كلٍ من الروايتين توصلنا إلى أن الرواية الأولى هي الأصح، وان التأريخ الدقيق هو سنة 619هـ/ 1222م، وذلك لكون ابن واصل اقدم زمنياً واقرب إلى الحدث من الملك الاشرف من ناحية، واتفاق المؤرخين وإجماعهم عليها مع

---

(1) حمدي، الدولة الخوارزمية، ص178.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب: 4/ 108ـ109.

(3)ابن واصل، مفرج الكروب: 4/ 113.

(4) نفسه: 4 / 113 ؛ الملك الأشرف، العسجد المسبوك: 1/ 405.

ابن واصل من ناحية أخرى، إذ إن ابن الأثير الذي ينقل عنه الملك الاشرف يتفق مع ابن واصل في الرواية وتأريخها [1] ولعل هذا الخطأ في التأريخ قد وقع أثناء عملية النسخ.

وفي سنة 622هـ/ 1225م تحرك الجورجيون من عاصمتهم تفليس بجيش كبير نحو أذربيجان [2] وعسكرت القوات في منطقة وعرة تقع خلف مضيق جبلي لا يمكن لفارسين أن يسلكاه في آن واحد مُغتَرين بحصانة ذلك الموقع واستضعافاً بالمسلمين إلا أن مجموعة من قوات أذربيجان،سارت عَبر ذلك المضيق معتمدين على عنصر المباغتة لمباغتتهم والحقوا بهم هزيمة نكراء بعد أن قتلوا وأسروا منهم عدداً كبيراً [3]،مّما زاد ذلك من غضب الملكة الجورجية فأعدت العدة عازمةً على الانتقام من الأذربيجانيين إلا أن ورود خبر وصول السلطان جلال الدين الخوارزمي إلى مراغة، أدى بهم إلى العدول عن ذلك إذ شعروا بضرورة التحالف مع أتابك أذربيجان، فأرسلوا إليه ينشدون الصلح والاتفاق معه للتصدي للسلطان جلال الدين وبينوا له الخطر المشترك الذي بدأ يهددهم معاً لغرض إدخال الرعب إلى نفسه، وإخافته من أهداف جلال الدين التي يسعى لتحقيقها وخاصةً فرض السيطرة على بلادهما، وانه عدو مشترك لهما، فكان نص ما قالوا له هو: ((أن لم نتفق نحن وأنت، وإلا أخذك ثم أخذنا))[4] إلا أن السلطان جلال الدين باغتهم قبل قيام ذلك الاتفاق [5].

بعد إخضاع الأيوبيين لمدينة خلاط ، ووفاة السلطان السلجوقي مغيث الدين طغرلشاه في سنة 622هـ/ 1225م، ازداد خطر الجورجيين من خلال كثرة غاراتهم على بلاد أذربيجان، وما كانت تعانيه المنطقة من التنافس بين الاتابكيات كالأيوبية والارتقية والايلدكزية للاستيلاء على اكبر مساحة ممكنة كلٌ على حساب الطرف الآخر وان كان

---

(1) ابن الأثير، الكامل: 12 / 407ـ410.

(2) الملك الاشرف، العسجد المسبوك: 1 / 405.

(3) ابن الأثير، الكامل: 12 / 425.

(4) ابن الأثير، الكامل: 12 / 375، 431 ؛ بن واصل، مفرج الكروب: 4/ 148.

(5) ابن الأثير، نفسه: 12 / 375، 431 ؛ بن واصل، نفسه: 4/ 148.



مسلماً [1] دون التفكير في مصلحة المسلمين وتوحيد بلادهم إلا أن ازدياد قوة الدولة الخوارزمية، قد أدى إلى فرض سيطرتها على بلاد أذربيجان، ودحر مملكة جورجيا وكسر شوكة ملوكها الطامعين في بلاد الإسلام أدى إلى ركون العلاقات إلى الهدوء بين الطرفين ـ الجورجي والأذربيجاني ـ حيث إن أذربيجان أصبحت ضمن دائرة نفوذ السلطان جلال الدين، وأصبح أتابكتُها تابعين له فكف ملوك جورجيا عن مهاجمتها خشيةً من بطش جلال الدين الخوارزمي .

(1) الذهبي، دول الإسلام: 2/ 126 ؛ Cahen , Pre – Ottoman , P. 128.





# الفصل الرابع

# مملكة جورجيا في عصر القوة والازدهار

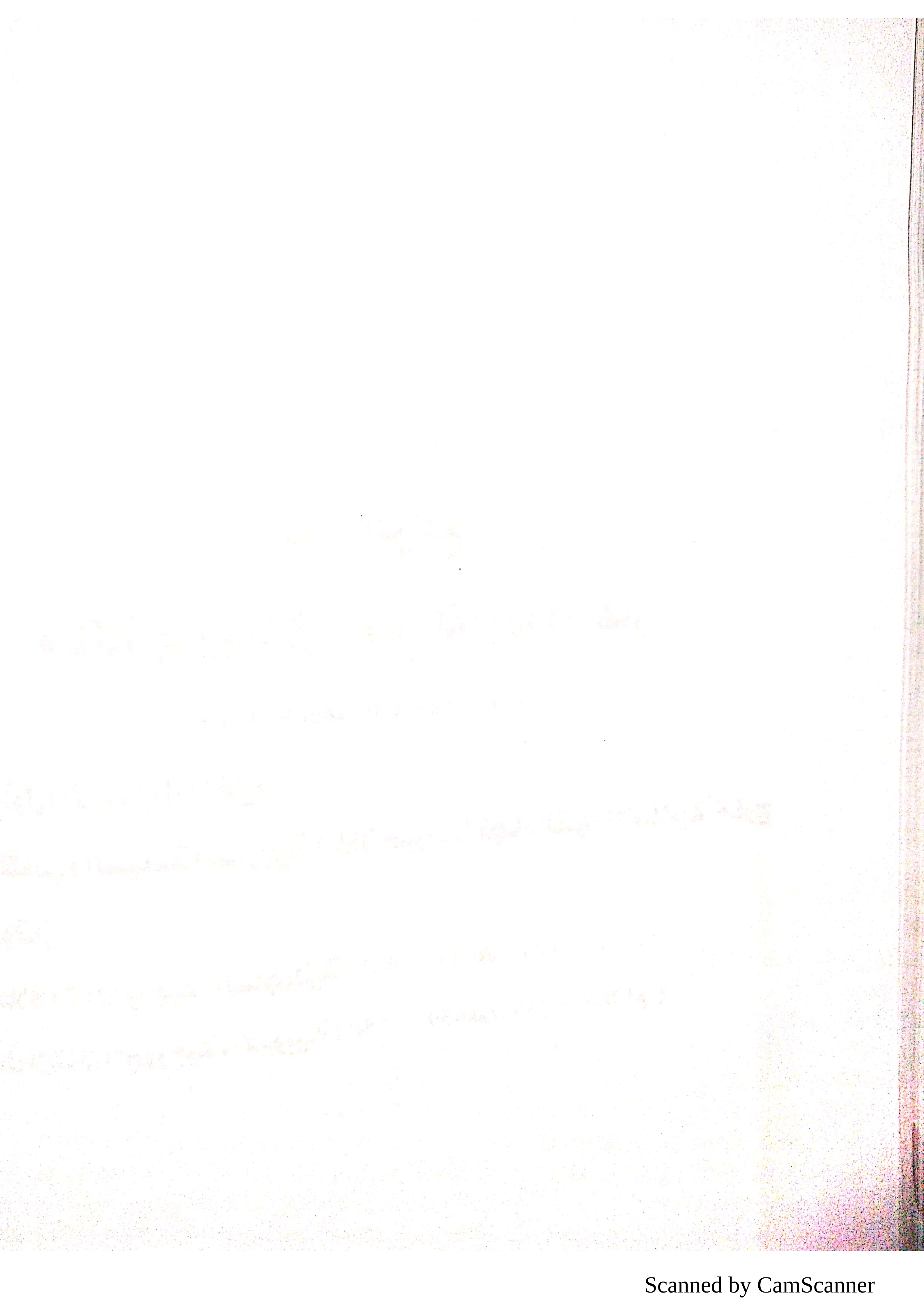
( 431-609هـ/1036-1212م )

المبحث الأول : الأوضاع الداخلية

المبحث الثاني : السياسة الخارجية لمملكة جورجيا تجاه القوى الإسلامية خارج بلاد القوقاز

أولاً :العلاقات الجورجية ـ السلجوقية ( 441- 635هـ/1049- 1237م )

ثانيًا :لعلاقات الجورجية ـ الأيوبية ( 588- 659هـ/1192- 1260م )



# المبحث الأول

## الأوضاع الداخلية

لقد كان للملوك الجورجيين دورٌ كبيرٌ في إقامة مملكتهم وتثبيت أركانها، كما وضحنا في الفصول السابقة، ولاسيما الملك جورج الثالث الذي اتخذ اجراءات مهمة كان لها دورها في تقوية المملكة، إذ قام بتعيين امراء جدد على رأس قواته وفي المدن التابعة لنفوذه، مّما مكَّنَهُ من ضبط الأمور الداخلية في مملكته بعد أن قضى على جميع حركات التمرد والعصيان التي قام بها ابناء الاسرة الاوربلية ذات الاصل الارستقراطي النبيل والمنافسة للبيت البقراطي على حكم جورجيا منذ قيامها وخاصة بعد أن أفلح في تأمين المملكة من الأخطار الخارجية من خلال إقامة علاقات سياسية مع القوى المجاورة وبشتى الطرق وأهمها الزواج السياسي، كما هو الحال في قيامه بتزويج ابنته تمارا من صاحب بلاد شروان المسلم، وبذلك بدأ يتلاشى دور اولئك الأمراء في مملكة جورجيا ولم يعودوا إلى معترك السياسة الجورجية حتى عهد الملكة تمارا [1].

تفرغ الملك جورج الثالث بعد بذلك لاقرار الامن والاستقرار، مما اضطر الأمير الاوربلي ليبريت الخامس على الفرار وترك البلاد والتوجه مع ولديه إلى بلاد فارس فاستقر المقام بولده الصغير المدعو اليكوم عند اتابك أذربيجان المسلم الذي تمكن من التأثير فيه من خلال اعتناقه الاسلام، فقد شاهد عن كثب عظمة الإسلام وقوته، مما دفع بأمير اذربيجان الى منحه حكم مدينة همذان وزوَّجَهُ ابْنَتَهُ [2] وعلى الرغم من ذلك لم تبلغ المملكة قمة ازدهار وعظمة قوتها الا في عهد الملكة تمارا التي اعتلت العرش بعد وفاة والدها الملك جورج الثالث في سنة 580هـ/ 1184م [3] الذي لم يترك ذكَراً يتولى العرش من بعده سوى ابنته الوحيدة تمارا البالغة من العمر أربعاً وعشرين سنة،

(1 )Minorsky , History Of Sharvan , p. 85 .

(2) صبرة، دراسات، ص466.

( 3 )Boswarth , The Political And Dynastic: 5 /123 ,179 .



فاجمع الجورجيون بطبقاتهم المختلفة من رجال الدين ونبلاء وعامة الشعب على تنصيبها ملكةً عليهم (1).

ومنذ اللحظة الأولى لتوليها العرش عملت على توسيع دائرة نفوذها على حساب القوى المجاورة سواء الإسلامية منها أم غير الإسلامية، لذا فقد انصب اهتمامُها على تقوية الجيش من خلال تسليحه وزيادة عدده من الرجال المدربين وجعلت منه ذراعها الأيمن في ردع جميع حركات التمرد التي نشبت في بداية عهدها كما انتهجت سياسة مخالفة لسياسة أسلافها وخاصةً والدها، إذ قامت بعزل الأمراء الذين عينهم والدها بسبب تمرد بعضهم وعصيانهم، واعتمدت اعتماداً كبيراً على أبناء الاسرة الأوربلية التي ضعفت في عهد الملك جورج الثالث، فاصبحوا امراء تابعين للبيت البقراطي، فتولوا مناصب عليا، وكانوا بحق من بُناة عصرها الذهبي وزيادة قوتها ونفوذها (2).

وبعد أن نجحت الملكة تمارا في تأمين مملكتها داخلياً وخارجياً، عملت جاهدةً لأجل التخلص من ربق التبعية البيزنطية (3) واستمرت في السير خارج فلك السياسة البيزنطية حتى سقوط القسطنطينية على يد الصليبيين في سنة 601هـ/ 1204م، فكان للملكة تمارا دورٌ كبيرٌ في قيام إمارة طرابزون البيزنطية على ساحل البحر الأسود بسبب صلة القربى بينها وبين أبناء أخيها لأمها الكسيوس وداوُد الكومنين من ناحية (4)، وسوء المعاملة الصليبية للرعاية الجورجيين من سكان مدينة القدس من ناحية أخرى، فضلاً عن المذهب المشترك بين الجورجيين والبيزنطيين (5).

---

(1) Toumanoff ,Armenia And Georgia: 4 /623.

(2) صبرة، دراسات، ص466 ؛ Toumanoff ,Armenia And Georgia: 4 /624

(3) Toumanoff ,Armenia And Georgia: 4 /624 .

(4) رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية: 3/ 227 ـ 228؛ Boswarth , The Political And Dynastic: 5 / 123 ,179 ; Ostrogrsky , History Of The Byzantine , P. 426.

(5) رنسيمان، نفسه : 2 / 254 ؛ الحضارة البيزنطية، ص 355 ؛ براور،عالم الصليبيين، ص 82.

كما نجحت في القضاء على حركات التمرد والعصيان التي نشبت ضدها من أجل إزاحتها عن العرش، فضربت على أيدي المتمردين بقبضة من حديد، وأصبحت عاصمتها تفليس من المراكز الحضارية المهمة فضلاً عن ازدهار مدن أخرى، سواء أكانت جورجية أم غير جورجية تابعة لها كمدينة آني الأرمنية ودوين الأذربيجانية وغيرها [1] كما أن القوة التي بلغتها المملكة شجعت الملكة تمارا على التدخل في الأمور الداخلية للقوى المجاورة كالشداديين والشروانيين وأتابكية أذربيجان [2]. أما فيما يتعلق بالأحوال الاقتصادية لمملكة جورجيا، فقد ازدهرت بشكل ملحوظ في عهد الملكة تمارا، إذ ازدادت وارداتها المالية، ويرجع الفضل في ذلك إلى كثرة الغنائم التي جنتها المملكة من جراء الغارات التي قام بها الجورجيون والتي تميزت بأنها أعمال سلب ونهب، ممّا أدى بالتالي إلى رفاه الشعب من خلال رفع المستوى المعاشي لهم [3].

كما أدى الاستقرار السياسي الذي عم المملكة إلى نمو اقتصادها، ممّا ساعد على ازدهار الحياة بجوانبها المختلفة، إذ إن بقاءَ أي دولة واستقرارها وازدهارها الحضاري على مر العصور مرهونٌ بانتعاش اقتصادها، فأنشأت الملكة تمارا دُوراً لضرب العملة الجورجية في عاصمتها تفليس وبعض المدن الأخرى إلا أن التأثير العربي الإسلامي بقي سارياً في الأراضي الجورجية على الرغم من انفصالها عن الدولة العربية الإسلامية ويتضح ذلك من خلال العملة الجورجية التي تم ضربها، فكانت كتاباتها ونقوشها تكتب باللغة العربية إلى جانب اللغة الجورجية[4].

---

(1)Toumanoff ,Armenia And Georgia: 4 / 625.

(2) الحسيني، أخبار، ص187 ؛
J. A. Boyle ,Dynastic and Political History of the Il– Khans, In the Cambridge History Of Iran: 5 /179 .

(3) صبرة، دراسات، ص477؛ Toumanoff ,Armenia And Georgia: 4 /625

(4) عزت، تأريخ القوقاز، ص39.

## المبحث الثاني

## السياسة الخارجية لمملكة جورجيا تجاه القوى الإسلامية خارج بلاد القوقاز

### أولاً- العلاقات الجورجية- السلجوقية (441- 635هـ/1049- 1237م)

بعد ظهور السلاجقة كأكبر قوة عسكرية في القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي سعى سلاطينها إلى توسيع دائرة نفوذهم، فتوجهوا نحو بلاد القوقاز بقوات كبيرة العدد، فكانت الحملة الأولى في سنة 441هـ/ 1049م بقيادة الأمير إبراهيم اينال شقيق السلطان طغرلبك لأمِهِ [1] الذي توجه نحو الغرب وعلى طول نهر الرس(ارآكس حالياً) وإلى الفرات الأعلى شمالاً (قرة صو) وحتى الفرات الجنوبي (مراد صو) ومن ثمة تابع سيره إلى طرابزون وارضروم اللتين دخلتا أيضا ضمن الأعمال العسكرية [2] ولم تلق تلك الحملة مقاومة كبيرة إلا على مستوى ضيق وذلك لانشغال الأمراء الجورجيين في صراعاتهم الداخلية ، ففي الوقت الذي كان فيه الأمراء البقراطيون يتصارعون مع السلاجقة، كان خصومهم من الأمراء الجورجيين الآخرين كاخسرطان يسعون إلى كسب وَدّ السلطان السلجوقي من أجل الحصول على تأييده ودعمه لهم في صراعهم مع الأمراء البقراطيين [3] فضلاً عن سياسة الإمبراطورية البيزنطية المضادة لهم، حيث سعى الأباطرة البيزنطيون إلى استرجاع بعض الأجزاء التي فقدوها من جراء تمرد بعض الأمراء المحليين، كالجورجيين والأرمن، وعلى الرغم من ذلك فقد حاول الأمير ليبريت الأوربلي [4]

---

(1) صادق، سلاجقة الروم، ص 41.

(2)Minorsky , History Of Sharvan , p. 67.

(3)Minorsky , Ibid , p. 67 ; Sir Percy Sykes , Persia , (Oxford:1922) ,P. 52.

(4) في الوقت الذي أكد فيه ابن الأثير على وقوع هذه الحملة وتاريخها، إلا انه أختلف في تسمية القائد الجورجي، الذي تصدى للقوات السلجوقية، فهو يطلق عليه تسمية قاريط. ينظر: الكامل:9/ 546، إلا ان الشيء المهم هو اتفاقه مع المصادر الاخرى في أمر وقوع الحملة وتاريخها بشكل دقيق.



التصدي للزحف السلجوقي، وإجبارهم على العودة إلى بلادهم إلا انه لم يفلح في تحقيق ذلك، إذ أُلحقت به هزيمة ساحقة وأُقتيد أسيرا إلى العاصمة السلجوقية [1].

لقد كانت الغنائم التي جنتها القوات السلجوقية في تلك المعركة كبيرة جداً ((اكثر من مائة ألف رأس، وأخذوا من الدواب والبغال والغنائم والاموال ما لا يقع عليه الاحصاء، وقيل أن الغنائم حملت على عشرة آلاف عجلة، وان في جملة الغنيمة تسعة عشر ألف درع)) [2].

لم يطلق سراح الأمير ليبريت على الرغم من بذله مبلغ قدره ثلاثة مئة ألف دينار لافتداء نفسه وهدية قيمتها مئة ألف دينار [3] إلا أن توسط الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع، وإرساله سفارة إلى السلطان طغرلبك من أجل عقد هدنة للمصالحة فيما بينهما ((كتب ملك الروم [ الامبراطور ] إلى طغرلبك في فداء بعض ملوكهم ممن اسره ابراهيم اينال، وبذل له الاموال الكثيرة، فبعث إليه مكرما من غير عوض)) [4] جعل الأخير يطلق سراح ليبريت من دون مقابل كدليل على حسن نيته، فأطلق سراحه في سنة 446هـ/ 1054م [5] بعد ان قضى ثلاث سنوات (466-449هـ/ 1054-1057م) في القسطنطينية، حيث البلاط الإمبراطوري باحثاً عن الدعم والمساعدة البيزنطية، ولم يتم له ذلك إلا في سنة 452هـ/ 1060م عندما أُجبر ليبريت على إطاعة الأوامر البيزنطية، فعمل في تلك السنة على إعادة توحيد مقاطعة خرثيليا تحت سيطرته، وأثناء تلك الفترة كانت قوة الملك بقراط الرابع في تزايد مستمر، وخاصةً بعد أن ارسل الإمبراطور البيزنطي الى الاقاليم الجورجية المجاورة جيشاً بقيادة نائبه لمساندتهم في صد غارات

---

(1) سليمان، المسلمون والبيزنطيون: 1/ 222ـ 223 ؛ Cahen , Pre _ Ottoman Turkey , P. 68.

(2) ابن الأثير، الكامل: 9/ 546.

(3) نفسه: 9/ 546.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية: 12/ 59.

(5) سليمان، المسلمون والبيزنطيون: 1/ 223.





السلاجقة، وفك الحصار عن مدينة كنجة، فسار الملك بقراط الرابع وبمعيته القوات البيزنطية وبمجرد وصولهم إلى أبواب المدينة انسحب السلاجقة عنها، وعادت القوات البيزنطية إلى بلادها بهدوء وبعد ذلك سلم أهالي تفليس مدينتهم إلى الملك بقراط [1].

كما قاد السلطان طغرلبك بنفسه حملة استطلاعية في سنة 446هـ/ 1054م وهاجم الأراضي الأرمنية وتوغل في منطقة بحيرة وان [2] على الرغم من عدم ثقته بالأمراء الأكراد في شمال غرب إيران، وعدم ضمان مشاركتهم إلى جانبه [3] إلا انه نجح في نهاية الأمر بضبط جميع التركمان المستقرين على أطراف الأراضي الجورجية والأرمنية بوساطة ابن عمه قتلمش الذي سعى إلى الاقتراب منه ونبذ النزاعات من أجل توحيد الصف [4] تمهيداً لفتح إقليم جورجيا، فنجحت قواته في سنة 447هـ/ 1055م من غزو المناطق القريبة من بحيرة وان وسهل ارضروم والمناطق الجبلية المحيطة بطرابزون وجنت كمّاً كبيراً من الغنائم [5].

بعد وفاة طغرلبك في سنة 455هـ/ 1063م تولى السلطة ابن أخيه ألب أرسلان (455-465هـ/ 1063-1072م) [6] فسار الأخير على نهج سلفه في اتباع سياسة التوسع على حساب القوى المجاورة، ونشر الإسلام في تلك الديار، وخاصة انه اصبح زعيماً للجهاد في سبيل الله [7] فزحف في سنة 455هـ/ 1063م إلى أرمينيا الكبرى وبصحبته

---

(1) Minorsky , Studies In Caucasian , Pp. 57,60 .

(2) صادق، سلاجقة الروم، ص 41.

(3) سليمان، المسلمون والبيزنطيون: 1/ 224 ؛

Cahen , Pre _ Ottoman Turkey , P. 69.

(4) للمزيد من التفاصيل عن النزاع الذي نشب بين ألب أرسلان وابن عمه قتلمش بن سليمان. ينظر: صادق، سلاجقة الروم، ص37-39.

(5) نفسه، ص 41.

(6) ابن العديم، بغية الطلب، ص17.

(7) الصلابي، الدولة العثمانية، ص 28.





ولده ملكشاه، فوصلوا إلى وادي نهر الرس الذي يمتد جغرافياً عبر الأراضي الجورجية والأرمنية، ويبدو انه كان مهتماً بأمر فتح القلاع والحصون الواقعة في تلك الجهة [1] ولم يكتفِ السلطان بذلك بل تمكن من الاستيلاء على مدينة آني عاصمة أرمينيا الكبرى في سنة 457هـ/ 1064م بعد أن فرض عليها حصاراً شديداً إلا انه منح حكمها للأسرة الشدادية قبل انسحابه عنها، ووصلت اليه رسل الملك الجورجي بقراط الرابع طالباً الصلح[2] فوافق السلطان على طلبه وتم عقده مقابل شروط عديدة أهمها ما يأتي:-

1 ـ يقوم الجورجيون بدفع الجزية السنوية للسلطان ألب أرسلان

2 ـ عدم الاعتداء على الأراضي الإسلامية [3]

3 ـ أن يرسل الملك الجورجي أحد أشقائه إلى السلطان كرهينة للإيفاء بتعهده [4]

4 ـ يتزوج السلطان ألب أرسلان من ابنة الملك بقراط الرابع فوافق الأخير.

لقد تم الصلح بين الطرفين وتزوج السلطان من أبنة الملك إلا أن ذلك الزواج لم يدم طويلاً، إذ طلقها السلطان وزوجها لوزيره نظام المُلك [5] وأنجبت منه ولدها عز الدين، حيث يذكر ابن الأثير ضمن حوادث سنة 492هـ/ 1098م ((ان من جملة من وفد على السلطان بركيارق في الري عز المُلك بن نظام المُلك وأمه ابنة ملك الابخاز[الكرج])) [6] فكان ذلك أول زواج سياسي من نوعه بين الجورجيين والسلاجقة،

---

(1) الحسيني، أخبار، ص35 ؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص60 ؛ ابن العديم، بغية الطلب، ص35.

(2) ابن الأثير، الكامل: 8/ 370.

(3) الحسيني،اخبار ، ص35 ؛ ابن الأثير، نفسه:10/ 39،40 ؛ سيد، أرمينية، ص204.

(4) Madelung , The Minor Dynasties , In Cam. His. Of Iran:4 / 64 , 243.

(5) البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، (بيروت: 1960م)، ص33 ؛ ابن الأثير، الكامل: 10/ 288.

(6) ابن الأثير، نفسه، 10/ 388.



وفي السنوات الثلاث الأخيرة من حكم السلطان ألب أرسلان شن عدة غارات على الأراضي الجورجية [1].

ففي محرم سنة 460هـ/ 1069 م أغار الملك الجورجي على مدينة برذعة التابعة لنفوذ السلاجقة، مّما اغضب السلطان ألب أرسلان، فقصد مملكة جورجيا، وكان برفقته قائده سوتكين، وعندما وصل إلى مدينة شكى التي تحصن بها لصوص الروم والجورجيين، أمر السلطان بمهاجمة كل من قلعتي آجام وغياض التابعتين لها واستعصت عليه قلعتاهما، فيأس السلطان من فتحهما إلا أن الحقد الدفين بين صاحب هاتين القلعتين وبين صاحب مدينة شكى الجورجية كان سبباً في تنازله عنهما للسلطان، فزحف السلطان واكتسح تلك الديار قاصداً دار ملكهم مطلقاً أيدي جنوده في كل ما يمرون به، فغنموا كثيراً من الأموال، وقَتَل وأسر عدداً كبيراً من الجورجيين، ووصلت القوات السلجوقية إلى مدينة تفليس، وتم القبض على المنصور وأبي الهيجاء أبناء صاحبها جعفر بن محمد وفتحت مدينة تفليس عنوة وبُنِيَ فيها مسجدٌ، ثم انسحب بعد أن سلم أمر المدينة للفضل بن شاور االشدادي متوجهاً إلى قلعة الصليب الواقعة في الجزء الغربي من جورجيا، وهي من أحصن القلاع الجورجية، فبعث الملك الجورجي رسولاً إلى السلطان يستعطفه ويطلب منه عقد الصلح، فأجابه الأخير إلى ذلك بعد أن أعرب بقراط عن ندمه على فعلته، فعاد السلطان إلى بلاده بعد حملة دامت خمسة اشهر داخل الأراضي الجورجية والأرمنية [2].

كما يشير مينورسكي إلى أن سوتكين أمير سلاجقة العراق دخل إلى بلاد اران في ذي القعدة سنة 461هـ/ 1069م وأغار على جورجيا، بينما بقي الفضل بن شاور

---

(1) الصلابي، الدولة العثمانية، ص 28 ؛

Madelung , The Minor Dynasties ، In Cam. His. Of Iran: 4 /243.

(2) الحسيني، اخبار، ص46 ؛ منجم باشي، جامع الدول، نقلاً عن:

Minorsky , History Of Sharvan , p.17; , Studies In Caucasian , P.23.





الشدادي في اسر بقراط الرابع حتى شهر جماد الثاني 461هـ/ ابريل1069 م حيث تم إطلاق سراحه في ذلك التأريخ وجلس على عرشه [1].

وبعد البحث والتمحيص في هذه الرواية فإننا نخلص إلى أمرين الأول: إن الهجوم الجورجي على مدينة تفليس، واسر أميرها الفضل بن شاور اثر استلامه حكم المدينة، كان كرد فعل على الغارة السلجوقية على جورجيا، فهاجم الأمير سوتكين جورجيا من أجل انجاد الفضل واستعادة المدينة.

أما الأمر الثاني: فربما يكون الفضل بن شاور قد اشترك في مهاجمة جورجيا الى جانب سوتكين، فأُسِرَ خلال تلك الغارة، ونخلص من كلا الأمرين إلى أن الأول هو الأرجح ويتضح ذلك من خلال إشارة مينورسكي إلى تلك الغارة من خلال القول ((بينما بقي الفضل بن حماد في أسر ملك الابخاز حتى سنة 461هـ/ 1069م)) [2] أي بعد تأريخ المعركة.

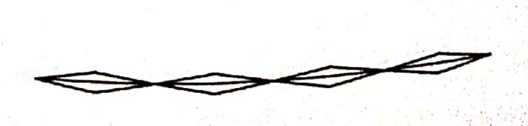
كما كان للجورجيين دورٌ كبيرٌ في معركة ملاذكرد سنة 463هـ/ 1071م التي دارت بين السلاجقة والبيزنطيين، عندما خرج الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجين لمواجهة الزحف السلجوقي الذي بدأ يهدده بضياع ممتلكاته إلا أن النتيجة كانت لصالح السلطان ألب أرسلان، فاسر الإمبراطور البيزنطي وهزمت قواته[3] فكانت نتائج المعركة كبيرة، إذ أثرت في ميزان القوة في المنطقة، مما أدى إلى انهيار مملكة أرمينيا الكبرى وسقوط عاصمتها آني على يد السلاجقة إثر معركة ملاذ كرد، ونشأت عدد من الإمارات الأرمنية على الحدود الدولة السلجوقية والتي ارتبط تعزيز وجودها بتوطيد أركان مملكة جورجيا المجاورة لاسترجاع الأراضي الأرمنية من السيطرة السلجوقية، وتزعمت تلك

(1) Minorsky , Studies In Caucasian , P.23.

(2)Minorsky , Ibid , P.23.

(3) ابن الأثير، الكامل: 10/ 65؛ الذهبي، دول الإسلام:1/ 272 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية:12/ 101.





الحركة أسرة أرمينية عريقة تدعى بالأسرة الزكارية نسبة إلى زكريا الذي خدم ملك جورجيا، فشغل منصب القائد الأعلى للقوات الجورجية [1].

وبعد وفاة السلطان ألب أرسلان في سنة 465هـ/ 1072م تولى السلطة ولده ملكشاه (465-485هـ/ 1072-1092م) الذي لم يعرف الكلل خلال مسيرته الجهادية الفذة،إذ عمل جاهدا على نشر الإسلام وحضارته، لذا أخذت غزواته العسكرية طابع الجهاد الإسلامي

فوصلت الدولة السلجوقية أوسع امتدادها وذروة قوتها في عهده [2] على الرغم من الصراع الذي نشب مع أخيه تاج الدولة تتش في سنة 467هـ/ 1074م، ففي السنة ذاتها ارسل اليه الملك جورج الثاني الجزية المفروضة عليه منذ عهد السلطان ألب أرسلان [3].

كما قام السلطان ملكشاه بإرسال ابن شقيقته احمد بن الدانشمند [4] لغزو جورجيا في سنة 473هـ/ 1080م فحقق عليهم انتصاراً كبيراً، واستولى على مدينة قرص بعد أن هزم الملك جورج الثاني، واجبره على الفرار إلى أحد الجبال وعاد بالغنائم الوفيرة من

---

(1) خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية:1/ 38.

(2) حسنين، دولة السلاجقة، ص49 ؛

B.E. Gibbon , The History Of The Decline And Fall Of The Roman Empire , (London: 1966): 6 /253.

(3) الحسيني، أخبار، ص 35.

(4) احمد بن الدانشمند: هو الأمير احمد بن دانشمند بن غازي، وهو ابن شقيقة السلطان ملكشاه، لقب بالدانشمند وهي كلمة تركية تعني المعلم، وكان رجلاً عظيمَ الخصال، فتوجس منه السلطان وفكر في قتله، إلا أن الوزير نظام الملك أشار عليه في إرساله في غزو بلاد الروم وجورجيا، فان استشهد فانه تخلص منه، وان ظفر فقد رفع من شأن السلطان، فأرسله إلي الحملة المذكورة . للمزيد من التفاصيل ينظر: على بن صالح المحيميد، الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، (الإسكندرية: 1994م)، ص 29.

أموال وذهب وفضة[1] وكانت للانتصارات التي حققها السلطان ملكشاه، والقوة التي بلغتها الدولة السلجوقية دورٌ كبيرٌ في ردع أطماع القوى الأخرى فالتزم الجورجيون الهدوء وعدم الاغارة على الأراضي الإسلامية خشيةً من بطشه، وذلك ما أكدهُ ابن الاثير من خلال قوله: ((وكانوا قديما يغيرون، فامتنعوا أيام السلطان ملكشاه إلى آخر أيام السلطان محمد)) [2] وخاصة بعد ان ضعف موقف البيزنطيين بسبب انتصارات السلاجقة من ناحية، والوضع السياسي الداخلي من ناحية اخرى الذي ازداد سوءاً في عهد الامبراطور الكسيوس كومنين (474-512هـ/ 1081-1118م)[3].

وبعد وفاة السلطان ملكشاه في سنة 485هـ/ 1092م انقسمت الدولة السلجوقية ودب الصراع بين أبناء البيت الحاكم من أجل تولي السلطة، مّما أدى إلى ضعفها فانقسمت الدولة السلجوقية إلى ثلاثة أقسام، وسمي كل منها بحسب منطقة نفوذه، وهي سلاجقة الروم وسلاجقة العراق وسلاجقة الشام فضلاً عن نشوء نظام الاتابكيات كالزنكية والارتقية وأتابكة أذربيجان ومن تلك الأقسام كان لسلاجقة الروم دورٌ كبيرٌ في مواجهة مملكة جورجيا بفعل التآخم الحدودي بينهما، اذ جعلهم ذلك الموقع على المحك معها، إذ أصبحت ممتلكاتها عُرضةً للغارات الخارجية وخاصةً الغارات الجورجية [4] ففي السنة ذاتها هاجم الجورجيون مناطق نفوذ السلاجقة، ودارت معركة بين الطرفين، رجحت الكفة فيها لصالح القوات الجورجية، وحلت الهزيمة بالقوات السلجوقية، وقتل فيها قرابة أربعة آلاف رجل وغنم الجورجيون كمّاً هائلاً من الغنائم، ووصلوا إلى مدينة تفليس وقتلوا قاضيها وخطيبها غدراً عندما خرجا ينشدان الأمان [5].

---

(1) ابن الأثير، الكامل: 9/ 194.

(2) نفسه: 9/ 194.

(3)Commena , The Alexiad , Pp.76-77.

(4)Cahen , Pre – Ottoman Turkey , P. 79.

(5) ابن كثير، البداية والنهاية:12/ 185.



وعلى الرغم من استمرار حالة الانقسام والنزاع التي عمت الدولة السلجوقية حتى سنة 500هـ/ 1106م فقد أبدى السلاطين السلاجقة اهتماماً كبيراً في مسألة إخضاع الأقاليم المجاورة لبلادهم خلال السنوات 500هـ/ 1106م و 501هـ/ 1107م إذ إنَّ ازدياد نفوذ اتابكية الاراتقة التي حكمت المنطقة الواقعة في الزاوية الجنوبية الشرقية لآسيا الصغرى، أصبحت مصدرَ خطرٍ مهدد لهم، مما شغلهم عن مواجهة جارهم الجورجي بعد أن تفرغوا لمواجهة الاراتقة والحد من نفوذهم[1].

شجعت تلك الأوضاع الملك داؤد الثالث على مهاجمة أذربيجان سنة 502 هـ/ 1108م ولأكثر من مرة[2] وعندما وردت إلى السلطان محمد بن ملكشاه(485-551هـ/ 1092-1156م) أخبار استيلاء الجورجيين على كنجة وماجاورها من قرى وقصبات، ومارسوا أعمال القتل والسلب والنهب في سنة 503هـ/ 1108م[3] توجه السلطان لطردهم، فنجح في ذلك ولاحقهم إلى داخل جورجيا ثم عاد إلى بلاده بعد ان انتهى من أمر مدينة كنجة[4].

لقد أصبحت منطقة شمال غرب اران والقوقاز من مناطق الخطر وخاصةً في أثناء عهد السلطان محمد بن ملكشاه، إذ أصبح الجورجيون قوة نشطة وفعالة تحت حكم الأمير داؤد الثالث الملقب بـ (المجدد) ولم يكتفِ بجلب المرتزقة والعبيد كقوة عسكرية فقط بل تعدى ذلك إلى الاستعانة بالقفجاق والخزر، فأغار على الاراضي الاسلامية المجاورة[5] فامتنع عن دفع الجزية المفروضة عليه، كما اعترض على الهجرة الموسمية للقبائل التركمانية إلى بلاده، ممّا حدا بالسلطان محمد إلى ارسال حملة عسكرية إلى مملكة

---

(1) تمارا تالبوت رايس، السلاجقة تأريخهم وحضارتهم، ترجمة: لطفي الخوري (بغداد:1986م)، ص65.

(2) الحسيني، أخبار، ص134.

(3) نفسه، ص81.

(4) ابن القلانسي، ذيل، ص168.

(5) الذهبي، العبر: 4/ 31.



جورجيا في سنة 515هـ/ 1121م [1] وانضم اليه الأمير ايلغازي الارتقي[2] وولده طغرلشاه صاحب ارضروم ودبيس بن صدقة [3] أمير العرب[4] إلا أن تلك القوات هزمت على يد الامير داؤد الثالث على الرغم من تفوقها العددي بعد ان قَتَلَ عدداً كبيراً من رجالها، وأسر ما يقرب أربعة الاف رجل بل وقد تعرض الأمير ايلغازي

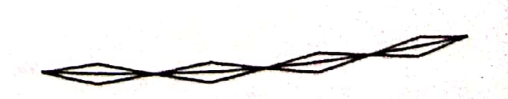
---

(1) ويشير حسنين إلى إن تأريخ الحملة كان سنة 513 هـ/ 1119م، وان دخول الجورجيين إلى مدينة تفليس كان في سنة 514هـ/ 1120م، بينما يشير ابن العمراني إلى إن الغزوة كانت سنة 516هـ/ 1122م.للمزيد من التفاصيل. ينظر: محمد بن محمد بن علي، الأنباء في تأريخ الخلفاء تحقيق: قاسم السامرائي، (ليدن:1973م)، ص 304 ؛ حسنين، دولة السلاجقة ص104،وبعد البحث والتمحيص في كلا الروايتين، لم نتمكن من التوصل الى المصادرالتي نقلوا عنها، والتأريخ الدقيق للغزوة هو سنة 515هـ/ 1121م،وذلك لإجماع المؤرخين المعاصرين عليه كابن القلانسي وياقوت الحموي وغيرهم.

(2) ايلغازي: الملك نجم الدين ابن الأمير أرتق بن أكسب التركماني صاحب ماردين ويلقب بظهير الدين كان هو وأخوه الأمير سقمان من أمراء تاج الدولة تتش صاحب الشام فأقطعهما القدس ثم استولى إيلغازي على ماردين، وكان ذا شجاعة ورأي وهيبة وصيت حارب الفرنج اكثر من مرة وأخذ حلب بعد أولاد رضوان بن تتش واستولى على ميافارقين وغيرها قبل موته بسنة ثم سار منجدا لأهل تفليس هو وزوج بنته ملك العرب دبيس الأسدي وانضم إليهما طغان صاحب أرزن وطغريل أخو السلطان محمود السلجوقي وساروا على غير تعبئة فانحدر عليهم داود طاغية الكرج، فكبسهم فهزمهم ونازل اللعين تفليس وأخذها، وتوفي سنة خمس عشرة وخمس مئة عن اثنتين وثمانين سنة: الذهبي، سير اعلام النبلاء:19/ 435 ؛ وللمزيد من التفاصيل عن الاراتقة وأصلهم. ينظر: خليل، الامارات الارتقية.

(3) دبيس بن صدقة: هو دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي، كان مقيماً في خدمة السلطان منذ سنة 505هـ/ 1111م.ينظر: البنداري، تاريخ دولة آل سلجوق، ص115.

(4) ابن العديم، بغية الطلب في تأريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار،(بيروت:1988م): 7/ 3482.



الارتقي نفسه لخطر القتل او الاسر لولا استماتة دبيس بن صدقة في الدفاع عنه [1] فكانت تلك الهزيمة سبباً في دخول القوات الجورجية إلى مدينة تفليس في السنة ذاتها [2].

ويعزو ابن الأثير سبب تلك الهزيمة إلى المكيدة التي دبرها الملك داؤد الثالث إذ أمر مائتي رجل من القفجاق المتحالفين معه بالخروج إلى القوات الإسلامية، فظنوا انهم استسلموا لهم وأنهم طالبو أمان، وبمجرد أن اصبح هؤلاء الرجال بين صفوفهم اخذوا في إطلاق النشاب، مما أدى إلى اضطراب القوات الإسلامية وظن معظمهم أنها الهزيمة فتركوا ساحة المعركة، فكانت خسائرهم فادحة، فحاصرت القوات الجورجية المدينة ودخلوها عنوة [3] وبقيت في أيدي الجورجيين، على الرغم من محاولات أخيه الأمير محمود لاستردادها في سنة 517 هـ/ 1123م إلا انه فشل في ذلك [4].

بعد الانتصار الذي حققه الملك داؤد الثالث في سنة 515هـ/ 1121م توجه في السنة ذاتها إلى مدينة آني العاصمة التأريخية لأرمينيا الكبرى الواقعة آنذاك تحت حكم الأمير أبي الأسوار بن منجوشهر الشدادي (503-517هـ/ 1110-1123م) حيث نجح في دخول المدينة دون أن يلقى مقاومة كبيرة، واستعاد الكاتدرائية الأرمنية إلى السيادة النصرانية، وقامت حكومة أرمينية فيها إلا أن تلك الحكومة ظلت مهددة من قبل الجيش السلجوقي بقيادة الأمير سنجر شقيق السلطان محمد بن ملكشاه الذي نجح في استعادة المدينة في سنة 520هـ/ 1126م، ومنح حكمها للفضل الثالث بن أبي الأسوار الشدادي (520-524هـ/ 1126-1130م) [5].

---

(1) للمزيد من التفاصيل عن المعركة. ينظر: خليل الامارات الارتقية، ص 256-257.

(2) ابن القلانسي، ذيل، ص204ـ205 ؛ ابن العبري، تأريخ مختصر الدول، ص202، ابن واصل، مفرج الكروب:4/ 182.

(3) ابن الأثير، الكامل:10/ 567 ؛ ابن العبري، تأريخ مختصر الدول، ص202.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب:4/ 182 ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون:5/ 49.

(5)Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5123 /.



ويبدو أن عدم وجود المقاومة بشكل كبير يرجع إلى ضعف الأسرة الشدادية المسلمة الحاكمة فيها بسبب صراع أبنائها على تولي حكم المدينة من ناحية، ومجيء إمراء ضعاف غير قادرين على التصدي للجورجيين وانهماكهم في أمور اللهو والمرح مّما أدى إلى قلة الاهتمام بحماية المناطق التابعة لهم بشكل كبير، فسهلت تلك الظروف على الجورجيين مهمة الاستيلاء على المدينة دون مقاومة.

لقد نشأت بعض التحالفات بين سلطنة السلاجقة الروم وبين الاتابكيات الأخرى اثر احتدام الصراع مع الجورجيين أثناء المدة (512-517هـ/ 1118-1123م) من أجل مواجه ذلك الخطر، وكبح جماح الملوك الجورجيين، فبدأت الغارات المتبادلة بين الطرفين واستمرت من أجل التوسع كل على حساب الآخر [1].

وبسبب النزاعات التي نشبت في سنة 549هـ/ 1154م بين الأمير الشدادي فخرالدين بن شداد أمير آني وصلتق بن ملكشاه أمير ارضروم أرسل الأمير فخر الدين إلى الأمير صلتق يعرض عليه شراء المدينة لانهاء ذلك النزاع من ناحية، وعدم مقدرته في الحفاظ عليها أمام الضغط الجورجي من ناحية أخرى، وهدده في الوقت ذاته بتسليم المدينة إليهم ودفع الجزية والدخول في خدمة ملوكهم ، مّما اضطر الأمير صلتق إلى السير لاستلام المدينة في سنة 550هـ/ 1156م، وعندما دخلها أرسل فخر الدين إلى الملك ديمتري الذي يبعد على مسير يوم واحد عن المدينة [2] فهجم ديمتري على القوات السلجوقية في الصباح الباكر، وقتل واسر عدداً كبيراً منهم، وبضمنهم الأمير عز الدين صلتق، فارسل ملوك ديار بكر سفارة إلى الملك الجورجي يطلبون فيها إطلاق سراح الأمير صلتق مقابل دفع فدية قدرها مئة الف دينار، فوافق الملك على ذلك وتم إطلاق

---

(1) Cahen , Pre- Ottoman Turkey , P. 106.

(2) الفارقي، تاريخ آمد وميفارقين، ضمن حواشي كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي، ص328 ؛ Minorsky , Studies In Caucasian , P.62 ؛ Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5 /178.

سراحه فعاد إلى بلاده [1] بعد أن تعهد بعدم رفع السيف او القيام بأي عمل معادٍ له ولأبنائه من بعده فضلاً عن إطلاق عدد كبير من الأسرى المسلمين الذين اسروا في المعركة ذاتها [2].

كما شهدت تلك الفترة توحد القوات الجورجية ـ الأرمنية من أجل التصدي للأخطار الخارجية بشكل عام وتهديدات السلاجقة بشكل خاص، فنشأ جيش جورجي ـ أرمني مشترك بلغ من القوة مبلغه، وتمكن من شن الغارات على بلاد السلاجقة المجاورين، استمرت العلاقات الجورجية السلجوقية بين الصلح تارةً والصراع تارةً أخرى حتى سنة 556هـ/ 1160م، فكان فيها نوع من التفاوض عن طريق المراسلة بين الملك جورج الثالث والسلطان أرسلان شاه بن طغرل واتابكه شمس الدين ايلدكز بقصد إدامة الهدنة المعقودة بينهما [3].

وبعد تلك المراسلات فترت العلاقات الجورجية ـ السلجوقية لعدة اشهر، ولكن في سنة 557هـ/ 1161م وعندما هم الاتابك ايلدكز بالعودة ومعه قواته إلى بلاد أذربيجان، وصلته أخبار النية التي يبيتها ملك جورجيا من أجل الأغارة على الأراضي الإسلامية، وانهم أغاروا على مدينة دوين ونهبوا واسروا كل من فيها [4] وعند وصوله راسله الملك الجورجي قائلاً: ((انه لنا على كنجة وبيلقان خراج يصل إلى خزانة الملك في كل سنة، وقد انقطع عنا منذ سنين ما وصل الخزانة، ونريد منك أن تدفع ذلك لنا فقال لهم الجواب: إنني ما تركت العراق وجئت إلى هذه البلاد، إلا حتى اجمع العساكر واقصد تفليس، وأحاصرها ولا أزال دون أخذها، فما كان عندكم من قوة فأظهروه، فأنا قاصداً بلادكم)) [5].

---

(1) ابن الأثير، الكامل: 11/ 280 ؛ الفارقي، تاريخ آمد وميفارقين، ص261.

(2) Cahen ، Pre- Ottoman Turkey , P. 107 ; Boswarth , Ibid. :5 / 178.

(3) الحسيني، اخبار، ص 148.

(4) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: 2/ 100.

(5) الحسيني، اخبار، ص156 ـ157.



اخبر الاتابك ايلدكز السلطان بذلك، وارسل إليه بالرجال الذين انخرطوا مع قواته، فسار بهم إلى كنجة، وانضم إليه شاه أرمن صاحب خلاط سقمان بن إبراهيم، وبمجرد معرفة ملك جورجيا بسير الحملة حتى بادر بارسال الرسل يعتذر لايلدكز عما طلبه منه، ويطلب الصلح والصفح عنه، ولما استشار الأمراء والسلطان بذلك اجمعوا على مهاجمة مملكة جورجيا وكبح جماح ملكهم الطامع في السيطرة على بلاد المسلمين وتم لهم ذلك فأوقعوا بالجورجيين، والحقوا بهم هزيمة نكراء كُبِدَ من خلالها الجورجيين بخسائر بشرية ومادية كبيرة [1] مّما اضطرهم إلى الركون إلى الهدوء ومهادنة السلاجقة إلا أن ذلك لم يدم طويلاً، فسرعان ما تعكر صفو العلاقات الجورجية السلجوقية بعد أن تم جمع القوات السلجوقية والارتقية من شتى الأقاليم في رجب سنة 557هـ/ تموز 1161م، وخاصةً قوات صاحب ارضروم الأمير عز الدين صلتق عم السلطان أرسلان شاه وشاه أرمن صاحب خلاط، وقوات دولت شاه صاحب ارزن السلجوقي، وتوجهوا نحو حوض نهر الرس، وانضم إليه الأمير نجم الدين الارتقي، وفي شهر شعبان من السنة ذاتها وصلوا إلى مدينة آني، وفرضوا عليها حصاراً شديداً حتى ضيقوا عليها الخناق فخرج الملك جورج الثالث لملاقاتهم، فمالت الكفة لصالحه فتغلب عليهم عند مشارف المدينة مما اضطرهم الى الانسحاب [2] .

لقد كان السبب وراء خسارة القوات السلجوقية والارتقية أمام الجورجيين على الرغم من كثرة عددها، هو عدم تماسك الأمراء وتوحدهم، وخير دليل على ذلك انسحاب الأمير صلتق بقواته بمجرد وصول الملك جورج الثالث إلى ارض المعركة وقبيل وقوعها خشيةً من الوقوع بيده مرة ثانية فيقتله لإخلاله بالعهد الذي قطعه على نفسه

(1) الحسيني، أخبار، ص 160 ـ 161.

(2) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 174.

للملك الجورجي، مقابل اطلاق سراحه في المرة السابقة، مما أدى إلى خسارة المسلمين ووقوع خسائر بشرية ومادية في صفوفهم [1].

وفي يوم الأربعاء 9/ شعبان / 558هـ الموافق13/ تموز/ 1162م تم جمع القوات السلجوقية والارتقية المتكونة من عساكر السلطان السلجوقي أرسلان شاه بن طغرل وشاه ارمن سقمان بن إبراهيم صاحب خلاط وشمس الدين ايلدكز اتابك أذربيجان، وساروا إلى الاراضي الجورجية، فخرج الملك ديمتري لمواجهتهم إلا أنه خسر المعركة وكُبِدَ خسائر جسيمة، وبعد تلك الهزيمة التي ألحقت به، دخلت القوات السلجوقية والارتقية قلعة (كركي) [2] فوقعت فيها معركة حامية الوطيس سحقت خلالها القوات الجورجية، بعد أن أعطت عدداً كبيراً من القتلى والأسرى، وكمّاً هائلاً من الغنائم التي لايمكن حصرها وبضمنها إسطبل الملك ديمتري ذو المعالف الفضية مع حانة الشرب التي تعادل الفي دينار آنذاك [3].

لم يعتبر الملك ديمتري مما أصابه على إيدي القوات السلجوقية والارتقية، فسار في السنة ذاتها نحو الاراضي السلجوقية لغرض الثأر للهزيمة السابقة، فنصحه الأمراء الجورجيون بمهاجمة مدينة دوين، وأشار ابن الفارقي إلى أن تأريخ تلك الغارة كان في سنة 558هـ/ 1162م، وأكد أن سببها كان مطالبة الملك ديمتري بدفع خراج مدينة كنجة وبيلقان اليه إلا أن تلك المرة لم تكن بأفضل من سابقتها، إذ نجح السلطان السلجوقي أرسلان شاه بإلحاق الهزيمة به، بالتعاون مع اتابك أذربيجان وشاه أرمن، واسر الملك ديمتري في تلك المعركة[4].

---

(1) Minorsky , Studies In Caucasian , P.90 ؛ Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5 /179.

(2) قلعة كركي: يقصد بها هنا قلعة جورج أو جورجي، وذلك لان المصادر العربية الإسلامية أطلقت على الملك جورج تسمية ابن كركي

(3)Minorsky , Studies In Caucasian , P.93.

(4) الفارقي، تأريخ آمد وميفارقين نقلاً عن:

Minorsky ,Ibid. , P. 59.



كما اشترك السلطان أرسلان شاه مع ايلدكز في سنة 559هـ/ 1163م في مهاجمة مملكة جورجيا وحاصر مدينة آني الأرمنية التابعة لملك جورجيا آنذاك، مّما اضطر ايلدكز إلى الانسحاب عن المدينة وسلمها إلى السلطان[1] ورداً على ذلك وكما أشار مينورسكي [2] قام القائد الجورجي ايفان الأوربلي باسترداد المدينة من إيدي السلاجقة، فما كان من السلطان أرسلان شاه والاتابك ايلدكز، إلا أنهما سارا بقواتهما واستعادا المدينة ودمرا جميع المناطق المحيطة بها، وأدرك السلطان أرسلان شاه في سنة 560هـ/ 1164م بضرورة إعادة التحالف مع الاراتقة، وذلك عن طريق إقامة زواج سياسي، فتقدم لخطبة إحدى بناتهم [3].

كما هناك إشارات تؤكد على استيلاء الملك ديمتري على مدينة كنجة في سنة 561هـ/ 1165م بل وحاول مد نفوذه إلى حد القيام بالاستيلاء على مدينة دوين مرة أخرى وقارس واردبيل، وتقدم نحو الغرب حتى ملاذكرد ومن دون أي عائق أو مقاومة حتى مدينة خلاط وأرجيش وأرضروم التابعة للسلاجقة [4]، وبعد وفاة الأمير السلجوقي صلتق صاحب ارضروم في سنة 563هـ/ 1167م تولى السلطة ولده محمود، فتابع سياسة المهادنة مع جيرانه الجورجيين، وكذلك الحال بالنسبة لولده ملكشاه [5].

وخلال السنوات 570هـ/ 1174م و571 هـ/ 1175م ارسل الاتابك ايلدكز بالاشتراك مع ابن زوجته السلطان أرسلان شاه أربع حملات عسكرية ضد مملكة جورجيا [6].

---

(1) محمد بن محمد بن عبد الله ابن النظام، العراضة في الشعر السلجوقي، تعريب: عبد المنعم محمد حسنين، (بغداد: 1979م)، ص 155 ؛ الفارقي، تأريخ آمد وميفارقين نقلاً عن:
Minorsky ,Ibid. , P. 59.

(2 ) Minorsky , Studies In Caucasian , P.97.

(3) Cahen , Pre – Ottoman Turkey , P. 107.

(4)Boswarth , The Political And Dynastic , In Cam. His. Of Iran: 5 / 179.

*(5 )Cahen , Pre – Ottoman Turkey , P. 107.*

(6) الفارقي، تأريخ آمد وميفارقين ضمن كتاب ذيل تأريخ دمشق لابن القلانسي، ص362 ؛
Minorsky , Studies In Caucasian , P.96.

لقد سعى الأمير محمود بن صلتق صاحب ارضروم إلى تحسين علاقاته مع جيرانه الجورجيين بشتى الطرق، ففكر بطريقة الزواج السياسي، فتقدم لخطبة الملكة الشابة تمارا ابنة الملك جورج الثالث لولده [1] على الرغم من أن ذلك كان يعني التخلي عن الأسلام لكي يتم الزواج، فأمر ولده بالتنصر والتزوج بها.

إن تلك الحادثة لم تجلب أيّ تحسن على العلاقات بين الطرفين[2] فقد استمرت الصراعات العسكرية بينهما بسبب الدعم الجورجي للأرمن خلال حكم الملكة تمارا من أجل استعادة أراضيهم، وفعلاً تمت عملية استعادة كل من مدينة آني وتشيراك وآراكتسوتن - ايبزد - ودوين وقارص وكل الشمال الأرمني [3].

نشطت مملكة جورجيا بالتعاون مع جيرانها الأرمن في مطلع القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي بالعمل ضد سلاجقة الروم، وارتكبوا مختلف اعمال التخريب من سلب ونهب وتدمير إثر تغلبها على قوات السلطان ركن الدين سليمان في سنة 598هـ/ 1201م واستمرت القوات الجورجية - الأرمنية بالتقدم نحو بحيرة وان للتحرك فيما بعد نحو الاراضي الأرمنية الأخرى، واسترجاعها من إيدي السلاجقة ونجحت تلك القوات في تحقيق هدفها واسترداد مدينة سرماري الواقعة في وادي نهر الرس، وتقدمت عبر الهضبة الأرمنية لتستولي على نواحي تساغكوتن وبغروند وكوكويت وصولاً إلى مدينة ملاذكرد وحتى مدن ارجيش وخلاط على ضفة بحيرة وان[4] .

حاصرت القوات الجورجية - الأرمنية مدينة خلاط في سنة 598هـ/ 1201م إلا أن وقوع القائد الجورجي أسيراً بيد السلاجقة أدى إلى خلاص المدينة، ونهاية الحملة

---

(1) أبو الفدا، المختصر:3/ 133 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة :6/ 259.

(2 )Cahen , Pre – Ottoman Turkey , P. 107.

(3) خاتشاتريان، ديوان النقوش:1/ 39.

(4)خاتشاتريان، ديوان النقوش :1/ 38.





المشتركة ذات البداية الناجحة باتفاق سلمي بين مملكة جورجيا ودولت شاه أرمن أمير خلاط [1] إلا أن الجورجيين هاجموا دوين واستولوا عليها بعد أن اسروا وقتلوا ونهبوا ما فيها [2].

استأنف الجورجيون غاراتهم في عهد الملكة تمارا على الأراضي الإسلامية منطلقين من دوين، متوجهين نحو خلاط حتى بلغوا ملاذكرد، فأكثروا من القتل والسلب والنهب، ومن ثمة اندفعوا نحو ارجيش وحصن التين التابع لها، وفي هذه المنطقة نهض السلطان السلجوقي قلج أرسلان الثاني صاحب ارضروم، لتقديم المساعدة التي طلبها منه شاه أرمن أمير خلاط، فتمكنا من صد الجورجيين وإلحاق الهزيمة بهم وقتل قائدهم زكاري إلا أن الجورجيين لم يلبثوا أن عادوا الهجوم على خلاط سنة 599هـ/ 1201م فعاثوا في الارض فساداً فقتلوا وسلبوا ونهبوا ممتلكات سكانها مستغلين موت اميرها دولت شاه وتولي ولده الصغير، ولم يكن لاتابك الامير الصغير سلطة على الجند فهب الأهالي لصد الهجوم الجورجي، ونجحوا في ذلك بعد عدة معارك دارت فيها الدائرة على القوات الجورجية وبمجرد تحقيق النصر ثار الأهالي لخلع الأمير الصغير، فخلعوه وولوا بدلاً منه الأمير عز الدين بلبان مملوك شاه أرمن [3].

سعى السلطان قلج ارسلان الثاني لتحقيق الامن لبلاده من خلال اتباع الوسائل السلمية، فحاول بناء علاقات سلمية مع جيرانه الجورجيين، فرحب بفكرة زواج ولده ركن الدين سليمان من الملكة تمارا [4] الا انه لم ينجح في تحقيق ما كان يصبو إليه بسبب

---

(1) خانشاتريان، ديوان النقوش : 1/ 39.

(2) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: 2 / 181.

(3) ابن الساعي، الجامع المختصر: 9/ 151 ؛ سيد، أرمينية، ص 221.

(4) الحسين بن محمد بن علي الجعفري الرغدي المعروف بابن بيبي، الاوامر العلائية في الامور العلائية (انقرة، 1957م)، ص 100-101.

رفض ولده لفكرة زواج المصلحة والارتداد عن الاسلام، إلا انـه اصـر علـى فكـرة غـزو جورجيا ونشر الاسلام فيها بشكل كامل، فوافقه والدهُ على ذلك [1].

أعَّد السلطان قلج أرسـلان الثـاني جيـشاً في سـنة 599هــ/ 1201م، وجعـل ولـده سليمان على رأس تلك القوات، وانضم إليه الأمير فخر الدين بهرام شـاه أمـير ارزنجان وأخوه مغيث الدين طغرلشاه صاحب ارزن الـروم، فـدخلوا الاراضـي الجورجيـة، إلا ان الجورجيين تأهبوا لصد تقدمهم [2] وبالتقاء الطرفين كـان النـصر لـصالح المـسلمين، لكـن سقوط الامير سليمان عن فرسه بعد أن كبا جوادُهُ فأربَكَ قواته التي ظنت انـه قتـل، كـان سبباً في انقلاب الموقف ورجحان الكفة لصالح القوات الجورجيـة، فاسـر عـدد كـبير مـن القوات السلجوقية بضمنها الامير بهرام شاه، مما اضطر الـسلطان الى سـحب سـائر قواتـه عائداً الى بلاده لاعداد العـدة مـرة اخـرى والثـأر مـن الجـورجيين الا ان وفـاة الـسلطان ارسلان في السنة ذاتها انقذ الجورجيين من هجوم وشيك، فتـولى العـرش ولـده عزالـدين الذي اتبع سياسة الركون الى الهـدوء تجـاه مملكـة جورجيـا الـتي التزمـت الـسياسة نفسها واستمر الحال حتى وفاته[3].

عمل شقيقه السلطان مغيث الدين طغرل بـن أرسـلان شـاه في ارزن الـروم علـى تطبيق سياسة توازن القوى في المنطقة، فكان يراقب جيرانه الجورجيين بكـل حـذر وانتبـاه حيث كانوا الطرف الأكثر إغارة على بلاد المسلمين، وفي نهاية سنة 620هـ/ 1223م وافـق على مشروع زواج ولده غياث الدين كيخسرو من الملكة روسودان ابنة الملكة تمـارا علـى الرغم من إشتراطها عليه الارتداد عن الإسـلام ودخولـه النـصرانية، فوافـق علـى ذلـك وتنصر ولده وتزوجها ((فقال لهم إن إبني يتنصر ويتزوجهـا فأجـابوه إلى ذلـك، فـامر إبنـه فتنصر ودان بالنصرانية وتزوج الملكة وانتقل إليها، واقام عند الكرج حاكمـاً)) [4] فانتقـل

---

(1)ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 102.

(2) صادق، سلاجقة الروم، ص 174.

(3) ابن بيبي، الاوامر العلائية، ص 102-106. ؛ تاريخ الرهاوي المجهول، ص 242 ،

(4) ابن الأثير، الكامل: 12 / 417.

إلى تفليس حيث البلاط الجورجي، وبقي حتى دخول جلال الدين خوارزمشاه إليها في سنة 623هـ/ 1226م، فاحضر ابن السطان مغيث الدين طغرل من جورجيا، فأمنه وبقي عنده حتى سار السلطان إلى خلاط، فهرب الأمير السلجوقي إلى مملكة جورجيا وشجعهم على مهاجمة المدينة واستردادها من القوات الخوارزمية [1].

توفي السلطان مغيث الدين طغرل بن أرسلان في سنة 622هـ/ 1225م فأخذت حالة الفوضى والاضطراب بالازدياد، ممّا اضعف الدولة السلجوقية إلى حدٍ كبير [2] وشغلها عن مواجهة الأخطار الخارجية وخاصةً غارات الجورجيين، وفي خضم تلك الأحداث تولى السلطة ولده مُطَلّق الملكة الجورجية روسودان، فتقدمت القوات السلجوقية في سنة 628هـ/ 1231م لمهاجمة مملكة جورجيا، وبمجرد دخولها أراضي الأطراف الجورجية بدأت بالعمليات العسكرية للثأر من الجورجيين، رداً على ما قاموا به من غارات على الاراضي الاسلامية المجاورة فضلاً عن كرههم التقليدي للملكة روسودان مُطَلَّقة سلطانهم [3].

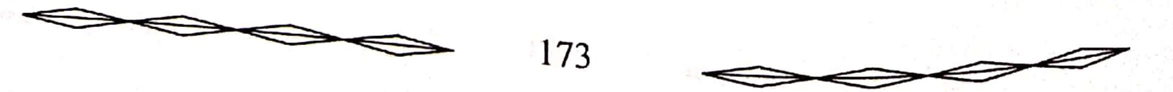
وتزامناً مع ما كانت تمر به الدولة السلجوقية من حالة التفكك، كانت مملكة جورجيا تعيش حالة مماثلة، فظهرت العديد من الممالك والدول الصغيرة المجاورة لجورجيا، ولم ترغب الملكة روسودان بتعريض بلادها لدمار كالدمار الذي لحق بها من جراء الحروب مع السلاجقة، فعقدت معها العديد من اتفاقيات الصلح والهدن، مما ساعد على انتعاش مملكة جورجيا، فوافقت الملكة روسودان في سنة 630هـ/ 1233م على زواج أبنتها من كيخسرو بن السلطان علاء الدين كيقباذ، وفي السنة ذاتها عاد السلطان علاء الدين كيقباذ (616-634هـ/ 1219-1236م) إلى سياسة التحالف مع الدويلات والممالك

---

(1) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص 217 ؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: 2/ 215 ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: 5/ 137.

(2) ابن الأثير، الكامل:12/ 417 ؛ الذهبي، دول الإسلام:2/ 126 ؛ Cahen , Pre – Ottoman Turkey , P. 127.

(3) *Cahen , Ibid. , P. 130*



النصرانية الصغيرة التي اتسمت بالطابع الإقطاعي، من أجل الاستعانة بهم والتفرغ لمواجهة الأخطار الخارجية [1] فاستعان في سنة 630هـ/ 1233م بالإفرنج والجورجيين والأرمن والبيزنطيين لمواجهة التحالف الذي نشأ ضده بين كل من الأيوبيين والاراتقة في بلاد الجزيرة، مما اضطرهم إلى الاكتفاء بمهاجمة أحد الحصون الصغيرة الواقعة على أطراف بلاده، ومن ثمة تفرقوا كلٌ إلى بلاده لإدراكهم التام بعدم مقدرتهم على مواجهة السلطان وحلفائِهِ [2].

بعد وفاة السلطان علاء الدين كيقباذ في سنة 634هـ/ 1236م تولى السلطة ولده غياث الدين كيخسرو (634-643هـ/ 1236-1245م) [3] زوج ابنة روسودان ملكة جورجيا التي بقيت على الديانة النصرانية، وحضر زواجها الجاثليق والأساقفة والكهنة والاكيروس (رجال الدين) وشقيقها الصغير الأمير داؤد [4] الذي نصبه كيخسرو مقدماً لجيشه، على الرغم من بقائِهِ على نصرانيته، مما أثار غضب الأمراء [5].

لم تلبث الاميرة الجورجية ان دخلت الإسلام فتم القاء القبض على شقيقها والجاثليق، فأودعا السجن في إحدى القلاع وظلا هناك حتى الغزو المغولي [6] حيث تم إطلاق سراحهم عند احتلالها، وعندما هُزِمَ الجورجيون والسلاجقة أمام الغارات المغولية اصبح كل منهما تابعاً لهم [7] ولشدة حب السلطان كيخسرو للأميرة الجورجية بادر في سنة

---

(1)*Cahen , Ibid. , P. 133.*

(2) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص280.

(3) بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تأريخ اهل الزمان، تحقيق: محمد محمد امين، ط1(القاهرة: 1987م)، ص 137 ؛ ينظر: اللهيبي، مملكة أرمينية الصغرى، ص63ـ64.

(4)*Minorsky ، Studies In Caucasian , P.135.*

(5) العيني، عقد الجمان، ص 137.

(6)*Minorsky ، Studies In Caucasian , P.135.*

(7) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص 284 ؛ العريني المغول، ص179.

635هـ/ 1237م إلى ضرب عملة نقدية عليها صورتها إلا انه عدل عن ذلك لإدراكه أن تصويرها على العملة ممقوت وسوف يكون مثيراً للاعتراض من وجهة نظر إسلامية [1] واستمرت العلاقات الجورجية السلجوقية يسودها الهدوء بسبب انشغال كل منهم في أمور السياسة الداخلية لما عانوه من أزمات واضطرابات حتى بداية المد المغولي نحو بلاد الأناضول والقوقاز، فاصبح كل من الجورجيين والسلاجقة تابعين وحلفاء للمغول يأتمران بأمرهما.

## ثانياً :العلاقات الجورجية ـ الأيوبية (588- 659هـ/1192- 1260م)

إثر انقسام الدولة السلجوقية وضعفها، ظهرت العديد من الاتابكيات والدول التي اخذ كل منها يعمل من أجل تحقيق مصالحها الخاصة وتوسيع دائرة نفوذه، وتزامن ذلك مع تعرض العالم الإسلامي لأخطر هجمة استعمارية، والمتمثلة بالغزو الصليبي، فكانت الدولة الايوبية إحدى تلك القوى التي أخذت على عاتقها مهمة النهوض بالأمة والذود عنها أمام ذلك الخطر الداهم، فكانت الظروف مؤاتية للناصر صلاح الدين الايوبي (569-589 هـ/ 1174-1193م) وهيأته للقيام بمثل تلك المهمة[2] .

بعد النجاح الذي حققه الناصر صلاح الدين الايوبي في توطيد أركان دولته عمل من أجل توحيد ما يمكن توحيده من بلاد الشام والجزيرة، على الرغم من الحروب الكثيرة التي قادها، فمد مناطق نفوذه حتى شملت كلاً من بلاد مصر والشام والجزيرة، ولاسيما أن بلاد الجزيرة هي الموطن الأصلي لصلاح الدين [3] ولم يتمكن من اخضاع

---

(1) Minorsky , Studies In Caucasian , P.135.

(2) للمزيد من التفاصيل عن الناصر صلاح الدين الايوبي ودوره في توحيد الجبهة الإسلامية. ينظر: دريد عبدالقادر نوري، سياسة صلاح الدين الايوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة (بغداد، 1976م).

(3) نوري، سياسة صلاح الدين، ص 119-134 ؛ لين بول، صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ترجمة: فاروق سعد أبو جابر، (القاهرة: 1995م)، ص288.

مملكة جورجيا أو الدخول معها في صراع مباشر[1] ويرجع ذلك إلى انشغاله في التصدي للصليبيين في بلاد الشام إلا ان حدود دولته اصبحت متآخمة مع مملكة جورجيا، مّما أثار تخاوف الملكة تمارا التي عاصرت الناصر صلاح الدين، فأخذت بإرسال السفارات والوفود إليه، من أجل إقامة علاقات صداقة بينهما [2] فكانت السفارة الأولى التي أرسلتها في سنة 588هـ/ 1192م، إذ وصلَ رسولُها إلى الناصر حاملاً له كتاب إيضاح وتبيين ما للجورجيين من أماكن مقدسة في مدينة القدس [3] وابلغه شكوى الملكة الجورجية من جراء أخذها من أيديهم، واستعطفه من أجل ردها إلى أيدي نوابهم [4] فوافق الناصر صلاح الدين على ذلك، واكرم الرسول واعطاه الهدايا والأموال ثم عاد إلى بلاده، أما الأجراء الذي اتخذه الناصر لم يطبق على الجورجيين فحسب، وإنما منح الحرية الدينية وإقامة طقوس العبادة لجميع المذاهب والطوائف النصرانية كل في أماكنه

---

(1 ) Malcolm Cameron Lyonz And D. E. P. Jackson , Saladin The Politics Of The Holy War (Cambridge: 1988) , P. 194.

(2) لين بول، صلاح الدين، ص 203 ؛ محمد عبد الله عنان، تراجم إسلامية مشرقية وأندلسية (القاهرة:1970م)، ص52.

(3) في منتصف القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ضمن الجورجيون لهم إقامة أماكن عبادة على جبل صهيون في مدينة القدس، وبنوا عليه كنيسة تابعة لهم للمزيد من التفاصيل ينظر: Sanjian , Armenian , p. 12 .

واشار المؤرخ الأوربي براور إلى تمركز نسبة كبيرة من النصارى الشرقيين من السريان والنساطرة والارمن واليعاقبة وبضمنهم الجورجيون في مدينة القدس والقرى المحيطة بها. للمزيد من التفاصيل. ينظر: براور عالم الصليبيين، ص 92.

(4) بهاء الدين ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: محمد جمال الدين الشيال (القاهرة: 1964م)، ص234 ؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية (بيروت: د/ت): 2/ 203.

الخاصة، كالجورجيين والأرمن والروم، ومن الواضح أن الناصر صلاح الدين اقتدى في ذلك بإجراءات الخليفة عمر بن الخطاب (ﷺ) في معاملة اهل الذمة [1].

لقد كان للسياسة التي اتبعها الناصر أثرُها الطيب في نفوس النصارى، وخاصة انه لم يقطع خط الرجعة على القوقازيين من الجورجيين والأرمن، إذ قرب النصارى الشرقيين في أوقات متباينة، وخاصة في سنة588هـ/ 1192م عندما طلب المبعوث البيزنطي منه أن يتنازل لهم عن الصليب المقدس، فأخبره الناصر أن الملكة تمارا طلبت منه ذلك، ودفعت له مبلغ عشرين ألف دينار إلا انه رفض طلبها، وفي السنة ذاتها تم توقيع الصلح بينة وبين ريتشارد قلب الأسد ملك إنكلترا الصليبي، فوصل السفير الجورجي إلى الناصر صلاح الدين طالباً منه التباحث في مسألة الأماكن المقدسة[2] التابعة للجورجيين، فضلاً عن البنايات المتعلقة ملكيتها بهم، فبقيت في أيديهم على وفق الاتفاق السابق الذي تم في سنة 588هـ/ 1192م[3].

ظلت العلاقات الجورجية – الأيوبية يسودها الود والاتفاق طوال عهد الناصر صلاح الدين، وبعد وفاته في سنة 589هـ/ 1193م تم اقتسام الدولة بين ابناء أسرته[4] إلا أن مصر التي تمثل مركز الدولة الرئيس كانت تحت سلطة شقيقه الملك العادل، فتولى حكم امور الدولة وإدارتها، واتبع السياسة نفسها التي انتهجها سلفه تجاه الجورجيين

---

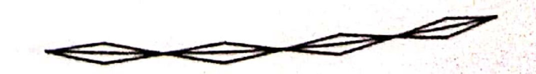
(1)Sanjian , Armenian , p. 12 .

(2) ترجع صلة الجورجيين بالاراضي المقدسة إلى عهود قديمة، ففي نهاية القرن الخامس الميلادي تم بناء دير جورجي في الوادي المؤدي إلى مدينة القدس، ثم اعيد ترميمه في عهد الامبراطور جستنيان في القرن السادس، وظل هذا الدير في حوزة الجورجيين في العهد الاسلامي حاملاً اسم دير الصليب. للمزيد من التفاصيل عن الاماكن الجورجية المقدسة في القدس ينظر: براور، عالم الصليبيين، ص85.

(3)Minorsky , Studies In Caucasian , P.130.

(4) هيثم محمود يونس الحمداني، الملك العادل الأيوبي دراسة سياسية عسكرية، (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب ـ جامعة الموصل: 2002م)، ص54.





فاستمرت عملية تبادل الوفود والسفارات بين الطرفين، ففي سنة 599هـ/ 1203م أرسل الملك العادل قاضي دمشق محيي الدين بن أبي عصرون إلى مملكة جورجيا [1].

وعلى الرغم من إشارة ابن الفرات إلى تلك السفارة إلا انه لم يشر إلى الغرض منها وبعد البحث والتمحيص في الأوضاع الداخلية التي سادت كلاً من القوتين تبين أن حالة القوة والازدهار الاقتصادي والحضاري التي بلغتها مملكة جورجيا في عهد الملكة تمارا، مقارنةً بالأوضاع التي سادت الدولة الايوبية بعد وفاة الناصر صلاح الدين، هي التي دفعت بشقيقه الملك العادل إلى تحسين علاقاته بالقوى المجاورة سواء الإسلامية أو غير الإسلامية، ولاسيما الخلافة العباسية في عهد الخليفة الناصر لدين الله [2].

وعلى ما يبدو أن الهدف من وراء ارسال السفارة الأيوبية الى مملكة جورجيا كان من أجل ضمان بقاء المملكة على ما كانت عليه من علاقات حسنة معهم، منذ عهد الناصر صلاح الدين، وعدم اعتدائها على بلاد المسلمين المجاورة.

كما أشارت بعض المصادر التأريخية الى قيام الخليفة الناصر لدين الله بإرسال علي بن عبد الله البغدادي[3] إلى العاصمة الجورجية تفليس حيث بلاط الملكة تمارا، وذلك رداً على السفارة التي أرسلتها الى بغداد في سنة 599هـ/ 1203م فأنجز عبدالله بن على

---

(1) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم ابن الفرات، تأريخ ابن الفرات، تحقيق: حسن الشماع (البصرة: 1969م): مج 4/ ج2/ 249.

(2) ابن الأثير، الكامل: 12/ 161 ؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: 2/ 175 ؛ كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي الغزي، نهر الذهب في تأريخ حلب (حلب: 1926م): 3/ 108.

(3) عبد الله البغدادي: هو فخر الدين أبو بكر عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة البغدادي، المحدث والأديب المعروف بابن المارستانية، وكان فقيهاً ومؤرخاً ومحدثاً ومفسراً، وجمع وصنف كتاباً وسماه ديوان الاسم الأعظم.ينظر: محب الدين محمد بن محمود ابن النجار البغدادي، ذيل التاريخ لمدينة السلام، (مخطوط في المجمع العلمي العراقي تحت رقم 28 **تاريخ**): ق2/ 99 ؛ ابن الساعي، الجامع المختصر: 9/ 99 ؛ زين الدين ابن رجب الحنبلي، الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد، (مصر: د/ت): 1/ 442.



البغدادي الذي توفي في طريق عودته المهمة الموكلة إليه في شهر ذي الحجة من السنة ذاتها[1].

وبعد البحث والاستقراء الدقيق للمصادر التاريخية لم نعثر على أية رواية تشير الى وجود علاقات بين مملكة جورجيا والخلافة العباسية بشكل مباشرة، وإنما ارتبطت بعلاقات سياسية متباينة مع القوى الاسلامية الخاضعة للخلافة العباسية، وإن كان خضوع بعضها آسمياً فقط، وهذا يدفعنا إلى الظن بأن مثل تلك السفارات المتبادلة بين الطرفين قد تكون بتشجيع من الملك العادل الأيوبي صاحب مصر بحكم ما كان يربطه من علاقات حسنة بالخليفة العباسي الناصر لدين الله من ناحية، وبمملكة جورجيا من ناحية أخرى.

استمرت العلاقات الودية بين الطرفين حتى سنة 601هـ/ 1204م، حيث تغيرت سياسة الملكة تمارا تجاه جيرانها الأيوبيين والسلاجقة، فأخذت بشن الغارات على الأراضي التابعة لهم، ففي سنة 601هـ/ 1204م هاجمت القوات الجورجية الأراضي الإسلامية المجاورة، وأطلقت فيها يد الخراب والسلب والنهب، ثم انسحبت إلى جورجيا إلا أنها لم تلبث أن أعادت الكرة في السنة ذاتها، فهاجمت المناطق التابعة لمدينة خلاط ونهبوا نواحي مدينة ارجيش ودمروها[2] ممّا اضطر ذلك صاحب خلاط إلى الاستنجاد بالسلطان السلجوقي طغرلشاه بن قلج أرسلان صاحب ارزن الروم، فأرسل إليه الأخير قوات عسكرية اشتركت معه في قتال القوات الجورجية، ونجحت في إلحاق الهزيمة بها وقُتِلَ أميرها وغنم المسلمون ما معهم من أموال ودواب وسلاح، وقتلوا واسروا عدداً

---

(1) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص34 ؛ ابن الساعي، الجامع المختصر: 9/ 112 ؛ كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق ابن الفوطي، من تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مصطفى جواد، (دمشق: 1965م): مج4/ ج3/ 226.

(2) ابن الساعي، الجامع المختصر:9 / 151.



كبيراً منهم ((وقتتلوا فانهزمت الكرج وقتل ملكهم وغنم المسلمون ما معهم من الاموال والسلاح والكراع وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وأسروا كذلك وعادوا غانمين)) [1].

وفي سنة 602هـ/ 1205م هاجمت القوات الجورجية أعمال أرمينيا، ونهبوا خلاط وغيرها وآذوا الرعية، فاجتمع المسلمون من مختلف الممالك والحقوا بهم هزيمة نكراء كبدوهم فيها خسائر بشرية ومادية فادحة [2] لم يعتبر الجورجيون ممّا لحق بهم في تلك المعركة من خسائر، فأعادوا الكرة في السنة 603هـ/ 1206م واغاروا على أعمال خلاط ونجحوا في الاستيلاء على حصن قرص التابع لهم، بعد أن فرضوا عليه حصاراً طويلاً [3] أبدى خلاله سكان الحصن مقاومة باسلة [4] ثم انسحبوا عائدين إلى بلادهم خشيةً من مسير الايوبيين إلى بلادهم، وخاصةً بعد أن وصلتهم اخبارالمصالحة بين الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب وعمه الملك العادل، واتفاقهم على قصد جورجيا ((وتراسل الملك العادل والملك الظاهر وتقرر الصلح بينهما، ووصلت الاخبار برحيل الكرج)) [5].

ضم الملك الأوحد بن الملك العادل صاحب ميافارقين مدينة خلاط إلى أملاكه في سنة 604هـ/ 1207م [6] بعد أن استدعاه سكانها لتسليمه حكم المدينة ((ليملكوه فحضر إليهم فملكوه إياها في هذه السنة، وملك بلادها إلا اليسير منها، وكره المجاورون له ملكه [تلك البلاد] خوفاً من أبيه الملك العادل، ولذلك خافه الكرج وكرهوه، فتابعوا الغارات على أعمال خلاط وبلادها)) [7].

---

(1)ابن الساعي، الجامع المختصر: 9/ 151.

(2) نفسه: 9/ 177.

(3) ابوالفضائل، التأريخ المنصوري، ص259.

(4) ابن الساعي، الجامع المختصر: 9/ 206.

(5) أبو الفضائل، التأريخ المنصوري، ص259 ـ 260.

(6) ابن الفرات، تاريخ ابن الفرات: مج 5/ ج1/ 61 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 6/ 193.

(7) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص 248 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب: 3 / 176 .

وبعد البحث والاستقراء الدقيق في هذه الرواية اتضح لنا وبشكل جلي مسالة مهمة وهي أن امتلاك الأوحد لمدينة خلاط جعله على اتصال مباشر واحتكاك مع مملكة جورجيا وذلك بحكم التآخم الحدودي بينهما، مما أثار مخاوف الملوك الجورجيين الذين سعوا إلى كسر شوكته، من خلال محاولاتهم لاحتلال مدينة خلاط.

لقد كانت لتلك المخاوف من ناحية، وطمع الجورجيين في احتلال بلاد المسلمين ونهب خيراتها من ناحية أخرى دورٌ كبيرٌ في دفع الملكة تمارا إلى شن الغارات في سنة 604هـ/ 1207م على أملاك الأيوبيين في كل من خلاط وارجيش، فما كان من الملك الأوحد إلا أن رابط في خلاط، ولم يخرج إليهم على الرغم من تماديهم واعتدائهم على أملاكه خشيةً من تمرد سكان المدينة عليه، وفعلاً حدث ما خشي منه الأوحد، إذ تمرد جماعة من سكانها، واستولوا على حصن وان، وهو من امنع الحصون التابعة لمدينة خلاط مّما شجع الجورجيين على مهاجمة مدينة ارجيش فاستولوا عليها [1] فكتب الملك الأوحد إلى أبيه الملك العادل في مصر يخبره بما آل إليه الوضع في البلاد، فَسَيّر إليه قوة عسكرية على رأسها أخوه الملك الأشرف موسى صاحب حران، فحاصر الأخير حصن وان واستولى عليه بعد أن طلب سكانه الصلح والأمان، فرجع الملك الأشرف إلى بلاده في السنة ذاتها[2].

وفي سنة 605هـ/ 1208م هاجمت القوات الجورجية مدينة خلاط مرة أخرى وقصدوا مدينة ارجيش، ونجحوا في احتلالها، واستولوا على ما فيها من أموال ودواب وسبوا عدداً كبيراً من سكانها، واعملوا فيها يد الدمار والخراب [3] وعلى الرغم مّما حلَّ بالمدينة، لم يخرج الملك الأوحد لرد الجورجيين عنها ((وكان الملك الاوحد بخلاط فلم

---

(1) ابن الأثير، الكامل: 12/ 273.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب: 3/ 177 ؛ Minorsky , Studies In Caucasian , P.149.

(3) المقريزي، السلوك: ج1/ ق1/ 170.





يقدم على الكرج لكثرتهم وخوفه من اهل خلاط)) [1] ويرجع ذلك إلى خشيته من أمرين هما: -

**الأول**: هو كثرة عدد القوات الجورجية المهاجمة، حيث أدرك عدم مقدرته على التصدي لها.

**الثاني**: من الأمور الداخلية، إذ لم يكن الملك الأوحد على وفاق مع سكان المدينة، لما اتبع معهم سياسة العنف والقسوة في المرة السابقة، فخشي الخروج للقاء الجورجيين فلا يُمكنوُهُ من دخول المدينة ثانياً [2].

ازدادت الغارات الجورجية في سنة606هـ/ 1209م[3] على أعمال خلاط حيث استشرى أمر الملكة الجورجية تمارا، وطمعت في ضم المدينة إلى أملاكها وخاصةً بعد أن أدركت ضعف الملك الأوحد وعدم مقدرته على لقاء القوات الجورجية بسبب قلة قواته مقارنةً بقواتها من ناحية، وعدم التوافق بينه وبين رعيته من ناحية أخرى، مّما زاد ذلك من عدد الكتب التي أرسلها الأوحد إلى والده العادل المقيم في دمشق، طالباً فيها النجدة والمساعدة لصد غارات الجورجيين وكبح جماح ملوكهم ((وتكررت كتب الملك الاوحد إلى الملك العادل يستصرخه عليهم)) [4] فقصد العادل نهر الفرات وقطعه، وأرسل إلى مصر طالباً العساكر، متظاهراً بالسير نحو جورجيا، فوصل إليه المنصور صاحب حماه

---

(1) ابن واصل: مفرج الكروب: 3 / 183.

(2) ابن الأثير، الكامل: 12/ 279 ؛ ابن واصل، نفسه: 3/ 183 ؛ الملك الأشرف، العسجد المسبوك:1/ 325.

(3) في الوقت الذي أجمعت فيه المصادر التأريخية على سنة 606هـ/ 1209 م، يشير ابو الفضائل إلى أنها كانت في سنة 605هـ/ 1208م . ينظر: التأريخ المنصوري،ص262ـ264، والتأريخ الأول هو الأرجح لإجماع المؤرخين عليه وانفراد الحموي في ذكره، ولعل ما ذهب إليه الحموي في تدوينه لهذا التأريخ كان صائباً، وان إعداد الجيش وسيره كان في سنة 605هـ/ 1208م، إلا إن المنازلة الفعلية كانت في سنة 606هـ/ 1209م، أي أنها كانت فترة انتقالية ما بين السنتين.

(4) ابن واصل، مفرج الكروب: 3 / 190.



والظاهر غازي صاحب حلب والأمجد صاحب بعلبك والمجاهد صاحب حمص، فنزل الملك العادل وسائر الملوك بحران [1]، ووصل إليه الملك الأوحد امير خلاط، والملك الأشرف موسى[2] والملك الصالح محمود بن محمد بن قرة أرسلان الارتقي صاحب آمد وحصن كيفا، وعدد من الامراء الاراتقة الموالين كامير السويداء [3] فلما تكاملت القوات الأيوبية من شتى الأقاليم، فضلاً عن قوات كيخسرو بن قلج أرسلان صاحب سلاجقة الروم، كانت قد قصدت مملكة جورجيا، وما أن وصلت الأخبار إلى ملكة جورجيا حتى خشيت الالتحام معهم في معركة خاسرة، فانسحبت قبل وقوع المواجهة [4].

لم تعتبر تمارا ملكة جورجيا من اجتماع القوات الأيوبية والارتقية في السنة الماضية فعاودت الكرة، وهاجمت مدينة خلاط في سنة 607هـ/ 1210م وفرضت عليها حصاراً إلا أن الأمور لم تسر على ما تمنته، فوقع الملك داؤد زوج الملكة تمارا ـ الذي تزوجها بعد طلاقها من زوجها السلجوقي ـ أسيرا بيد القوات الأيوبية، فأطلقت المصادر التأريخية عليه تسمية ((إيواني ملك الكرج)) [5] إذ انه خرج مع مجموعة من فرسانه للاستطلاع حول المدينة فظن أنه قادرٌ على احتلالها، فهاجمها فكبا به حصانه فوقع اسيراً في ايدي الخلاطيين، فاقتيد إلى الملك الأوحد [6].

---

(1) محمد بن محمد الكاتب الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي (القاهرة: 1321هـ)، ص332.

(2) ابن العديم، زبدة الحلب: 3/ 160 ؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص67 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب: 3/ 192، المقريزي، السلوك:ج1/ ق1/ 170.

(3) خليل، الامارات الارتقية، ص 170.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب: 3/ 160 ؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص67 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب:3/ 192، المقريزي، السلوك:ج1/ ق1/ 170.

(5) ابن واصل، مفرج الكروب: 3 / 192.

(6) الذهبي، سير اعلام النبلاء، 22/ 132 ؛ محمود ياسين التكريتي، الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة (بغداد: 1981م)، ص191.

وفي الوقت الذي يتفق فيه أبو شامة مع ابن واصل في تأريخ الغارة واسر ملك جورجيا إلا انه يورد تأريخاً آخر وهو بعد سنة 607هـ/ 1210م، وبعد البحث الدقيق في كلا الروايتين، اتضح لنا أن التأريخ الأول هو الأرجح، وذلك لإجماع المؤرخين عليه من ناحية، وعدم جزم أبي شامة على التأريخ الثاني الذي أورده، إذ انه يشير قائلاً: ((وقيل إنها كانت وقعة إيواني بعد حصار سنجر في سنة 607هـ[/ 1210م])) [1] ولم يطلق سراحه إلا بعد أن وافق على شروط فرضها عليه الملك الأوحد، وعقد فيما بينهما معاهدة وتضمنت شروطها ما ياتي: ـ

أ. دفع فدية مالية مقدارها مئة ألف دينار.

ب. إطلاق سراح خمسة آلاف مسلم ممن في أسره [2].

ج. أن تتزوج ابنة ملك جورجيا من الملك الأوحد الأيوبي على أن لا تفارق دينها [3].

د. أن يعيد إلى الملك الأوحد عدداً من القلاع التي استولى عليها الجورجيون من أيدي المسلمين، وفي ذلك يقول أبو شامة ((واتفق مع الاوحد على أن يرد ما فتح من بلاد المسلمين)) [4].

هـ. واقسم كل من الطرفين على عدم الإخلال بشروط المعاهدة [5].

---

(1) الذيل على الروضتين، ص67.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب:3/ 201 ؛ أبو الفدا، المختصر: 3/ 113 ؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي:2/ 190.

(3) ابن واصل، نفسه: 3 / 2001 ؛ المقريزي، السلوك: ج1/ ق1/ 171.

(4) الذيل على الروضتين، ص 67.

(5) ابن واصل، مفرج الكروب:3/ 201 ؛ أبو الفدا، المختصر:3/ 113 ؛ ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي 2/ 190.



لقد أكد أبو شامة وعدد آخر من المؤرخين المسلمين [1]، على تلك المعاهدة وشروطها [2]على الرغم من أن أبا شامة خفف بعضها، فأنه أضاف شروطاً أخرى، فقد حدد مبلغ الفدية بثمانين ألف دينار وأطلاق سراح خمسة آلاف أسير مسلم، وتسليم إحدى وعشرين قلعة متآخمة لأعمال خلاط، كان قد تغلب عليها فيما مضى، وان يُزَوج إيواني إحدى بناته بالملك الأوحد والأخرى بأخيه لامه ومن الشروط التي أضافها هي أن يكون الجورجيون حلفاء مسالمين له، لا يعتدون على ممتلكاته، وان داهمه خطر خارجي سارعوا إلى مساعدته، فاستأذن الملك الأوحد والده في ذلك، فوافق مقابل أن يؤدي الملك الجورجي الأيمان والرهائن، ففعل وتم إطلاق سراحه في السنة ذاتها، بعد أن أكرمه وخلع عليه الخلع، وطلب منه رحيل القوات الجورجية إلى بلادها دون القيام بأي عمل عدائي ضد خلاط، فأرسل الملك الجورجي إلى من يثق به للتأكد من سلامته، وأمرهم بالانسحاب من المدينة، وبموجب ذلك انسحبت القوات الجورجية عائدةً إلى بلادها[3].

وبعد البحث والتمحيص في الرواية التأريخية التي أوردها أبو شامة وابن واصل ومقارنتها بالروايات التي أوردتها المصادر التأريخية الأخرى [4] ومن خلال مراجعة أسماء

---

(1) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص67 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب: 3 / 201 ؛ أبو الفدا، المختصر:3 / 113 ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: 2 / 190 ؛ العريني، المغول، ص 88.

(2) إن الشروط التي وردت في الرواية الأولى هي الأصح من حيث مبلغ الفدية وعدد الأسرى المسلمين والقلاع التي يجب إعادتها، وذلك لإجماع المؤرخين عليها بما فيهم أبو شامة، على الرغم من تخفيفه لبعض الشروط، وإضافته شروطاً أخرى كما أشرنا آنفا. ينظر: أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 75.

(3) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 75 ؛ الذهبي، العبر: 5/ 15.

(4) أبو الفدا، المختصر:3/ 113 ؛ محمد بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس (بيروت:1975م)، ص 220 ؛ وأشار ابن خلدون إلي هذه الرواية مؤكداً على اسر الملك الجورجي، تأريخ ابن خلدون: 5/ 125.

الملوك الجورجيين، لم نعثر على تسمية إيواني من ضمنها، بل كان أميرا من الأمراء ويشغل منصب القائد الأعلى للجيش الجورجي ، كما تبين أن اللبس قد وقع في هذه الرواية بين اسم الملك واسم القائد الأعلى للجيش المدعو إيواني، وان من وقع في الأسر هو الملك داؤد زوج الملكة تمارا وليس إيواني، ومما يدل على صحة ذلك ما قاله للملك الأوحد من أجل إطلاق سراحه ((إن كنتم تخلصوني، فأفعلوا سريعاً قبل أن يمشي الخبر إلى الكرج ويقيموا مكاني أحدا ولكم ما سألتم))[1]، كما أن دفع الفدية التي قدمها والشروط التي وافق عليها ضمن المعاهدة لايمكن لقائد الجيش أن يمنحها، فكانت على مستوى ملوك.

كما وأشار أحد المؤرخين المحدثين إلى أن من أهم أمراء القوات الجورجية الذين اكثروا الإغارة على ممتلكات الأيوبيين في بلاد الجزيرة هو إيواني وزاكارة [2] وهذا أيضا يعد دليلاً آخر على أن إيواني كان أميراً، وان الذي وقع في اسر الملك الأوحد هو ملك جورجيا وليس إيواني.

توفي الملك الأوحد في سنة 607هـ/ 1210م فتولى أخوه الملك الأشرف حكم كل من خلاط وميافارقين[3] وساعدت المعاهدة التي عقدها الأوحد على تحسين العلاقات الجورجية الايوبية، واستمرت السفارات والوفود المتبادلة بينهما لمدة ثلاثين سنة [4] ففي سنة 610هـ/ 1213م بادر الملك العادل الأيوبي صاحب مصر إلى ارسال الهدايا إلى جورج لاشا [ وتعني الملك الجليل ] ملك جورجيا ((وصل الفيل من الديار المصرية ليحمل هدية إلى الكرج))[5].

---

(1) القزويني، آثار البلاد، ص524.

(2) النقشبندي، الكرد وكردستان ، ص 78.

(3) المقريزي، السلوك:ج1/ ق1،171.

(4) أبو الفدا، المختصر: 3/ 113، ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: 2/ 190.

(5) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص111 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 6/ 169.

إنّ دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى تطور العلاقات الودية بين الجانبين، إذ قطعت شوطاً كبيراً من التحسن، وان الهدية التي أرسلها الملك العادل من القاهرة إلى العاصمة الجورجية تفليس لخير دليل على ما أشرنا إليه.

لقد حتمت الظروف السياسية التي عاشتها كلتا القوتين الجورجية والأيوبية سواء الداخلية أم الخارجية من ناحية، والتآخم الحدودي بينهما والذي اصبح واقع حال من ناحية أخرى، فسعى كل منهما إلى تحسين علاقته بالطرف الآخر، فقد امتدت حدود الدولة الايوبية عند وفاة الملك العادل في سنة 615هـ/ 1218م من جورجيا إلى همدان والجزيرة ومصر والشام والحجاز واليمن [1].

وعلى الرغم مما ذكر، وما أكدت عليه المصادر التأريخية من معلومات عن تحسن العلاقات الجورجية الايوبية ينفرد ابن إيبك في الإشارة إلى استيلاء الجورجيين على عدة قلاع في زمن الملك الأشرف بن الملك العادل كقلعة دكرى ومامروان وقلعة أولني [2].

إن ذلك يدفعنا إلى الاعتقاد أن ابن ايبك قد خلط في رواية احتلال القلاع الجبلية في عهد الأشرف مع رواية احتلالها في عهد الملك الأوحد، ومما يثبت صحة اعتقادنا هذا هو انفراد ابن ايبك بذكرها من ناحية، ومن ناحية أخرى أن زمن المعاهدة التي عقدها الملك الأوحد كان ثلاثين سنة، بما فيها عهد الملك الأشرف، ولم يحاول الجورجيون نقضها إلا في سنة 622هـ/ 1225م، أي في عهد الملك شهاب الدين غازي ابن العادل الذي تولى حكم بلاد الجزيرة بعد وفاة الملك الأشرف، ولم تشر المصادر التأريخية إلى خرق الجورجيين لها قبل هذا التأريخ.

عندما بدأ الزحف المغولي [3] يتجه نحو بلاد القوقاز بقيادة جنكيز خان في سنة 617هـ/ 1220م وبدأ يدق أبواب أذربيجان متواكباً مع حلول فصل الشتاء في بلاد

---

(1) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 112؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة : 6/ 169،

(2) أبو بكر بن عبد الله بن ايبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر (القاهرة: د/ ت): 9/ 141.

(3) للمزيد من التفاصيل عن أصل المغول وزحفهم نحوالمشرق. ينظر: علاء محمود قداوي، المغول في الموصل والجزيرة (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الاداب ـ الموصل: 1985م).

القوقاز الذي امتاز بشدة البرودة، فقرر المغول قَضاءَهُ على سواحل بحر قزوين الدافئة في الشتاء، وما أن سمع جورج لاشا ملك جورجيا بتلك الأنباء حتى سارع إلى الاتصال بأزبك اتابك أذربيجان، والملك الأشرف الايوبي أمير خلاط وميافارقين يعرض عليهما الصلح ((وعندما قصد التتار بلاد الكرج ارسلوا إلى الملك الاشرف بن الملك العادل)) [1] ويحثهم على ضرورة التعاون من أجل التصدي للغزو المغولي الذي يهدد أمن الجميع وسلامة أملاكهم، وكان أزبك في تلك الأثناء قد هرب إلى تفليس حاملاً الجواري ودنان الخمور، تاركاً في مكانه شمس الدين الطغرائي، فسارع الأخير إلى تبني اقتراح ملك جورجيا، وكذلك فعل الملك الأشرف[2] وتم الاتفاق بينهما على المضي لتهيئة الجيوش، واتخاذ الحذر طوال فصل الشتاء، والنهوض معاً لمهاجمة المغول وطردهم من البلاد بمجرد انتهاء فصل الشتاء[3].

عندما وصلت أخبار تلك الاتفاقية إلى المغول عجلوا في مهاجمتهم، لكي لا يتركوا لهم فرصة الاستعداد والتحشد، فبدأ زحفهم إلى مدينة مراغة فاحتلوها عنوةً وقتلوا جميع من فيها، ومن ثمة توجهوا نحو مدينة اردبيل، ثم بيلقان ومنها إلى كنجة، ثم رحلوا عنها عازمين على مهاجمة مملكة جورجيا، فاستعد الجورجيون للقائهم، واعدوا العدة الكافية وعسكروا خارج حدود مملكتهم لمنعهم من الدخول إلى الأراضي الجورجية إلا أن ذلك الجيش مني بهزيمة شنعاء، بعد أن قدم خسائر فادحة من عدد ومتاع وسلاح ودواب، وبذلك أصبحت الطرق أمام المغول مفتوحة إلى العاصمة الجورجية تفليس[4].

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب: 4 / 48، 91 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: 5 / 113، 125.

(2) إلا أن العريني أشار إلى اعتذار الملك الأشرف بن العادل عن ذلك، قائلا إن عليه التوجه إلي مصر، بسبب دخول الصليبيين إلى دمياط، ولم يقوموا بأي عمل على الرغم من اتفاقهم لمهاجمة المغول. ينظر: العريني المغول، ص135.

(3) ابن الأثير، الكامل:12/ 275.

(4) حمدي، الدولة الخوارزمية والمغول، ص134 ؛ سيد، ارمينية، ص259 ؛ حسن، تاريخ الإسلام: 3/ 145.



وفي شعبان سنة 620هـ/ 1223م حضر صاحب قلعة سرماري- وهي من أعمال ارمينيا الكبرى وتابعة للسيادة الايوبية - في ديوان صاحب خلاط شهاب الدين غازي بن العادل، واستخلف في أثناء غيابه أحد أمرائه، فجمع الأخير قوات كافية وهاجم الأطراف الجورجية والحق الدمار بعدد من القُرى، وعندما وصلت أخبار تلك الغارة إلى مسامع الملك الجورجي جورج لاشا ، أرسل على الفور إلى نائبه على دوين المدعو الأمير شلوة، يأمره بمهاجمة سرماري انتقاماً لما قام به اميرها، فسار إليها الأمير شلوة بعساكره ((فجمع صاحب دوين وهو من اكبر أمراء الكرج عسكره وسار إلى سرماري فحصرها ايامنا ونهب بلادها)) [1] وفرض عليها حصاراً لعدة أيام، ونهب المناطق التابعة لها ثم انسحب عائداً إلى بلاده، وما أن علم صاحب سرماري بأنباء تلك الغارة حتى عاد على عجلٍ من أمره، فوصل في اليوم نفسه الذي انسحبت فيه القوات الجورجية فقاد عساكره ولحق بها، فأدرك مؤخرتها وباغتها والحق بها خسائر كبيرة من قتلى وغنائم، ونجح في استرداد ما نهبوا من دياره[2].

ورداً على ذلك جمع صاحب دوين قواته في السنة ذاتها وتوجه لمحاصرة قلعة سرماري، وعندما ووردت الأخبار إلى صاحبها، أعَّد العدة واتخذ الاحتياطات اللأزمة للمقاومة، وفي أثناء ذلك اخبر بأمر نزول القوات الجورجية في وادي ضيق يقع بين مدينة دوين وسرماري، فقرر مباغتتهم فقاد قواته حتى وصل المعسكر الجورجي، فقسم قواته إلى مجموعتين الأولى تهاجمهم من اسفل الوادي، والثانية تهاجمهم من الأعلى فباغتهم في وقت متاخر من الليل، وقتل قسماً كبيراً منهم واسر قسماً آخر، بما فيهم الأمير شلوة صاحب دوين [3].

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب: 4 / 131.

(2) ابن الأثير، الكامل:12/ 414 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب: 4 / 131.

(3) ابن الأثير، نفسه:12/ 414.

أرسل لاشا ملك جورجيا اثر تلك الحوادث إلى الملك الأشرف موسى صاحب بلاد الجزيرة- وهو الذي منح حكم خلاط وأعمالها لأخيه شهاب الدين غازي- قائلاً له:((كنا نظن أننا صلح، والآن عمل صاحب سرماري هذا العمل، فان كنا على صلح فنريد إطلاق أصحابنا من الأسر، وان كان الصلح قد انفسخ بيننا فتعرفنا حتى نتدبر أمورنا)) [1] فأرسل الملك الأشرف إلى صاحب سرماري يأمره بإطلاق سراح الأسرى الجورجيين، وتجديد الصلح معهم على ما كان عليه في أيام الملك الأوحد ومعاهدة سنة 607هـ/ 1210م، ففعل ذلك واستقامت العلاقات، واستقرت قاعدة الصلح بينهما، فتم إطلاق سراح جميع الأسرى الجورجيين[2].

استفحل أمر الملوك الجورجيين في سنة 622هـ/ 1225م، فنقضوا المعاهدة التي عقدوها مع الأيوبيين، وأغاروا على ممتلكات الملك شهاب الدين غازي بن العادل في كل من خلاط وسروج والرها وما يليها ـ التي تولى حكمها في سنة 616هـ/ 1219م ـ ورداً على ذلك اعد الملك شهاب الدين العدة للقائهم، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم بعد أن قدموا خسائر مادية وبشرية فادحة [3].

بقيت العلاقات الجورجية الايوبية يسودها التوتر بعد سنة 622هـ/ 1225م، إذ بقي الجورجيون يتحينون الفرص للإيقاع بالأيوبيين، فاشتركوا مع السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ، عندما هاجم ممتلكات الأيوبيين وانتزاعه لمدينة خلاط من أيديهم في سنة 637هـ/ 1233م، فحشد الملك شهاب الدين غازي بن العادل جيوش كل من إمارة الموصل والامارة والارتقية وحصن زياد، وقوات الملك الأفضل الأيوبي امير سميساط لاسترداد مدينة خلاط، ومقابل ذلك حشد السلطان السلجوقي قوة مؤلفة من السلاجقة

---

(1) الأثير، الكامل: 12/ 415 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب: 4 / 132.

(2)ابن الأثير، نفسه: 12/ 415.

(3) ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: 5/ 125.

والجورجيين والأرمن والإفرنج[1] فأدى اشتراك القوات الجورجية والأرمنية إلى جانب السلاجقة في اختلاف ميزان القوة بين الطرفين، ورجحان الكفة لصالح السلاجقة، إذ أدرك الأيوبيون عدم مقدرتهم على مواجهة تلك القوات، واكتفوا بمهاجمة حصن منصور، ودمروه لكي لا تتخذهُ القوات السلجوقية وحلفاؤها قاعدة لمهاجمتهم، وانسحبوا بعد ذلك عائدين إلى بلادهم.

إن حالة الضعف التي عمت كلاً من القوتين الجورجية ـ والايوبية بسبب الأوضاع الداخلية السيئة التي سادتهما كما أوضحنا فيما تقدم من ناحية، وظهور الغزو المغولي الذي هددهما من ناحية أخرى، أدتا إلى ركونهما للهدوء، وعدم قيام أي منهما بأعمال تؤدي إلى إثارة الطرف الآخر، واستمر ذلك الوضع حتى سنة 658هـ/ 1260م حيث هاجم المغول مدينة ميافارقين الايوبية، وتولى أحد قادة هولاكو حصارها وتسانده في ذلك قوات جورجية وأرمينية [2] ونظراً لما قامت به تلك القوات من مساعدة كان لها دورها الفاعل في إسقاط المدينة[3] انحاز النصارى الشرقيون إلى جانب المغول[4] فسقطت مدينة ميافارقين بايديهم في أوائل سنة 659هـ/ 1260م بفضل المساعدة الجورجية

---

(1) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص 280.

(2) للمزيد من التفاصيل عن دور القوات الجورجية الأرمنية الى جانب المغول في احتلال ميافارقين. ينظر: قداوي، التحالف المغولي الارمني الصليبي لاحتلال مصر وبلاد الشام، مجلة التأريخ العربي المغربية (الرباط: 1999م).

(3) العسلي، فن الحرب: مج4/ 230.

(4) العريني، المغول، ص 225.

والأرمنية ودارت المذابح بالسكان المسلمين دون النصارى[1] وبعد قضاء المغول على المماليك الايوبية، حلت محلهم سلطنة المماليك البحرية[2] في مصر التي اتخذت على عاتقها مقارعة الأخطار الخارجية، وبذلك انتهت العلاقات الجورجية الايوبية بانتهاء الحكم الايوبي .

(1) نفسه، ص280.

Sanders , J. J. ,The History Of The Mongol Conquests (London: 1977) , P. 113.

(2) المماليك البحرية: أو البرجية الذين ورثوا الدولة الايوبية التي شملت بلاد مصر والشام وبعض الانحاء الشمالية من بلاد الرافدين والجهات الجنوبية الشرقية من الأناضول وساحل تهامة وشمال السودان على اثر انقلابهم ضد الايوبيين وقدر لهم قهر المغول في معركة عين جالوت سنة 658ه/ 1260م، واصبحت القاهرة في عهدهم مركزاً ثقافياً هاماً، ونجحوا في تحرير البلاد العربية وانهاء الوجود الصليبي في عهد الملك الاشرف خليل الناصر محمد بن قلاوون سنة 690هـ/ 1292م، واستمر حكمهم حتى سنة 782هـ/ 1381م، إذ قامت دولة مملوكية اخرى سميت بدولة المماليك الجراكسة، ينظر اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب، ص 203-204.





# الفصل الرابع

## مملكة جورجيا في عصر الضعف والانحلال

( 596 - 790هـ/1199- 1388م )

أولاً: الأوضاع الداخلية وأَثَرُها في ضعف المملكة

ثانياً: السياسية الخارجية وأثرها في انهيار المملكة

أ. العلاقات الجورجية - الخوارزمية (596- 626هـ/1199- 1228م)

ب. العلاقات الجورجية - المغولية (617- 702هـ/1221- 1302م)

ج. العلاقات الجورجية - المملوكية (656- 790هـ/1258- 1388م)

ثالثاً: الغزو التيموري وانهيار مملكة جورجيا (790هـ/1388م)



## المبحث الأول

## الأوضاع الداخلية وأثرُها في ضعف المملكة

بعد أن بلَغَتْ مملكة جورجيا أوج قوتها في عهد الملكة تمارا بفضل ما حققته من انتصارات، وما جنته من غنائم ومكاسب كبيرة، أسهمت في نمو الحياة الاقتصادية حتى شاع القول المشهور ((بأن الفلاحين كانوا كالنبلاء، وان النبلاء كانوا كالأمراء، والأمراء كانوا كالملوك)) [1]، مّما أدّى إلى استقرار الأوضاع وازدهار المملكة على مختلف الأصعدة سواء الحضارية أم الاقتصادية أم السياسية، وارتبطت بعلاقات مع القوى المجاورة كالبيزنطيين والمسلمين، واتسمت تلك العلاقات بطابع مميز إلا أن ذلك بدأ يتضاءل في الفترة التي تلت وفاة الملكة تمارا في سنة 609هـ/ 1212م، وتولي ولدها جورج لاشا (609-620هـ/ 1212-1223م)، فكان ذلك إيذانا بانتهاء عصر الملوك الكبار وبداية النهاية لمملكة جورجيا [2] ويمكن تقسيم العوامل أو الأسباب التي أدت إلى ضعف مملكة جورجيا إلى ما يأتي:

### أولاً: الأسباب الداخلية

تمثلت الأسباب الداخلية التي أدت إلى ضعف المملكة وانهيارها بتولي ملوك ضعفاء غير جديرين بإدارة أمورها السياسية بعد وفاة الملك جورج لاشا 620هـ/ 1223م الذي ترك العرش وأمور المملكة لشقيقته الملكة روسودان (620-643هـ / 1223- 1245م) بسبب صغر سن ولده داؤد السادس [3].

كانت الملكة روسودان شابة عزباء، فانشغلت بأمور الزواج وأهملت أمور المملكة فما كان من رجال الدولة إلا أن قاموا بالبحث عن زوج لها من بين أحد الأمراء

(1 ) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. Med. His.: 4 /625 –626.

(2) صبرة، دراسات، ص478.

(3) نفسه، 486 ؛ بارتولد، مادة "تفليس" دائرة المعارف الإسلامية: 4/ 385 ؛ Toumanoff, Armenia and Georgia, In Cam. Med. His.: 4 /626.







الجورجيين المحيطين بها سياسياً كي يقوم بأعباء الحكم بدلاً عنها [1] ونظراً لعدم اقتناعها شخصياً بأحد من هؤلاء الأمراء من ناحية، وما تطلبته الضرورة من التحالف مع إحدى القوى الإسلامية المجاورة من ناحية أخرى، وبسبب حالة الضعف التي عمت المملكة وافق الأمراء الجورجيون على زواجها من ابن السلطان السلجوقي مغيث الدين طغرلشاه بن قلج أرسلان صاحب أرضروم فتمت عملية الزواج في سنة 621هـ/ 1224م [2].

لم يدم الزواج طويلاً على الرغم من إنجابها منه ولداً وذلك بسبب رغباتها الشخصية ونوازعها التي أغضبت زوجها لتنافيها مع مبادئ الإسلام على الرغم من تنصره، فأمرت الملكة بحبسه [3] وبدأت في البحث عن زوج ثانٍ ليحل محله، وأحضرت رجلين ((كانا قد وصفا بحسن الصورة فتزوجت احداهما فبقي معها يسيراً ثم انها فارقته)) [4] إلا أن ذلك الزواج لم يستمر وبدأت من جديد بعملية البحث عن زوج آخر فوقع اختيارها في هذه المرة على شابٍ مسلمٍ من أهالي مدينة كنجة [5] فعرضت عليه الزواج في سنة 622هـ/ 1225م مقابل الارتداد عن دينه واتباع ملتها إلا إنه رفض طلبها [6] فأصرت على الزواج منه وهو مسلم، مّما أدى إلى استياء الأمراء الجورجيين واعيان المملكة من ذلك، وأعربوا لها عن سخطهم الشديد، ورفضهم لتصرفاتها المشينة التي تقوم بها من خلال قولهم لها: ((لقد افتضحتنا بين الملوك بما تفعلين ثم تريدين أن يتزوجك مسلم وهذا لا نمكنك منه أبدا)) [7] ودعوها إلى تغيير فكرة الزواج منه ، فعدلت عنها تحت ضغطهم وإلحاحهم الشديد، وتزوجت باحد الأمراء الجورجيين وبقيت في الحكم حتى

---

(1) الدمشقي: شذرات الذهب: 3/ 97 ؛ Toumanoff , Ibid : 4 /626.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 6 / 259.

(3) الدمشقي، شذرات الذهب: 3 / 97.

(4) ابن الأثير، الكامل: 12 / 417.

(5)ابن العبري، تأريخ الزمان، ص283-284 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 6 / 259.

(6) ابن تغري بردي، نفسه:6/ 259.

(7) ابن الأثير، الكامل: 12/ 417 ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: 5/ 137.

تولي ولدها داؤد الخامس الملقب بـ (داؤد السلجوقي) [1]. وأكّد ابن خلدون على أنها تزوجت إلا انه لم يشر إلى اسم زوجها [2].

لقد أدت حالة الضعف التي مرت بها مملكة جورجيا بسبب أوضاعها الداخلية السيئة في تلك الحقبة إلى خضوعها لتبعية المغول في سنة 617هـ/ 1221م إلا أنهم تركوها تدير شؤونها الداخلية بنفسها مقابل تقديم الدعم العسكري والضرائب المالية الكبيرة لخانات المغول [3] ممّا أدى إلى الأضرار بطبقة الفلاحين وانحطاط الاقتصاد الريفي بسبب الضرائب الفادحة التي فرضها الملوك عليهم من أجل الإيفاء بالتزاماتهم المالية والجزية السنوية التي فرضها الخوارزميون والمغول فيما بعد، فكان ذلك سببا في انحطاط اقتصاد المدن حيث تضاءلت التجارة والصناعة، مما أدى إلى انتشار الأمراض والأوبئة[4].

كما أن الصراع الذي دَبَّ بين أبناء الأسرة الحاكمة من أجل الاستيلاء على العرش في سنة 633هـ/ 1234م، إثر إبعاد داؤد السادس بن جورج لاشا والوريث الشرعي للحكم من قبل عمته الملكة روسودان التي اختارت ولدها من زوجها السلجوقي لحكم المملكة وتحت لقب الملك داؤد الخامس، فأدى ذلك إلى انقسام المملكة إلى قسمين وسادها الضعف والانحلال، وخاصةً بعد أن أُعتُرِف بداؤد السادس بن جورج لاشا ملكاً على ابخازيا، بينما نُصِبَ داؤد الخامس ملكاً على تفليس إثر التسوية التي وضعها خانات المغول أثناء حضوره مع منافسه في البلاط المغولي، وفي سنة 656هـ/ 1258م أدت النزعة الانفصالية المتنامية إلى تدهور الأوضاع السياسية أكثر من ذي قبل، فأصبحت المملكة العوبة بيد البيوتات الجورجية الكبيرة التي تولى أمراؤها

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 678 ؛ Bertold , History Of The Mongols , P. 80.

(2) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: 5 / 137.

(3) سيتم الحديث بالتفصيل السيطرة المغولية ومدى تأثيرها في ضعف المملكة، ضمن المبحث الخاص بالعلاقات الجورجية ـ المغولية من هذا الفصل.

(4) صبرة، دراسات، ص488.

مناصب سياسية رفيعة في المملكة كقيادة الجيش وغيرها، فشجعتها تلك المناصب على الطمع في تولي مناصب ارفع كتولي العرش ومن أجل الوصول إلى أهدافها أخذت بالتنازع فيما بينها، فحتم ذلك على كل منها أن يقبل بالتبعية الدائمة للمغول[1].

وبعد وفاة الملك داؤد السادس تولى العرش ولده ديمتري الثاني(672-688هـ/ 1273-1289م)، فازدادت حدة التنافس على تولي المناصب السياسية في المملكة، مّما أدى إلى ازدياد الصراع بين الملوك الجورجيين أنفسهم فضلاً عن الأمراء من أبناء الأسر الإقطاعية الجورجية العريقة بسبب طمعهم في الاستيلاء على عرش المملكة واغتصابه من الورثة الشرعيين، مما زاد من حالة الضعف والوهن التي عمت المملكة في فترة الصراع بين الملك داؤد الخامس وداؤد السادس[2] كما لا يمكننا تجاهل آثار السيطرة المغولية على المملكة واستغلال اقتصادياتها.

وفي نهاية المطاف والحديث بصدد الأسباب الداخلية التي أدت إلى انهيار مملكة جورجيا، لا يفوتنا ذكر أمرين مهمين كانا من الأسباب الداخلية المهمة بل والرئيسة وهما الأول:تولي عدد من الملوك الجورجيين للعرش وهم صغار السن كالملك داؤد السادس والاسكندر الأول وديمتري الثالث وغيرهم، فكان هؤلاء الملوك يجهلون الأمور السياسية والخبرة الكافية لحكم المملكة، مما اطمع فيهم الأمراء الكبار الذين اخذوا بالتسلط على أمور الدولة [3].

أما الأمر الثاني والاهم: فهو قيام الملك الاسكندر الأول في نهاية عهده بتقسيم المملكة إلى ثلاث مناطق نصب على كل واحدة منها أحد أولاده الثلاثة، فأصبح كل واحد منهم مستقلاً عن الآخر في حكم مقاطعته، مّما أدى إلى ازدياد الصراع الداخلي بين الأمراء والملوك أنفسهم من أجل الاستحواذ على مناطق نفوذ الطرف الآخر، فكان

---

(1)العريني، المغول، ص 189، 192،203 ؛ رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية: 3/ 678.

(2) Saunders , History Of The Mongols , Pp. 79, 98 ; Polo , The Traviles , P. 17

(3) عزت، تأريخ القوقاز، ص 40-41 ؛ بارتولد، مادة "تفليس" دائرة المعارف الإسلامية: 4 / 385.





ذلك سبباً في انفصام عُرى الوحدة لمملكة جورجيا وانهيارها، فأصبحت فريسة سهلة للإطماع الخارجية كالفرس والعثمانيين الأتراك وغيرهم [1].

## ثانياً: الأسباب الخارجية

لقد كان للتطورات الخارجية التي طرأت على الساحة السياسية خلال الحقبة (620-656هـ/ 1223-1258م) دورٌ كبيرٌ في إضعاف المملكة سياسياً واقتصادياً بل وحتى اجتماعياً، مّما أدى إلى اضمحلالها وخاصةً بعد أن ازدادت الأخطار الخارجية التي بدأت تتعرض لها المملكة والتي تمثلت بهجمات الخوارزميين الذين عزموا على توسيع ممتلكاتهم على حساب القوى المجاورة في بلاد القوقاز كمملكة جورجيا وغيرها [2] وذلك من أجل تأمين الأراضي الإسلامية من أخطار الغارات المعادية والمتكررة من تلك الجهات، وخاصة بعد أن أخذ المسلمون ينظرون إلى الخوارزميين نظرة المخلص لهم من الأخطار الخارجية المحدقة ببلادهم، بل المنقذ لهم الأوضاع المتردية التي عمت البلاد آنذاك، ولاسيما بعد أن فرض الخوارزميون نفوذهم على منطقة أذربيجان واتخذوا من عاصمتها تبريز قاعدة عسكرية متقدمة لمهاجمة الأراضي الجورجية[3].

وعلى الرغم من ظهور الخطر المغولي الذي بدأ يهدد ممتلكات الخوارزميين مع بدايات القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي [4] هذا من ناحية [5] وظهور الخطر المغولي الذي اجتاح بلاد المشرق منطلقاً من الجهات الشمالية الشرقية لآسيا من ناحية

---

(1) عزت، نفسه، ص 41 ؛ محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي (بيروت: 1993م)، ص 261.

(2) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص 19.

(3) العريني، المغول، ص 168.

(4) نفسه، ص 168 ؛ Saunders , the history of Mongols , p. 78.

(5) سيتم الحديث بالتفصيل عن العلاقات الجورجية ـ الخوارزمية ضمن مبحث خاص من هذا الفصل.

أخرى [1] مستخدماً كل وسائل التخريب والدمار من قتل وسلب ونهب لأي شعب من الشعوب التي يمر بها [2].

وبعد أن أتم المغول مهمة السيطرة على بلاد القوقاز، أصبح الطريق مفتوحاً أمامهم إلى مملكة جورجيا، فاحتلوها على الرغم من المقاومة التي أبداها الجورجيون من أجل صد الهجمة الشرسة التي تعرضوا لها، فما كان من الملوك الجورجيين الذين أدركوا عدم مقدرتهم على مواجهة المغول بسبب الظروف التي كانت تمر بها مملكتهم إلا أن خضعوا للمغول الذين احتلوا بلادهم، ومقابل تلك التبعية ترك المغول أمور إدارة الشؤون الداخلية لهم على أن يشترك هؤلاء الملوك معهم بقوات جورجية تساهم في العمليات العسكرية المغولية، وهذا ما ترجم فعلاً في عهد الملك داؤد السادس ومن ثم تلاه في ذلك ولده الملك ديمتري الثاني، الذي بلغ به الضعف أن أعلن تبعيته للمغول منذ بداية توليه الحكم مباشرةً بل واشترك معهم في حروبهم مما أرهقَ كاهل المملكة ودهورَ اقتصادها من دون جدوى [3]، وعلى الرغم مما بذله الملك ديمتري الثاني من متطلبات الطاعة للمغول، فأنه لم يحصل على رضا خاناتهم، إذ قُتِلَ على يد ارغون خان وصودرت أمواله في سنة 688هـ/ 1289م، وقام المغول بتنصيب عدد من ملوك الجورجيين وخلعهم خلال السنوات الثلاث التي تلت مقتل الملك ديمتري الثاني، وذلك لأنهم لم يكونوا بالمستوى المطلوب من الطاعة لهم.

تولى الملك داؤد السابع (691- 701هـ/ 1292-1301م) بعد أن سادت الفوضى السياسية، فحاول كسب ود المغول ورضاهم بشتى الطرق من خلال اشتراكه معهم في جميع حروبهم، وعلى ما يبدو إنه تمكن فعلاً من كسب ود خانات المغول وأمرائهم من

---

(1) صبرة، دراسات، ص 478.

(2)علاء محمود خليل قداوي، المغول في الموصل والجزيرة (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب - جامعة الموصل: 1985م)، ص40 - 47 ؛

I. F. Peisker , The Asiatic Bock Groun ,In Cam.Med.His.(Cambridge:1967):1 /350

(3) Boyle ,Dynastic And Political History Of The Il. – Khans, In Cam. Of Iran: 5 /328.





خلال ما بذله من طاعة، ومما يدلل على ذلك استمراره في حكم البلاد لمدة تسع عشرة سنة من دون أن يتعرض للخلع أو القتل ومصادرة الأموال، كما حل بسلفه أمثال الملك ديمتري الثاني، و بعد وفاة الملك داؤد السابع سنة 701هـ/ 1301م استمر الوضع السياسي السيء يعم المملكة بسبب الاضطهاد المغولي وقيامهم بتنصيب الملوك وعزلهم حسب ما يتفق مع مصالحهم من دون الاهتمام بمصلحة المملكة[1] فضلاً عن تعيين الأمراء التابعين لهم كحكام عسكريين عامين لها واستبدالهم بين الحين والآخر [2] مّما أدى إلى انحطاط مملكة جورجيا وضعفها بشكل أكبر عّما كانت عليه في بداية السيطرة المغولية[3] على الرغم من قيام سلطنة المماليك البحرية [4] في مصر اثر دحرهم للمغول في معركة عين جالوت [5] في سنة 658هـ/ 1260م [6] فأصبحت تمثل الند والمنافس الأكبر

---

(1) صبرة، دراسات، ص510 ـ 511.

(2)رشيد الدين فضل الله الهمذاني، جامع التواريخ، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، (القاهرة: د/ت): مج2 / ج2 / 74.

(3)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. Med. His.: 4 / 627.

(4) قامت دولة المماليك البحرية الأولى في سنة 648هـ/ 1250م ، وانهارت في سنة 784 هـ/ 1382م، فقامت على أنقاضها الدولة المملوكية الثانية (الجراكسة). للمزيد من التفاصيل عن قيام دولة المماليك البحرية وأصلهم وسبب تسميتهم بالبحرية. ينظر: أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام (بيروت: 1969م) ؛ انطوان خليل ضومط، الدولة المملوكية التأريخ السياسي والاقتصادي والعسكري 1290–1422م(بيروت:1982م) ؛ علي حسني الخربوطلي، مصر العربية الإسلامية (القاهرة: 1963م).

(5) عين جالوت: من المعارك الفاصلة في التأريخ ، وقعت بين القوات المغولية بقيادة كتبغا، أحد أمراء هولاكو وبين القوات المملوكية التي يقودها السلطان قطز وبيبرس البندقداري في يوم الجمعة الخامس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة 658هـ/ 1260م، فحقق فيها المماليك نصراً باهراً على المغول وكسروا الأسطورة القائلة بأن المغول قوم لا يهزمون، وحرر المماليك إثرها بلاد الشام من الاحتلال المغولي. ينظر: ابن أيبك، كنز الدرر: 8/ 49.

(6) الذهبي، العبر: 5 / 225 ؛ المقريزي، السلوك: ج1 / ق1 / 213.

للمغول فبقي الوضع على ذلك المنوال حتى سنة 790هـ/ 1388م حتى الغزو التيموري الذي اجتاحها مخلفاً فيها الدمار والويلات مدمرا كل ما يقع في طريقه من المدن والقرى الجورجية، وفرض عليها الجزية واستخدم القتل والاضطهاد ضد شعبها وملوكها [1]، كما كان للمستجدات على الساحة السياسية آنذاك، وظهور قوى أخرى متنافسة من أجل مدّ مناطق نفوذها وتوسيعها كالفرس والعثمانيين والروس دورٌ كبيرٌ في انهيار مملكة جورجيا وسقوطها بعد أن رزحت تحت سيطرتها ما يقرب الثلاثة قرون، فهيمنت تلك القوى على مقدراتها الاقتصادية والبشرية وكانت وراء انهيارها [2].

---

(1) الدمشقي، شذرات الذهب: 3 / 345 ؛ المقريزي، نفسه: ج3/ ق 2 / 787-788.

(2) ينظر: المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص291 ؛ علي سلطان، تاريخ الدولة العثمانية (ليبيا: د/ت)، ص 41.





## المبحث الثاني

## السياسة الخارجية وأثرها في انهيار المملكة

### أولاً. العلاقات الجورجية . الخوارزمية ( 596 ـ 626هـ/1199- 1228م )

إن الغارات الصليبية الكثيرة التي شنها الجورجيون على المسلمين والتعاون الصليبي المغولي الذي أُشيرَ إليه [1] من قبلُ دفع المسلمين في بلاد القوقاز للتطلع إلى الدولة الخوارزمية كقوة إسلامية جديدة، ربما تتمكن من وقف ذلك التحدي للمسلمين في مشرق العالم الإسلامي آنذاك.

وقد أدى الخوارزميون دوراً واضحاً في تأريخ المسلمين يمكن تحديد مساره تِباعاً بعد التقديم وبصورة موجزة عن الخوارزميين حيث كان لهم التأثير الواضح على سير الاحداث.

قامت الدولة الخوارزمية في النصف الأول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بعد أن أعلن خوارزمشاه أتسز (538-551هـ/ 1143- 1156م) استقلاله عن السلاجقة بشكل تام في سنة 538 هـ / 1143 م، إذ كانت الظروف التي يمر بها السلاجقة مؤاتية للخوارزميين مما مكّنهم من توسيع دولتهم، وبعد وفاة خوارزمشاه اتسز في سنة 551هـ/ 1156م تولى السلطة من بعده ولده آيل ارسلان (551-568هـ/ 1156-1173م)[2] فسار الأخير على نهج والده في تطبيق سياسته التوسعية وتثبيت أركان دولته، فأبتدأ بالقضاء على مناوئيه وقتل بعض أعمامه وسمل عيني أخيه الذي توفي بعد ثلاثة أيام وقيل انه انتحر، كما حرص في الوقت ذاته على أن لا يقتصر نفوذه على إقليم خوارزم فقط بل عمل على توسيعه إلى مناطق أخرى، وخاصةً إقليم

---

(1) العريني، المغول، ص169.

(2) نافع توفيق العبود، الدولة الخوارزمية، (بغداد: 1978م)، ص27 ـ 32.





خراسان[1] ونجح في تحقيق ذلك فأقيمت له الخطبة في جرجان وغيرها من مدن الإقليم واستمر على ذلك الحال حتى وفاته في إحدى غزواته على بلاد الخطا [2] سنة 568 هـ/ 1173م اثر إصابته بمرض شديد ألمّ به[3].

وبعد وفاة آيل أرسلان دب الصراع بين ولديه سلطان شاه وعلاء الدين تكش (568-596هـ/ 1173-1199م) من أجل تولي الحكم، وأسفر ذلك الصراع عن تولي الأخير لأمور الحكم في الدولة فسار على نهج أسلافه، ونجح في ضم خراسان وأجزاء من بلاد القوقاز كاذربيجان إلى دائرة نفوذه مستغلاً انقسام الأمراء السلاجقة الاخرين على أنفسهم [4] مما أدى إلى نشوء النزاع بينه وبين الخلافة العباسية حول تلك المناطق، ومما زاد الامر تعقيداً ان السلطان علاء الدين تكش أرسل إلى الخليفة العباسي الناصر لدين الله في سنة 590هـ/ 1195م طالباً منه منحه لقب السلطنة، وإعادة دار السلطنة التي هدمها الخليفة إلى ما كانت عليه أيام السلاجقة إلا أن الخليفة العباسي الناصر لدين الله رفض طلبه لإدراكه التام بان اتخاذ مثل ذلك الأجراء سوف يعيد التسلط الأجنبي إلى بغداد.

---

(1) نفسه، ص27 ـ 32.

(2) الخطا: قبائل وثنية تركية الأصل قطنت بلاد ما وراء النهر، واتخذت من بخارى عاصمة لها، ودخلت في صراع مع الخوارزميين والغوريين في بلاد الهند،إلا أنها اضطرت في نهاية الأمر إلى التخلي عن بخارى أمام انتصارات الخوارزميين في سنة590 هـ/ 1195م. ينظر: العبود، الدولة الخوارزمية، ص 30ـ33.

(3) ابن الأثير، الكامل: 11/ 377.

(4) العبود، الدولة الخوارزمية، ص34 ؛ حمدي، المغول، ص167.

كما نجح في انتزاع بخارى من الخطا في سنة 594هـ / 1197م بعد أن انتصر عليهم فضلاً عن وضعه حداً لخطر الإسماعيلية [1] الذي بدأ يهدده، فحاربهم ونجح في تحديد نفوذهم ضمن قلاعهم الخاصة بهم التي امتازت بالحصانة والمنعة [2].

توفي تكش في سنة 596 هـ / 1199م فتولى السلطة من بعده ولده علاء الدين محمد (596 – 617 هـ / 1199 – 1220م) فبلغت الدولة الخوارزمية أوج قوتها في عهده [3] إلا إنها لم تلبث أن تعرضت للغزو المغولي بقيادة جنكيز خان في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي [4] ونجحت القوات المغولية في إلحاق الهزيمة بالخوارزميين واضطر علاء الدين محمد إلى الهروب، فتابعته تلك القوات إلا أنها لم تفلح في إلقاء القبض عليه، فالتجأ إلى أحد جزر بحر قزوين [5] التي بقي فيها ما يقارب الشهر حتى توفي في سنة 617 هـ / 1220 ـ 1221م ((التجأ إلى أحد جزر بحر قزوين ولم يستطع المغول اللحاق به، وأخيرا مات

---

(1) الإسماعيلية: ظهرت الدعوة الإسماعيلية منذ عهد الإمام جعفر الصادق، وازداد نشاطها بعد وفاته سنة 148هـ، وكان يعمل فيها الإمام إسماعيل سراً في حياة أبيه وبمساعدة دعاته الأربع وهو ميمون القداح ومبارك بن جعفر والفضل بن عمر وحمدان بن احمد، وانتقل مركز الدعوة في عصر الإمام محمد بن إسماعيل إلى (سملا) التي أطلق عليها فيما بعد اسم محمد اباد نسبة إليه، واستقر محمد بن اسماعيل اخيراً في تدمر وانتقل مركزها في عهد ولده احمد الوفي إلى مدينة سلمية في سوريا، التي أصبحت في عهدِهِ = = == مركز الدعوة ودار لهجرة الأئمة المسورين، ومن ثم تحولت الدعوة من أجل تأسيس دولة إسماعيلية في عهد ولده رضي الدين عبد الله الذي توجه إلى المغرب واعلن الخلافة الفاطمية هناك، وبذلك قامت الدولة الفاطمية في سنة 375هـ . للمزيد من التفاصيل عن الإسماعيلية من حيث نشاطها وتسمياتها ودورها السياسي خلال تلك الحقبة. ينظر: دريد نوري، سياسة صلاح الدين: ص 362-389.

(2) العبود، الدولة الخوارزمية، ص34.

(3) محمد صالح القزاز، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية (النجف: 1963م)،ص235.

(4) محمد يونس فلح القصاب، مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية بالمماليك والايلخانيين (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الاداب ـ جامعة الموصل: 2005م)، ص 23.

(5) ابن أيبك، كنز الدرر: 7 / 244.





السلطان الخوارزمي في الجزيرة بعد شهر مـن وصـوله)) [1]، واكتـسح المغـول بعـد ذلـك اراضي الدولة الخوارزمية بشكل كامل [2].

تولى الحكـم ولـده الـسلطان جـلال الـدين منكبرتـي (617 – 628هـ / 1221 – 1232م) اثر عودته مع حاشيته من بلاد الهند [3] وكان مشتت الفكر ولا يمتلك خطة عمـل واضحة يسير بموجبها، وحائراً في التوجه للانتقام من المغـول والـتخلص مـن خطـرهم أم التوجه لتأديب الجورجيين والحد من أطماع ملوكهم أم كـبح جمـاح أطمـاع أمرائـه وأهلـه الذين بدأوا يخشونه[4].

وتميز السلطان جلال الدين عن سائر الأمراء المسلمين من خلال عرض نفسه على الخلافة العباسية، وكان ذلـك سـبباً في دخولـه في نـزاع مـع الخلافـة العباسـية مـن أجـل الحصول على لقب السلطنة، فشكل جيشاً كبيراً وسيطر على العاصـمة أذربيجانيـة تبريـز، واتخذ منها عاصمة له وقاعدة متقدمة للوثوب إلى مملكة جورجيا [5] يدفعه إلى ذلـك تحقيـق هدفين: الأول إيقاف هجماتها على الأراضـي الجـاورة، وتوسـيع ممتلكاتـه ثانيـاً [6] وكـان ذلك يقف وراء نشوء العلاقات الجورجية الخوارزمية .

إن مـا قـدمناه ضـمن الفـصول الـسابقة مـن الأطروحـة حـول العلاقـات المتباينـة للجورجيين مع القوى الإسلامية المتعددة مستغلين حالة الضعف والانقسام الـتي دبـت في جـسم الدولـة الإسـلامية للنيـل منهـا، إذ قـاموا بالعديـد مـن الغـارات علـى الأراضـي الإسلامية المجاورة لهم ومارسوا شتى أعمال الدمار والتخريب من قتل وسلب ونهب، مما دفع جلال الدين خوارزمشاه منذ بداية توليه السلطة إلى توجيه الضربات لمملكة جورجيا

(1) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين: ص 15.

(2) نفسه، ص 90-91، 118، 170 ؛ ابن خلدون، تأريخ ابن خلدون: 5 / 518-519.

(3) ابن الأثير، الكامل: 12 / 156.

(4)ابن الأثير، الكامل: 12/ 156-157.

(5) ابن الأثير، نفسه: 12 / 156-158 ؛ العريني، المغول، ص168.

(6)النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص19.





الواحدة تلو الأخرى من أجل كبح جماح ملوكها، وللحد من غاراتهم على بلاد المسلمين من ناحية والتوسع على حسابها من ناحية أخرى، فـأدرك الجورجيـون خطـورة مـوقفهم، وحاولوا الخروج من ذلك المأزق بأي طريقة كانت حتى وان استوجب السلام والمصالحة مع أعداء الامس، فأرسلت روسودان ملكة جورجيا في سنة 622هـ/ 1225م إلى أزبك صاحب أذربيجان تدعوه إلى التحالف من أجل التصدي للغزو الخوارزمي قائلةً لـه: ((إن لم نتفق نحن وأنت وإلا أخذك ثم أخذنا))(1) إلا أن تلك المحاولـة لم تفلـح بسبب مداهمـة جلال الدين خوارزمـشاه لهـم قبـل حـدوث الاتفـاق، فهـاجم كـل مـن مملكـة جورجيا وأذربيجان (2)، وخاصةً بعد أن علم بحقيقة الأوضاع السيئة التي سـادت أذربيجـان نتيجـة لصراع الأمراء من أجل تولي الحكم، ممّا شجع خوارزمشاه على الإقدام على مثل ذلـك العمل فضلاً عن كثرة الغارات الجورجية التي أنهكـت بـلاد أذربيجـان، فاضـطروا إلـى مكاتبة جلال الدين ((فكتبوا إليه أدركنـا فمـا لنـا بالكـرج طـاقة)) (3) فـسار الأخيـر إليهم وأخضعها لسلطته ومنـها توجـه إلى مملكـة جورجيا (4) وخاصـةً بعـد أن أصـبحت متاخمة لمناطق نفـوذه في أذربيجـان مـستغلاً انـشغال الجـورجيين في حـروبهم مـع القـوى الإسلامية الأخرى (5).

لقد هدف جلال الـدين مـن غاراتـه تلـك إلى توجيـه ضـربة تأديبيـة للانتقـام مـن ملوكها لما تعرض له المسلمون على أيديهم مـن غـارات مـدمرة وأعمـال وحـشية كالقتـل والسلب والنهب فأرسل إلى الجورجيين يؤذنهم بالحرب، ويخبرهم بأنه في طريقه إلـيهم إلا أنهم أجـابوه بنوع من الاستهزاء والاستفزاز من خـلال قولهم له: ((إنـنا قد قصـدنا التتر

---

(1) ابن الأثير، الكامل:12/ 431.

(2) الذهبي، دول الإسلام:2/ 126 ؛ ابن خلدون، تاريخ:5/ 125 ؛ المقريزي، السلوك: ج1/ ق1/ 216 ؛ Sykes, Persia, P. 60.

(3) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص144.

(4) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي: 2/ 217 ؛ حمدي، الدولة الخوارزمية، ص176 ـ 177.

(5 ) Boyle ,Dynastic , In Cam. Of Iran: 5 /328.







الذيـن فعلوا بابيك وهو أعظم منك ملكاً وأكثر عسكرا، وأقوى نفساً مـا تعلمـه واخـذوا بلادكم فلم نبال بهم))[1] مما زاد في حنقه عليهم فتقدم إلـيهم بقواتـه البالغـة سـبعين ألفا وهو يحتد غضباً لما أجابوه به، فاسترد مدينـة دويـن المحتلـة مـن قبـل الجـورجيين في وقـت سابق [2] ونجح في تحقيق النصر على القوات الجورجية الـتي كانـت غالبيتهـا مـن المرتزقـة ((وقد جمعوا من الأمم المجاورة لهم مالا يحصى من اللكـز واللان وقفجاق وغيرهـم)) [3] وكبدهم خسائر بشرية وماديــة فادحـة، وقـدر عـدد القتلـى الجـورجيين في تلـك المعركـة بحوالي عشـرين ألف وبلغ عدد الأسـرى أكثر من ذلـك ((فالـذي تحققنـا انـه قتـل منـهم عشرون ألفـا، وقيل أكثر من ذلك))[4].

وفضلا عن الغنائم الضخمة التي جنتها القـوات الخوارزميـة، اضـطر إيـواني قائـد الجيش الجورجي إلى الهرب وترك ساحة المعركة، ومن ثمة انسحب السلطان جلال الـدين إلى تبريز تاركاً أخاه غيـاث الـدين علـى رأس الجنـد، ويرجـع سـبب انـسحاب الـسلطان جلال الدين إلى بعض الظروف الداخلية، وتآمر بعض الأمراء في أذربيجـان، كأزبـك بـن محمد البهلوان ونائبه على تبرز نظام الملك الطغرائـي وعمـه شمـس الـدين الـذين سـعوا للانقلاب عليه للتخلص منه ومن تبعيتهم له منتهـزين فرصـة غيابـه في جورجيـا [5] فعـاد جلال الدين إلى تبريز على عجل لإقرار الأوضـاع، فقـبض علـى نظـام الملـك الطغرائـي وأصحابه فقتلهم، وصادر أملاك عمه البالغة ما يقارب مئة ألف دينـار، وحبسه في مراغـة ففر منها إلى أزبك [6] كما إن مقاومة الجورجيين وقسوة المناخ والظـروف الطبيعيـة، حيـث

---

(1) ابن الأثير، الكامل: 12/ 435.

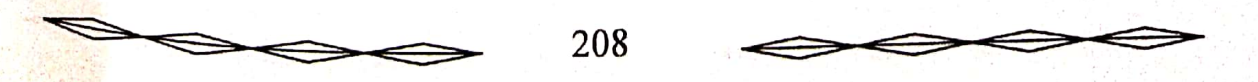
(2) *Boyle ,Dynastic And Political History Of The IL – Khans , In Cam. Of Iran: 5328 /.*

(3) الملك الأشرف، العسجد المسبوك: 1 / 406.

(4) ابن الأثير، الكامل:12/ 435 ـ 436؛ الملك الأشرف، العسجد المسبوك : 1 / ص405.

(5) ابن الأثـير ، نفسه: 12/ 36 ـ 37؛ ابـن خلـدون، تـأريخ ابـن خلـدون: 5/ 136 ؛ حمـدي، الدولـة الخوارزمية، ص178 ؛ التكريتي، الأيوبيون، ص290.

(6) ابن خلدون، نفسه: 5/ 137.



امتاز شتاء القوقاز بالبرودة الشديدة، كان لهما ابلغ الأثر في إعاقة تحركات الجيش الخوارزمي [1] فأدت تلك الأسباب مجتمعةً إلى تأخير فتح مدينة تفليس إلى السنة التالية، إذ سار إليها ودخلها في 8 ربيع الأول سنة 623هـ / الموافق 9آذار سنة 1226م [2] وجنى منها قدراً كبيراً من الغنائم ((والتقى خوارزم شاه بالكرج فهزمهم واخذ تفليس بالسيف وكانت اذ ذاك دار ملكهم ولها في ايديهم اكثر من مئة سنة)) [3].

وأثناء فتح المدينة وجد جلال الدين ابن صاحب ارضروم السلجوقي مسجوناً من قبل زوجته ملكة جورجيا بعد ان تنصّر وتزوجها فحرره من سجنه [4] ومن ثمة اكمل جلال الدين سيره إلى مدينة آني عاصمة أرمينيا الكبرى، والواقعة تحت التبعية الجورجية آنذاك، وخاصةً أن إيواني قائد الجيش الجورجي قد التجأ إليها هو ومن بقي معه من الجورجيين بعد هزيمتهم أمام الخوارزميين وفرارهم من ساحة المعركة سنة 622هـ / 1225م، فحاصرها جلال الدين وسيَّرَ بعض قواته إلى مدينة قرص ذات الموقع الحصين فضرب عليها حصاراً، إلا أن موقعها وقوة تحصيناتها مكنتها من الصمود أمام الحصار الخوارزمي لعدة اشهر، مّما اضطر جلال الدين إلى مغادرتها بعد أن أدرك عدم جدوى فرض الحصار وإطالته، ومن ثمة عاد على رأس قواته إلى عاصمته تبريز [5] فوجد ابن صاحب ارضروم أن الفرصة سانحة للهروب فأرتد عن الإسلام مرة أخرى وهرب إلى

---

(1) Boyle , Dynastic And Political History Of The IL – Khans , In Cam. Of Iran: 5 / 328.

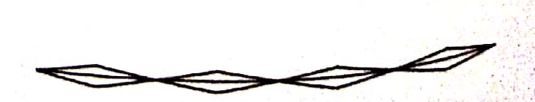
(2) أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني، التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، (د/ م: د/ ت):1/ 338 ؛ابن الأثير، الكامل:12/ 435 ؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص190، 212.

(3) الذهبي، العبر: 5 / 93. ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: 5 / 137.

(4) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص293

(5) الملك الأشرف، العسجد المسبوك: 1 / 423.





الجورجيين لعله يكسب رضى ملكتهم فاخبرهم عن قلة القوات الخوارزمية الموجودة في تفليس[1].

بعد عودة جلال الدين خوارزمشاة إلى تبريز ترك وزيره شرف الملك مقيماً في تفليس فاستمر الأخير في شن الغارات على المناطق الجورجية الأخرى، وأسر في أثناء ذلك ثلاثة من

كبار الأمراء الجورجيين ومن بينهم الأمير شلوة [2] فقرر الوزير إطلاق سراحهم مقابل فدية مالية كبيرة تقدر بعشرين ألف دينار إلا أن جلال الدين رفض ذلك قائلاً ((لو كنت ارغب ببيع عدوي لجمعت من الكرج أموالا لا تأكلها النار)) [3] فأمر وزيره بإرسالهم إليه.

أرسل الوزير شرف الملك الأمراء الأسرى إلى العاصمة تبريز، وبينما هم فيها اكتشف جلال الدين رسالة أرسلها أسيره الأمير شلوة إلى الأمراء الجورجيين في ابخازية محذراً إياهم عن عزم السلطان على مهاجمتهم، إلا أن تلك المحاولة لم يكتب لها النجاح، إذ وقع حامل الرسالة في قبضة جلال الدين، فأمر بقتله[4].

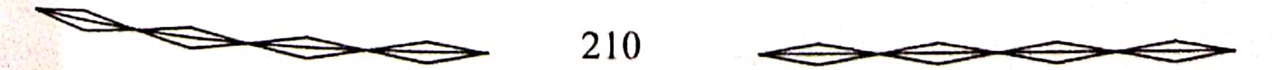
أرسل السلطان جلال الدين إلى الملكة روسودان في سنة 624 هـ/ 1226م محذراً إياها من القيام بأي أعمال عدائية أو الإغارة على بلاد أذربيجان، بعد أن شكى إليه

(1) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص 293.

(2) في حين يشير ابن واصل إلى أن مقدم العسكر كان إيواني وليس شلوة، والراجح انه شلوة وليس إيواني كما أشار ابن الأثير ، وربما وقع ابن واصل في اللبس بين هذه الرواية وحادثة اسر الأمير إيواني على يد الملك الأوحد في سنة 607 هـ/ 1209م، هذا فضلاً عن كون ابن الأثير اقرب زمنياً إلى الحدث من ابن واصل بل أن ابن الأثير كان معاصراً له. ينظر: ابن الأثير، الكامل:12/ 435 ؛ ابن واصل، مفرج الكروب:، 3/ 201 ؛ أبو الفدا، المختصر: 3/ 113.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 36 ـ 37؛ ابن الأثير، نفسه:12/ 449 ـ 450 ؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص214.

(4) صبرة، دراسات، ص466.



صاحبها أزبك من غارات الجورجيين واستيلائهم على أطراف بلاده، فكتب جلال الدين إلى الملكة روسودان قائلاً: ((إنها صارت كإحدى ممالكه الخاصة)) [1].

وفي السنة ذاتها أعدّ الجورجيون العدة لمهاجمة مدينة تفليس واستردادها من أيدي الخوارزميين ويدفعهم في ذلك عدة أمور كقلة القوات الخوارزمية الموجودة في المدينة كما أشرنا من ناحية، وللحد من غارات الخوارزميين على الأراضي الجورجية من ناحية أخرى فضلاً عن أسباب أخرى شجعتهم على ذلك منها سوء المعاملة التي لقيها سكان جورجيا من قبل نائب السلطان وعساكره المقيمة في المدينة ليس الجورجيون منهم فحسب بل تعداه إلى السكان المسلمين، فقد أشار ابن الأثير الى ذلك قائلاً: ((وكان عسكره قد أساءوا السيرة في الرعية بتفليس، وهم مسلمون وعسفوهم، فكاتبوا الكرج يستدعونهم إليهم ليملكوهم البلد، فأغتنم الكرج ذلك لميل أهل البلد إليهم، وخلوه من العسكر، فاجتمعوا وكانوا بمدينتي قرص وآني وغيرهما من الحصون، وساروا إلى تفليس)) [2] لقد اختلف كل من ابن الأثير والنسوي في ذكر سبب مهاجمة الجورجيين لمدينة تفليس، وبعد استقراء الروايتين، وجدنا أن السببين كانا مجتمعين في إقدامهم على مهاجمتها.

سارت القوات الجورجية إلى تفليس، فاضطر الأمراء المسلمون الموجودين فيها إلى إخلاء المدينة لقلة ما معهم من جند، وعدم مقدرتهم على مواجهة الهجوم الجورجي فدخلها الجورجيون وأحرقوها ثم انسحبوا عنها لإدراكهم التام بعدم مقدرتهم على حفظ المدينة أمام القوات الخوارزمية التي سار بها جلال الدين لاسترداد المدينة، وإنزال العقاب بهم على ما قاموا به إلا انه لم يدرك القوات الجورجية قبل انسحابها [3] وكان

---

(1) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص 293 ـ 292.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان: 2/ 36- 37؛ ابن الأثير، الكامل:12/ 217 ـ 218 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون:5/ 129 ؛
Boyle, Dynastic and Political History, In Cam. Of Iran: 5/379.

(3) ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 37.





سبب ذلك التأخر هو انشغال جلال الدين في قتال الأتراك الايوانية[1] والقضاء على تمردهم [2] ولم تخرج سنة 624هـ/ 1226م إلا وقد احكم جلال الدين خوارزمشاه سيطرته على بلاد أذربيجان وآران وبعض المناطق الجورجية المجاورة لبلاده [3].

لم يكتفِ الجورجيون بالإغارة على مناطق نفوذ الخوارزميين، وإنما تعدوه إلى إعاقة جهودهم في تحرير المناطق الأخرى، كما هو الحال في سنة 626هـ/ 1228م عندما كان السلطان جلال الدين مقيماً في موقان الاذربيجانية - الواقعة على الحدود الجورجية - فأرسل الأمير كوج آيه ككخان إلى منطقة لوري الواقعة في أرمينيا الكبرى فدخلت تلك القوات إلى الأراضي الأرمنية ووصلت إلى بحيرة بتاخ [4] فآرتأى الأمراء المسلمون السير في خطين، اتخذ الأول الجانب الشرقي من البحيرة، وسار الثاني على الجانب الغربي، فباغتهم الجورجيون ليلاً أثناء مبيتهم، مّما أدى إلى ارتباكهم، فرجحت كفة القوات الجورجية التي أوقعت خسائر فادحة في صفوف القوات الخوارزمية المقيمة على الجانب الغربي، إذ قتل معظمها واضطر القسم الآخر إلى الانسحاب عائداً إلى بلاده ، وعلى ما يبدو أن الخطة التي اتبعتها القوات الخوارزمية كانت سبباً في هزيمتها أمام الجورجيين، إذ إن انقسامها إلى قسمين أدى إلى إضعافها وجعل كل قسم منها غير قادرٍ على مواجهة القوات الجورجية بمفرده [5].

---

(1) الايوانية: عشيرة ذات أصل تركماني.ينظر: ابن الأثير، الكامل:10/ 360 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية:13/ 112.

(2) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، 217 ـ 218 ؛

Boyle, Dynastic and Political History, In Cam. Of Iran: 5 /379.

(3) أبو الفدا، المختصر: 3/ 137.

(4) ينفرد النسوي في ذكر تسمية البحيرة، والاعتقاد الأكبر أن هذه البحيرة هي بحيرة وان الأرمنية، وهي أكبر بحيرة فيها. ينظر: سيرة السلطان جلال الدين، ص 292.

(5) النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص292.



لقد أغضبت تلك الهزيمة جلال الدين خوارزمشاه، فقرر الرد على ما قام به الجورجيون والانتقام لما حل بجنوده، وخاصةً عندما وردت إليه أخبار إعداد الملكة روسودان حملة عسكرية لمهاجمة الدولة الخوارزمية، ويبدو أن الانتصار الذي حققته القوات الجورجية في معركة البحيرة الأولى قد شجع الملكة روسودان على تجهيز حملة عسكرية أخرى لمهاجمة الأراضي الخوارزمية، الأمر الذي تطلب معه قيام جلال الدين بالسير بنفسه على رأس حملة عسكرية ضخمة من أجل رد القوات الجورجية، وكبح جماح الملكة روسودان، فالتقى جلال الدين بالقوات الجورجية عند البحيرة ذاتها، وألحقَ بهم هزيمة نكراء وقتل واسر عدداً كبيراً منهم، واضطر الأمير إيواني قائد الجيش الجورجي إلى الفرار، وأصبح ما معه من متاع وأموال ودواب غنيمة لجلال الدين خوارزمشاه، وتوجه جلال الدين اثر تلك المعركة إلى منطقة لوري، فأرسل إلى الجورجيين الموجودين فيها يطالبهم بالأسرى المسلمين الذين أُسروا في ليلة معركة البحيرة الأولى، ولم يكف عن المطالبة بهم إلا بعد أن اقسموا له بأغلظ الأيمان بعدم وجود أسرى مسلمين لديهم [1].

ونخلص من ذلك إلى ظّن جلال الدين بوجود أسرى لدى الجورجيين، وكان سبب ذلك الظّن عدم نجاة أي شخص من تلك المعركة، وهذا ما دعاه إلى الإلحاح في المطالبة بالأسرى.

كما وصلت رسل أمير كنجة في السنة ذاتها إلى السلطان جلال الدين، يطلب العون والنجدة لصد غارات الأمير بهرام الجورجي أمير المنطقة المجاورة لكنجة الذي افرط في الإغارة على المدينة وأعمالها، فسار جلال الدين خوارزمشاه إلى أراضي الأطراف الجورجية، فدخلها وغنم منها أموالاً كثيرة، وقتل وأسر عدداً كبيراً من الجورجيين، ومن ثمة زحف إلى القلاع الجورجية الجبلية الحصينة كقلعة شكان وعليا باذ ودخلها عنوة فهدم تحصيناتها وأضرم النيران فيها حتى لا تصبح قاعدة تنطلق منها

(1)النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص292 ـ 293.

القوات الجورجية لمهاجمة الأراضي الخوارزمية، كما دخل البعض منها صلحاً بعد أن حاصرها ثلاثة أشهر كقلعتي كال وكوارين [1].

لم يكن النجاح الذي حققته الدولة الخوارزمية دائمياً والذي تمثل في إحكام سيطرتها وتوسيع دائرة نفوذها على حساب القوى المجاورة سواء الإسلامية أم غير الإسلامية كمملكة جورجيا، ويرجع ذلك إلى اجتماع الأسباب الداخلية والخارجية معاً، والمتمثلة بحالة الضعف والانقسامات والتمردات التي قام بها العديد من الأمراء [2] وخاصةً بعد مرض جلال الدين ووفاته من ناحية وما استجد من ظروف خارجية، كازدياد النشاط المغولي وصراعه مع الخلافة العباسية والقبائل التركمانية الأخرى في بلاد القوقاز من ناحية أخرى فكان ذلك إيذانا بانتهاء دولتهم.

أما فيما يتعلق بالجانب الجورجي، فان ما عانته مملكة جورجيا من دمار على أيدي الخوارزميين من جراء غاراتهم المتتالية عليها، كان سبباً في إضعاف قوتها، مما اضطر ملوكها وخاصةً الملكة روسودان إلى السعي من أجل تجنيب بلادها ويلات الحروب والدمار بأي طريقة كانت[3] وخاصةً بعد تعرضها للغزو المغولي، فأعلنت عن تبعيتها للمغول وبذلك انتقلت مملكة جورجيا إلى مرحلة جديدة، كانت تمثل نقطة تحول في مسارها السياسي وهذا ما سنوضحه فيما بعد بشكل مفصل أثناء دراسة العلاقات الجورجية المغولية.

## ثانياً : العلاقات الجورجية ـ المغولية (617- 702هـ/1221- 1302م)

لقد تزامنت الأوضاع الداخلية السيئة التي عاشتها مملكة جورجيا في بداية القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، مع ازدياد الأخطار الخارجية التي هددت أمنها وضياع استقلالها، وخاصةً خطر الغزو المغولي الذي اجتاح بلاد المشرق منطلقاً من

(1) نفسه، ص293.

(2) ابن خلدون، تاريخ، ج5، ص129.

(3) *Cahen, Pre – Ottoman, P. 130.*

الجهات الشمالية الشرقية لآسيا، ومستخدماً كل أسباب التخريب والدمار من قتل وسلب ونهب، ولأي شعب من الشعوب التي يمر بها، ولفهم طبيعة ذلك الغزو وماهية العلاقات الجورجية المغولية لابد من تقديم نبذة قصيرة عن تلك الأقوام من حيث اصولها ونشأتها وطبيعة البيئة القاسية التي كانت تعيش فيها.

والمغول ـ كما هو معروف ـ أقوام رعوية امتازت بالهمجية والطابع التخريبي ويرجع ذلك إلى قساوة البيئة والمناخ اللتين نشأت فيهما، إذ إنها قطنت الهضبة المنغولية الواقعة في أواسط آسيا إلى الشمال من التبت وغربي منشوريا في أقصى الشرق، وهي أقوام ترجع إلى أصول تركية [1] وأكد ذلك مؤرخ المغول رشيد الدين الهمذاني قائلاً: ((فان المغول صنف من الأتراك)) [2] وعانت تلك الأقوام من حالة تفكك سياسي، وفوضى عمتها جميعاً بسبب الحياة القبلية التي كانوا يعيشونها من ناحية وعدم وجود قانون ثابت يتم الرجوع إليه من ناحية أخرى [3] وأثناء ذلك ظهر زعيم قوي كان بمثابة المنقذ لهم من تلك الحالة المتردية، ويسمى تموجين [4] ونجح في توحيد تلك الأقوام بعد كفاح طويل، وعيَّنَ نفسَهُ خاقاناً في سنة 603هـ/ 1206م [5] وأطلق على نفسه تسمية

---

(1) ابن الأثير، الكامل: 12 / 330 ؛ الهمذاني، جامع التواريخ: مج1 / ج2 / 212 ؛ الملك الاشرف، العسجد المسبوك: 1 / ص 212.

(2) الهمذاني، نفسه: مج1 / ج2 / 212.

(3) بارتولد، تأريخ الترك في اسيا الوسطى، ترجمة: سعيد سليمان (القاهرة:1958م)، ص 86.

(4) تموجين: هو تموجين بن يسوكاي ولد في سنة 549هـ/ 1155م وسمي بذلك الاسم تيمنناً بحاكم التتار الذي اسر على يد والد يسوكاي بعد الهزيمة التي الحقها بقوات حاكم التتار، وكان ذلك تخليداً لما حققه من انتصار، توفي والده وهو في الثالثة عشرة من عمره. ينظر: م. م. الرمزي، تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار (اورنبورغ: 1908م): 2 / 345.

(5) للمزيد من التفاصيل عن اصل المغول وظهورهم كقوة سياسية وتوسعهم ينظر: القزاز، الحياة السياسية في العراق، ص2 ـ 17 ؛ قداوي، المغول في الموصل والجزيرة ؛ Peisker , The Asiatic Bock Ground , In Cam. Med.: 1 /350.





جنكيز خان وهي كلمة تعني (ابن السماء) [1] فانطلق بها من هضبة منغوليا عبر آسيا وبلاد فارس ووصولاً إلى بلاد القوقاز وجورجيا مدمراً كل ما يقع أمامه من بلاد، وواضعاً مهمة القضاء على القوى الإسلامية وخاصةً الخلافة العباسية نصب عينيه، ابتداءاً بالدولة الخوارزمية والقضاء على الإسماعيلية، فنجح في توطيد سيطرته على بلاد فارس [2] وصولاً إلى مملكة جورجيا ونجحوا في الاستيلاء على المناطق الجبلية [3] وهذا ما ستتطرق إليه مفصلاً.

فبعد أن أتم المغول مهمة السيطرة على بلاد القوقاز، أصبح الطريق إلى مملكة جورجيا مفتوحاً أمامهم، وخاصةً بعد أن فرضوا سيطرتهم على بلاد أذربيجان التي أرسل صاحبها إليهم بالأموال والهدايا والدواب طالباً الأمان، واستبدل تبعيته للخوارزميين بتبعيته للمغول، فدخلوها مع حلول شتاء القوقاز الذي امتاز بالبرودة الشديدة [4].

أصبح الجورجيون بعد احتلال المغول لأذربيجان على المحك معهم، خاصة بعد ان سارت القوات المغولية متوجهة نحو جورجيا بعد احتلالهم لكل ما وقع في طريقهم من بلاد [5] فأخذوا يعدون العدة اللازمة للدفاع عن مملكتهم خشيةً من دوران الدائرة عليهم، ويحل ببلادهم ما حل بالبلاد المجاورة من دمار وتخريب، فكانت المواجهة الأولى بينهما في سنة 617هـ/ 1221م بالقرب من مدينة موقان الأذربيجانية الواقعة على الحدود الجورجية والتي امتازت بسهولها المعتدلة ووفرة مراعيها، فسارت القوات الجورجية البالغ تعدادها عشرة آلاف مقاتل للتصدي لهم إلا أنهم فشلوا في ذلك، ويشير ابن الأثير إلى

---

(1) عبد المنعم رشاد، الرعب الذي احدثه الغزو المغولي، مجلة اداب الرافدين (الموصل: 1971م): 2 / 5-6.

(2) قداوي، المغول في الموصل والجزيرة، ص 40-41.

(3)D. J. Clarkson , History Of Russia From The Ninth Century ( Edinburgh: 1962): 1/ 55.

(4) حمدي، المغول، ص133.

(5) أبو الفضائل الحموي، التاريخ المنصوري، ص 289.

ذلك قائلاً: ((فجاء إليهم من الكرج جمع كثير من العسكر نحو عشرة الاف مقاتل فقاتلوا، فانهزمت الكرج وقتل اكثرهم)) [1] ويرجع السبب في ذلك الى وقوعهم في كمين مغولي، إذ اختفى الأمير شبي مع قسم من قواته في الوادي المؤدي إلى مدينة تفليس الذي امتاز بالعمق والطول بينما التجأ الأمير سوبوتاي إلى خدعة مغولية قديمة وتظاهر بالفرار أمام الجورجيين، وبمجرد وصولهم إلى ذلك الوادي خرجت عليهم قوات الأمير شبي، فوقع الجورجيون بين الأميرين وحلت الهزيمة بهم بعد أن تكبدوا خسائر بشرية ومادية فادحة [2] وتوجه المغول اثر ذلك إلى سواحل بحر قزوين الدافئة من أجل قضاء فصل الشتاء.

اضطر جورج لاشا [ أي الجليل ] ملك جورجيا إلى الاتصال بجيرانه من الأمراء المسلمين، على الرغم من العداء المزمن بين الطرفين لشعوره بجسامة الخطر المهدد لهم جميعاً من ناحية، ولإدراكه التام بعدم مقدرته على التصدي للزحف المغولي من ناحية أخرى فسعى إلى التحالف مع اتابكية أذربيجان والأيوبيين في خلاط وبلاد الجزيرة، إذ أرسل إلى أزبك اتابك أذربيجان يعرض عليه الصلح والاتفاق على أن يكونوا يداً واحدة من أجل التصدي للزحف المغولي، كما أرسل إلى الأشرف موسى صاحب خلاط الذي تربطه به اتفاقية منذ سنة 607هـ/ 1210م يطلب منه الانضمام إليهما، إذ إن الظن السائد بان المغول سيقضون فصل الشتاء على السواحل الدافئة [3].

وعلى الرغم من تلك الجهود والمراسلات الساعية لتوحيد الصف، إلا أن شيئا من ذلك لم يتم لانشغال كل منهم بأمور بلاده الداخلية من ناحية، ومسارعة المغول إلى مباغتتهم بمجرد سماعهم بأخبار ذلك الاتفاق من أجل توجيه ضربة قاصمة لهم من

---

(1) ابن الأثير، الكامل:12/ 375 ؛ ديورانت، قصة الحضارة: مج 4/ج4/ 157 ؛ Boyle , Dynastic and Political History , In Cam. Of Iran: 5 / 311.

(2) هارولد لامب، جنكيز خان إمبراطور الناس كلهم، ترجمة: بهاء الدين نوري(بغداد:1946م)، ص120.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب: 7/ 201 ؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: 5/ 113.

ناحية أخرى [1] فابتدأوا بمملكة جورجيا، وفي أثناء زحفهم إليها اتصل بهم أحد المماليك التابعين لأزبك أتابك أذربيجان، يطلق عليه أقوش، إذ اجتمع حوله مجموعة كبيرة من التركمان وسكان الجبال والصحراء، الذين طلبوا الانضمام إليهم من أجل الحصول على المكاسب المادية من الغنائم والأسلاب، فوافق المغول على طلبه، وسيروه مع طلائع قواتهم المتقدمة لمهاجمة مملكة جورجيا، ووقعت المعركة الأولى عند مدينة موقان، ونجح أقوش واتباعه في الاستيلاء على أحد الحصون الجبلية، وقاموا بتدميره بشكل كامل لكي لا يتخذه الجورجيون قاعدة أو ملجأ لهم [2].

استمر أقوش في اكتساح الأراضي الجورجية مستخدماً شتى وسائل التدمير والتخريب المعروفة عند المغول حتى وصلوا بالقرب من تفليس، وبوصول جحافل المغول ومن معهم من الموالين لهم، وفي المقابل أصبحت المسألة بالنسبة للجورجيين مسألة حياة أو موت دفاعاً عن أهلهم وعاصمتهم، فجمع الملك جورج كل ما أستطاع جمعه من عدد وعدة وخرج لمنازلتهم، فكان اللقاء الأول مع طلائع المغول المتمثلة بقوات أقوش التركماني، فالتحمت القوات ودارت بينهما معركة حامية الوطيس، صمد فيها الجورجيون صموداً رائعاً بحيث تكبدت فيها القوات التي يقودها أقوش خسائر كبيرة، إذ قتل معظم أصحابه، ولولا وصول قوات مغولية إضافية لأضطر أقوش إلى الفرار بمن بقي معه من الجند، وقد أشار ابن الأثير إلى الدور الذي قام به اقوش إلى جانب المغول والى الصمود الجورجي في التصدي لتلك الهجمة قائلاً: ((فاجتمعت الكرج وخرجت بحدها وحديدها إليهم [ المغول ] فليقيهم اقوش فيمن اجتمع إليه، فاقتتلوا قتالاً شديداً صبروا فيه كلهم، فقتل من أصحاب اقوش خلق كثير وادركهم التتر)) [3].

---

(1) ابن واصل، نفسه: 4/ 48 ؛ سيد، أرمينية، ص225 ؛ العريني، المغول، ص35 ؛ رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية: 3/ 290.

(2) ابن الأثير، الكامل:12/ 375.

(3) ابن الأثير، الكامل: 12 / 375.

لقد كان لوصول تلك القوات دورٌ كبيرٌ في حسم المعركة لمصلحهم، وإلحاق الهزيمة بالجورجيين الذين تعبوا من جراء قتالهم مع أقوش، وفقدوا عدداً كبيراً قواتهم في أثناء ذلك ففر الجورجيون من ساحة المعركة، وتبعهم المغول ملحقين بهم أفدح الخسائر بين قتيل وجريح وأسير، فدمر الجيش الجورجي البالغ تعداده ثلاثين الف مقاتل [1] وسلب المغول ونهبوا أموالاً طائلة من المدن والقرى الجورجية الواقعة على طريقهم [2] ودخلوا تفليس التي استخدموا فيها كل وسائل التدمير التي يستخدمها المغول مع البلاد المقاومة لهم[3].

قضى المغول سنة 617هـ/ 1221م في جورجيا بعد احتلالهم مدينة تفليس وألزموا الجورجيين على الاشتراك معهم في حروبهم، ففرقوا الجيش الجورجي إلى عدة أجزاء من أجل الاستفادة منهم في ما يقيمونه من كمائن لأعدائهم [4] وبدخول سنة 618هـ/ 1222م انسحبوا من جورجيا متوجهين مرة أخرى إلى بلاد أذربيجان وأران من دون أن يتموا السيطرة على المناطق الجبلية الجورجية التي امتازت بالوعورة والممرات الضيقة، مّما أضفى عليها منعة وحصانة كانت وراء مقاومتها وصعوبة السيطرة عليها [5] وقد وصف ابن الأثير وعورة تلك المنطقة وما لها من دور في مساعدة الجورجيين على التصدي للأخطار الخارجية قائلاً: ((لأنهم رأوا [ المغول] أن بين أيديهم شوكة قوية ومضايق تحتاج إلى قتال وصراع فعدلوا عنهم وهذه كانت عادتهم)) [6].

---

(1)E.Bretschneider , *Mwdiaeval Researches from Eastern Asiatic Sources, (London: 1967) , P. 294.*

(2) ابن الأثير، الكامل: 12/ 375 ؛ الذهبي، العبر: 5/ 65 ؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص14– 15.

(3) السمعاني، التحبير: 1/ 338 ؛ ابن العبري، تاريخ الزمان، ص 278.

(4 ) Sykes , Persia , P. 59.

(5) ابن الأثير، الكامل: 12/ 377 ؛ المقريزي، السلوك: ج1/ ق1/ 213.

(6) ابن الأثير، الكامل: 12 / 377 ـ 378.



لم يلبث المغول أن أعادوا الكرة وهاجموا مملكة جورجيا في سنة 618هـ/ 1222م بعد أن تمت لهم السيطرة على بلاد أذربيجان وأران بشكل كامل، فخرج الجورجيون للدفاع عن أراضيهم أمام تلك الغارة إلا ان قواتهم لم تتمكن من الصمود بوجهها، إذ فرت من ساحة المعركة بعد أن منيت بخسائر كبيرة قدرتها المصادر التأريخية بثلاثين ألف رجل فضلاً عن كميات كبيرة من الغنائم التي جنتها القوات المغولية من القرى الواقعة على طريقها بعد أن دمروها تدميراً كاملاً، وارتكبوا المجازر بحق سكانها [1].

أمر الملك جورج لاشا بجمع قوات أخرى فضلاً عن بقايا القوات الجورجية الناجية من المعركة التي وصلت إلى تفليس من أجل مواجهة المغول والثأر لما حل بقواته وبلاده من دمار، ولما سارت تلك القوات ورأت ما فعله المغول بالبلاد التي دخلوها من دون أن يقف أمامهم حائلاً، انسحبوا عائدين إلى تفليس، فدخلها المغول وفعلوا بها ما فعلوا كعادتهم من سلب ونهب وتخريب، إلا أنهم انسحبوا عنها وكان انسحابهم مشروطاً بدفع الجورجيين الجزية وتقديم الدعم العسكري للمغول، مما زاد ذلك في كمية الضرائب المفروضة على السكان وإنهاك الاقتصاد الجورجي [2].

ومن استقراء النصوص التاريخية بدا واضحاً أن انسحاب المغول لعدة مرات من جورجيا يعود إلى كثرة الممرات والمضائق الجبلية التي كانت تقف حائلاً أمام تقدم المغول وتوغلهم داخل الأراضي الجورجية، فلم يستطيعوا التوغل فيها خشية أن تدور الدائرة عليهم ويوقع بهم الجورجيون خسائر كبيرة لمعرفتهم بطبيعة بلادهم وممراتها من ناحية وتمرسهم على القتال في مثل تلك الأماكن من ناحية أخرى.

إن الهزائم التي ألحقها المغول بالجورجيين جعلتهم يعتقدون بأن المغول قوماً لا يهزمون، فقد ذكر ابن الأثير عن أحد رسلهم قائلاً: ((وداخل الكرج منهم خوف عظيم حتى سمعت عن بعض أكابر الكرج قدم رسولاً انه قال: من حدثكم بان التتر انهزموا

---

(1) نفسه: 12/ 383 ؛ الملك الأشرف، العسجد المسبوك: 1 / 386.

(2) Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. Med. His: 4 / 626.



واسروا فلا تصدقوه، وإذا حدثكم أنهم قتلوا فصدقوا، فان القوم لا يفرون أبداً، ولقد أخذنا أسيرا منهم، فألقى بنفسه من الدابة وضرب راسه بالحجر إلى أن مات، ولم يسلم نفسه للأسر)) [1].

وبعد موت الملك جورج لاشا في سنة 620هـ/ 1223م لم يترك وريثاً بالغاً يتولى الحكم، فاعتلت العرش شقيقته روسودان (620-643هـ/ 1223-1245م) في حقبةٍ كانت تمر بها المملكة في حالة ضعف واضطراب على الصعيدين الداخلي والخارجي، نتيجة الحروب والغارات الخارجية وخاصةً الهجمات الخوارزمية التي فتت في عضدها وأرهقتها بعد أن حققت عليها الكثير من الانتصارات، إلا أن احتلال المغول لأراضي الدولة الخوارزمية في سنة 617هـ/ 1221م [2] على الرغم مما عانوه بسبب بسالة القوات الخوارزمية ومقاومتها لهم جعل ذلك مملكة جورجيا في مواجهة المغول، وعلى الرغم من تلك الظروف والأخطار المهددة لها لم تتردد في غزو الأراضي الإسلامية المجاورة فسعى ملوكها جاهدين من أجل إعادة مدينة تفليس إلى حظيرة المملكة، وما أن أصبحت الفرصة ملائمة ومؤاتية لها اثر الاحتلال المغولي للدولة الخوارزمية حتى سعت إلى تفليس واحتلتها في سنة 621هـ/ 1224م، إلا أن ذلك لم يدم طويلاً بسبب ازدياد الخطر المغولي وتوجه قواته لمهاجمة تفليس في السنة ذاتها [3].

مّما اضطرت القوات الجورجية بعد سماعهم بأخبار تقدم القوات المغولية إلى ترك المدينة والهروب إلى الجبال، فأصبح الجزء الشرقي من المملكة مفتوحاً أمامهم، فكان ذلك إيذانا بدخول جورجيا في تبعية المغول، وأصبحت أشبه ما يكون بولاية مغولية، فأذعنت الملكة روسودان للمغول [4] بعد أن تم الاتفاق بينهما على عدة أمور أهمها: -

(1) الكامل: 12/ 384.

(2) ابن الأثير، الكامل: 12 / 156-158 ؛ النسوي، سيرة السلطان جلال الدين، ص 19-20.

(3) صبرة، دراسات، ص488.

(4) *Cahen, Pre – Ottoman, P. 134 ; S. Bartold, The Muslem World (Leiden: 1960): 2/ 14 ,23 – 24.*

أ. تخضع مملكة جورجيا للسيادة المغولية على أن تبقى تحت حكمها و لـولدها من بعدها.

ب. دفع مبلغ كبير من المال للمغول كجزية سنوية.

ج. يبقى ولدها داؤد في البلاط المغولي كرهينة، لحين تسوية الأمور وإقرار الأمن [1].

بعد أن أصبحت مملكة جورجيا تحت السيطرة المغولية تم تعيين حكام مغول عسكريين إلى جانب حكامها المحليين، إلا أنها كانت الولاية الوحيدة [2] التي تمارس شبه استقلال وخاصةً بعد إعلان التبعية للمغول [3] كما أشير إلى ذلك من قبل.

كان الأمير شن تيمور أول من تولى إدارة جورجيا كحاكم عسكري إلى جانب إدارة أراضي الدولة الخوارزمية إلا انه اتبع سياسة سيئة تجاه السكان، فاستخدم القوة والعنف معهم وفرض عليهم الضرائب الفادحة التي أثقلت كاهلهم، واستمر الوضع على ذلك الحال حتى سنة 624هـ/ 1226م [4] لذا فقد تم عزله وتولية الأمير المغولي

(1) رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية: 3/ 432 ـ 433 ؛ عزت، تأريخ القوقاز، ص39.

(2) لقد قام المغول بتقسيم بلاد القوقاز بعد اخضاعها إلى خمس ولايات ادارية، وكانت على الشكل الآتي:

أ. ولاية كرجستان [ جورجيا ]: وضمت ارمينيا الشمالية، ارارات وسيونيك وارتساخ وكوكاك وقارص.

ب. ارمينيا العظمى التي شملت مناطق جنوب غرب ارمينيا.

ج. ولاية شروان.

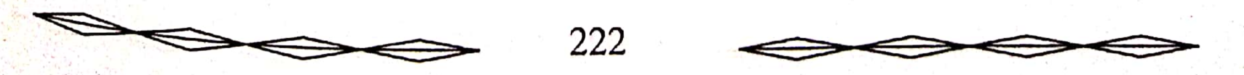
د. ولاية اران وموقان.

هـ. ولاية اذربيجان.

للمزيد من التفاصيل ينظر: خاتشاتريان، ديوان النقوش العربية في ارمينيا: 1 / 44.

(3) Boyle , Dynastic And Political History , In Cam. Of Iran:5 / 328 ; Clarkson , History Of Russia: 1 / 54 – 55.

(4) حمدي، الدولة الخوارزمية، ص198، 227.



شيرماجون مكانه، فأستخدم أيضا سياسة العنف والقسوة وسفك الدماء، وعدم إدارته للبلاد بشكل جيد وبما يخدم مصالح خانات المغول فضلاً عن استحصال الضرائب الفادحة، واستيلائه على قسم منها لنفسه، مّما دفع اوكتاي خان (626 - 639هـ/ 1227-1241م) إلى عزله في السنة ذاتها بسبب تلك السياسة، وأعاد الأمير شن تيمور إلى حكم جورجيا وأذربيجان وغيرها من الأماكن الأخرى فاستمر في حكمها إلى سنة 632هـ/ 1235م إلا أن سياسته كانت مغايرة لسياسته السابقة. فتولى حكمها من بعده رجل طاعن في السن يدعى نوصال، ويقال انه ترك الأمور تجري على ما هي عليه من دون الاهتمام بضبطها بل ووكّلَ تلك المهمة إلى رجل يدعى كور جوز وهو من رجال شن تيمور، فكان له دورٌ كبيرٌ في ضبط الأمور الإدارية في البلاد، فساس الرعية بحكمة وتعامل حسن وبشكل يخدم السياسة والمصالح المغولية، وقضى على أطماع بعض الحكام الطغاة، مما أثار ذلك عداء الكثير من الحكام الذين تآمروا على خلعه، إلا أنهم فشلوا في تحقيق مآربهم بسبب ثقة اوكتاي خان به، ونتيجة لتلك الثقة فقد توسعت مناطق نفوذه بشكل كبير، فأتخذ من مدينة توش مقراً لحكم ذلك الإقليم الكبير، وبعد أن استقرت الأمور له جمع رجال الدولة والأمراء في حاضرته، واقر فروض الطاعة والولاء لاوكتاي خان [1].

وبعد وفاة اوكتاي خان في سنة 639هـ/ 1241م اعتلى العرش المغولي كيوك خان (644-646/ 1246-1248م)، فسمع ما نقل إليه عن كور جوز وصدق كلام الأمراء المعادين له، فأرسل الأمير ارغون يأمره بإحضاره حياً أو ميتاً وجلبه إلى البلاط المغولي فأُعدم من دون أي محاكمة وحل محله الأمير ارغون الذي انتهج سياسة معاكسة لسياسة كورجوز، فأستخدم جميع أساليب العنف والقسوة، وأثقل الرعية بالضرائب التي أنهكتهم فاستمر في جورجيا حتى سنة 644هـ/ 1246م [2].

---

(1) *Sounders , The History Of Mongols , P. 79.*

(2) حمدي، الدولة الخوارزمية ، ص229 ـ 230.

كما وصلت سفارة جورجية إلى العاصمة المغولية قراقورم في سنة 638هـ/ 1240م، حيث بلاط اوكتاي خان، وقد كان على رأس تلك السفارة قس نسطوري ليعلن خضوعها للمغول، ويشكوا للخان جور قادته واضطهادهم، والتمس من الخان عدم تدنيس المقدسات الدينية، والسماح لهم بممارسة الحرية الدينية كما ادعوا في قانون المغول [1] المعروف بـ (أليسا) [2].

ان ما ورد في قانون المغول عن الحرية الدينية وحق ممارسة الطقوس واحترام المقدسات الدينية للشعوب الأخرى، كان مجرد ادعاء لا حقيقة له، فهو لا يضمن سوى حق الفرد المغولي، وعدم مراعاة حقوق الشعوب الأخرى ذات الأديان المختلفة، والدليل على ذلك ما قام به المغول من مجاز مرعبة بحق الشعوب التي احتلوا أراضيها، ومارسوا معها جميع أنواع أعمال السلب والنهب من استباحة المدن وهتك الأعراض والقتل والسبي فضلاً عن عدم احترامهم للمقدسات الدينية للمسلمين عند احتلالهم المدن الإسلامية.

بعد تولي كيوك خان للحكم عيّنَ الأمير ايلجيكتاي نائباً عنه على بلاد الروم والموصل وجورجيا، كما كان للحكام المحليين والملوك دورٌ كبيرٌ في إدارة الشوؤن الخاصة للرعية وأمورهم الدينية، وفي الوقت ذاته كانوا يحضرون في بلاط الخان معلنين الولاء

---

(1) Sounders , The History Of Mongols , P. 79.

(2) أليسا: هو كتاب جنكيز خان، الذي وضعه للمغول ديناً وشرعاً [ **قانون المغول** ]، ولا يحكمون إلا به، فإنه يكتب في مجلدين بخط غليظ ويحمل على بعير عندهم، وقد ذكر بعضهم انه كان يصعد جبلا ثم ينزل ثم يصعد ثم ينزل مرارا حتى يرجع إلى وعيه، ويقع مغشيا عليه ويأمر من عنده أن يكتب ما يلقي على لسانه. للمزيد من التفاصيل عن اليسا ينظر: ابن العبري، تأريخ الدول السرياني، مجلة المشرق اللبنانية، ع48، ص 420 ـ 421 ؛ أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو (الجيزة: 1992م):1/ 329 ؛ ابن كثير، البداية والنهاية: 13/ 118.

والخضوع للخان المغولي، فعندما عقد القوريلتاي [1] (الاجتماع المغولي) في العاصمة المغولية تبريز 644هـ/ 1246م إثر اعتلاء كيوك خان العرش، حضره شخصيات وأمراء وأعيان ونبلاء مشهورون من مختلف أنحاء البلاد فضلا عن ملكين هما داؤد الخامس ملك جورجيا وهيثوم الأول ملك أرمينية الصغرى [2].

اندلعت النزاعات حول تولي الحكم بين داؤد ابن الملك جورج لاشا وابن عمته الملكة روسودان قبيل ذلك الاجتماع، ((إذ أوصى الملك جورج قبل موته باعتلاء شقيقته روسودان للعرش، بسبب صغر سن ولده داؤد على أن تسلم أمور الحكم لولده عندما يبلغ سن الرشد)) [3].

لم تبالِ الملكة روسودان بما أوصاها شقيقها الملك جورج لاشا، ونصبت ولدها من زوجها السلجوقي داؤد الخامس ولياً للعهد، مما أثار ذلك الأمير داؤد السادس بن جورج الوريث الشرعي للعرش الجورجي، فرحل الاثنان إلى تبريز للحصول إلى الدعم والاعتراف المغولي، وكان كل منهم يحمل الأموال والهدايا الثمينة التي قدموها للخان وخاصةً ابن الملك جورج الذي طالب بضم الأراضي التي استولى عليها ابن عمته إلى ممتلكاته، أما داؤد السلجوقي ابن الملكة روسودان، فقد حاجج ابن خاله بكل هدوء ((بالرغم من أنني وريث غير شرعي، فأن من حقي اعتلاء العرش وفق القانون التقليدي الذي لا يفرق بين الابن الشرعي وغير الشرعي)) [4].

---

(1) القورلتاي: المجلس المغولي الأعلى إذ كان يضم كبار زعماء القبائل المغولية والأمراء وأعيان الدولة الذين يجتمعون من اجل تعين احد ابناء الأسرة الحاكمة خان جديد للمغول بعد وفاة الخان الأعظم. ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ: مج 2 / ج1 / 234.

(2 )Bertold , History Of The Mongols Based On Eastern And Wastern Accounts Of The Thirteen And Fourteen Centuries , (London: 1972) , P. 66.

(3 )Bertold , Ibid , p. 88.

(4) العريني، المغول، ص 189، 192،203 ؛ Bertold , Idid , P. 80 ; Saunders , History Of The Mongols , Pp. 79, 98.



لقد كان من حق داؤد الخامس تولي العرش بحكم وراثة والدته الملكة، إذ كون سلالة حاكمة عن طريق النساء، ((فاصدر الحكم لصالح الملك داؤد السلجوقي ابن روسودان لكونه هو الأكبر ويعامل معاملة الابن الشرعي في اعتلاء العرش، وسمح له في الاحتفاظ بالأراضي التي تحت سيطرته، ومن دون أي اعتراض من قبل ابن خاله داؤد بالرغم من بذله الهدايا للخان المغولي)) [1].

على ما يبدو أن تأييد المغول للملك داؤد الخامس ابن الملكة روسودان، وتفضيله على الملك داؤد السادس على الرغم من كونه الوريث غير الشرعي، كان يرجع إلى سعة نفوذه بين الأمراء الجورجيين وكثرة اتباعه من ناحية، وسيطرته على مدينة تفليس من ناحية أخرى، لاسيما أنها من أهم المناطق الجورجية لكونها عاصمة المملكة ومقر ملوكها منذ البداية فضلاً عن تأييده للمغول وخضوعه لتبعيتهم بشكل كبير بل وأكثر من خصمه داؤد السادس، خاصة وان الأخير كان يسعى من أجل كسب ود المماليك في مصر الذين مثلوا العدو الرئيس للمغول.

ان المراسلات والكتب التي كان يرسلها الملك داؤد السادس ملك الابخاز إلى سلاطين المماليك في القاهرة تثبت ما سبق من حديث [2].

انقسمت مملكة جورجيا بينهما، فنصب داؤد السلجوقي على تفليس ولقب بداؤد الخامس، في حين نصب ابن الملك جورج لاشا على ابخازيا تحت لقب داؤد السادس على أن يكون تابعاً لابن عمته، وقد أكد القلقشندي انقسام المملكة بينهما من خلال ما أورده في كتابه ((اما في التثقيف فقد ذكر إن للكرج ملكين [ احدهما] صاحب تفليس المقدم ذكره وذكر انه كان اسمه إذ ذاك "داؤد" والثاني الحاكم (بسوخوم) (وابخاس) وهما

---

(1) رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية: 3/ 678 ؛
Polo , The Traviles , P. 17 ; Saunders , Ibid , Pp. 79, 98.

(2) للمزيد من التفاصيل عن تلك المراسلات ينظر: محيي الدين بن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر (الرياض: 1976م)، ص 168.

مدينتان على جانب بحر القرم من الجانب الجنوبي )) [1]، وبقيت مملكة جورجيا تحت السيطرة المغولية يعينون عليها من يشاءون ويعزلون من يشاءون، واستمر الوضع على تلك الحالة حتى سنة 650هـ/ 1252م[2].

وبموجب تلك التبعية اصبح أمر اشتراك الجورجيين مع المغول في غاراتهم وحروبهم أمرا طبيعياً، بل ورغماً عنهم من أجل الحفاظ على بلادهم من الدمار، فعندما استدعى هولاكو أمراءه والملوك التابعين له في سنة 653هـ/ 1255م من أجل المشاركة في حروبه، ومهدداً من لا يقدم الدعم والمشاركة معه، فأسرع الملوك التابعون ومن بينهم ملك جورجيا إلى البلاط المغولي وهو يحمل الهدايا اللائقة [3].

لقد كان للنداء الذي أطلقه هولاكو للملوك والأمراء التابعين له، دور واضح على تحفيزهم للمشاركة معه في حروبه، وبموجب ذلك أدى الجورجيون دوراً كبيراً في إسقاط بغداد والقضاء على الخلافة العباسية في سنة 656هـ/ 1258م [4] وكان ذلك باعتراف المؤرخين من أبناء دينهم، فإلى ذلك يشير ابن العبري قائلاً ((يساعدهم خصوصا الكرج في تلك الملحمة الهائلة)) [5] إذ أرسل الملك داؤد الخامس كتيبة عسكرية كانت في مقدمة القوات المغولية التي دكت أسوار بغداد، وارتكبت أبشع المجازر بحق السكان العزل من المسلمين بل وأكدت بعض المصادر أن عملية قتل الخليفة العباسي المستعصم بالله، قد تمت بأمر من هولاكو على يد الأمير الجورجي قائد الكتيبة الجورجية التي أرسلها الملك داؤد

---

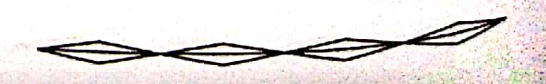
(1) القلقشندي، صبح الاعشى: 8 / 28-29.

(2) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص 219؛ تأريخ مختصر الدول، ص256ـ257، 262.

(3) الهمذاني، جامع التواريخ: مج2 / 1 / 240.

(4) قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن احمد اليونيني، ذيل مرآة الزمان، (حيدر آباد: 1954م):1/ 78؛ الذهبي، العبر: 5 / 225 ؛ بدر الدين محمود العيني، عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، ط2 (القاهرة: 1987م): 2 / 167؛

(5) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص 308.



وفي احتلال بلاد الشام والجزيرة إلى جانب أبناء عمومتهم من الأرمن، كما هو الحال في احتلال مدينة ميافارقين الأيوبية وحلب ودمشق وسائر بلاد الشام[2].

لقد كان السبب الذي يقف وراء سعي داؤد الخامس ملك جورجيا إلى ذلك، هو العداء المزمن الذي حَملَهُ الملوك الجورجيون ضد المسلمين في بلاد القوقاز وسعيهم المتواصل من أجل احتلال الأراضي الإسلامية المجاورة فضلاً عن سعيه إلى كسب ود هولاكو ورضاه، وإمداده بكل ما يحتاجه من رجال ومال ومؤن [3] للحفاظ على ممتلكاته من خلال تقديم الولاء والطاعة للمغول من ناحية، وخشيته من منافسة ابن خاله ملك ابخازية والوريث الشرعي لحكم البلاد من ناحية أخرى، كما اشتركوا إلى جانب المغول في معركة عين جالوت سنة 658هـ/ 1260م ضد المماليك إلا أنهم منوا بهزيمة منكرة فلم تقم لهم قائمة بعدها، وعلى الرغم من ذلك لم يعتبروا بما حدث، فاستمروا بالاشتراك مع المغول في أثناء غاراتهم على بلاد الشام [4].

لم تلبث العلاقات الجورجية المغولية أن سادها التوتر في سنة 659هـ/ 1261م على الرغم من التعاون المشترك بينهما، وخاصةً بعد أن ثار الملك داؤد الخامس ضد الاحتلال المغولي مستغلاً فرصة اندلاع النزاع بين هولاكو وبركة خان حول تولي عرش المغول [5] ولكن تخلي أتباع الملك داؤد خاصةً والجورجيين بشكل عام أضعفه، فاضطر إلى الهرب إلى المناطق الجبلية الجورجية التابعة لحكم ابن خاله الملك داؤد السادس ابن جورج الرابع إلا أن هولاكو قرر استرضاءَهُ في نهاية الأمر من أجل كسبه إلى جانبه في صراعه

---

(1) Boyle , The Mongol World Empire 1206 – 1370 , (London: 1977) , P. 149.

(2) ريچارد كوك، بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل، (بغداد: د/ت): 1/ 222؛رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 521 ـ 524 ؛

Sounders , History Of The Mongols , P. 108.

Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. Med. His.: 4 / 626.

(3) أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص 220 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: 8/ 140 .

(4) الذهبي، العبر: 5/ 225 ؛ المقريزي، السلوك:ج1/ ق1/ 213.

(5) ابن أيبك، كنز الدرر، ج 8، ص 91.



مع بركة خان، فصفح عنه لاشتراكه في الحرب معه ضد بركة [1] وبقي بعدها الملك داؤد الخامس قابعاً تحت التبعية المغولية، ومعلناً خضوعه حتى وفاته في سنة 667هـ/ 1269م إلا أن تلك التبعية كانت ظاهرية، فأنه كان يظهر الخضوع للمغول ويبطن الحقد والكراهية لهولاكو، إذ كان يكيد لهولاكو عند خصميه بركة خان والسلطان الظاهر بيبرس[2].

وعلى الرغم من ذلك لم تتوقف العلاقات بين الطرفين عند ذلك الحد بل تعدته إلى التقارب الأسري بينهما من خلال إقامة الزواج والمصاهرة، فقد تزوج ابن الملك داؤد الخامس في سنة 663هـ/ 1265م من اوجتاي بنت آباقا بن هولاكو [3] كما جدد التحالف بين الجورجيين والمغول في السنة ذاتها إلى جانب ملوك وأمراء النصارى الآخرين كملك أرمينية الصغرى هيثوم الأول وبوهيمند السادس صاحب انطاكيا الصليبي[4] كما عهد آباقا بن هولاكو بولاية جورجيا إلى الأمير شيرامون بن جورماغون، وأصبحت مملكة جورجيا مسرح للعمليات العسكرية المغولية، إذ سار آباقا إلى ضفاف نهر الكر للقضاء على المتمردين، وبوصول جيش المتمردين إلى الضفة الأخرى من نهر الكر، أمر آباقا بقطع الجسر القائم عليه، فسار المتمردون إلى تفليس للعبور من الجسر القائم في وسطها، إلا أن مرض قائدهم وموته أدى إلى تفرقهم كل إلى بلاده[5].

أدى الجورجيون دوراً كبيراً من خلال تدخلهم في الصراع الدائر بين الأمراء والخانات المغول حول السلطة [6] كما هو الحال في نزاع كل من آباقا بن هولاكو مع احمد

---

(1) Grousset , Histoire Des Croisades: 3 / 231.

(2) المقريزي، السلوك: ج1/ ق1/ ص537، هامش (1) .

(3) الهمذاني، جامع التواريخ: مج2/ج2/ 8.

(4)Toumanoff , Armenia And Georgia , In Cam. Med. His.: 4 / 626 ; Grousset , Histoire Des Croisades: 3 /231.

(5) الهمذاني، جامع التواريخ: مج 2/ج 2/ 14.

(6) العيني، عقد الجمان: 2 / 115.





تكـو دار، إذ أرسل آباقا إلى تكودار يستدعيه للحضور في بلاطه إلا نـه رفض، فأرسل آباقا خان جيشاً بقيادة شيرامون ومعه ألفا فارس جورجي أرسلهم ملك جورجيا، فاضطر تكو دار إلى الفرار من دون قتال متوجهاً إلى منطقة الدربند، ولكن الحصار الذي فرض على جميع الطرقات ألجأه إلى جبال جورجيا [1] فاختبئ في أحد غاباتها، وأرسل إليه داؤد ملك جورجيا قائلاً له: (( ليس في هذه الأجمة طريق للخروج، فعد ولا تقلق نفسك، فخرج من الغابة)) [2] فلحقت به قوات الأمير شيرامون وقتلت عدداً كبيراً من أتباعه، وأسرت قسماً آخر، مّما اضطر تكو دار إلى الخضوع في أواخر سنة 668هـ/ 1269م [3].

توفي الملك داؤد الخامس في سنة 667هـ/ 1269م، فارتقى عرش المملكة ولده ديمتري الثاني (672-688هـ/ 1273 - 1289م) بعد صراع على الحكم دام ثلاث سنوات فسار على نهج والده تجاه المغول معلناً التبعية لهم بشكل مطلق، ومقدماً لهم كل ما يطلبون من دعم وخراج، واشترك بقواته في الحروب الدائرة بين المغول أنفسهم[4] وفي الوقت الذي كانت تعاني فيه مملكة جورجيا وإمبراطورية المغول من تفكك واضطرابات داخلية، عملت دولة المماليك على توطيد أركانها، وتثبيت سيطرتها على كل من مصر وبلاد الشام والجزيرة وما أن استقرت أوضاعها الداخلية، لم يبق أمامها سوى مواجهة الأخطار الخارجية وخاصةً خطر المغول الذين كانوا يعانون من حالة ضعف واضطراب سياسي، نتج عن النزاعات التي دارت بين الأمراء والخانات كما وضحنا آنفا، لذا فقد كانوا بأمس الحاجة إلى قوة أخرى تدعمهم من أجل إعادة الاستقرار السياسي من ناحية،

---

(1) ابن أيبك، كنز الدرر: 8 / 140-141.

(2) الهمذاني، جامع التواريخ : مج 2/ج2/ 24 ؛ ابن أيبك، نفسه: 8/ 141 ؛ العيني، عقد الجمان: 2/ 115.

(3) ابن أيبك، نفسه: 8 / 141.

(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 7 / 168 ؛
Toumanoff, Armenia And Georgia, In Cam. Med. His.: 4 / 625-626.

ودعمهم في حروبهم من ناحية أخرى فكان كل من الجورجيين والأرمن الحلفاء والتابعين الدائميين لهم، قد اشتركوا في سنة 675هـ/ 1276م مع المغول لمهاجمة بلاد الروم التابعة سياسياً لنفوذ المماليك [1] وبلغ عدد القوات الجورجية المشتركة معهم ما يقارب الثلاثة آلاف فارس جورجي، إلا انهم لم ينجحوا في التصدي للمماليك الذين الحقوا بهم هزيمة نكراء فقد فيها المغول عدداً كبيراً من القتلى وبضمنهم ألفا فارس جورجي [2].

اهتم المغول بولاية جورجيا وعينوا عليها حكاماً جيدين، وفي حالة تقصيرهم وعدم اهتمامهم في أمور الولاية كانوا يعزلون ويعين بدلاً منهم من هم أكفاء فضلاً عن اهتمامهم بوارداتها وسكانها، ومما يدل على ذلك ما ذكره رشيد الدين الهمذاني لما حدث في سنة 677هـ/ 1278م قائلاً: ((أرسل آباقا الأمير مجد الملك اليزدي لإحصاء سكان كرجستان (جورجيا) ونواحيها ومن ثم أموال كرجستان، إلا انه لم يلبث أن أهمله لأنه لم يجد فيه الثقة الكافية))[3].

على ما يبدو ان الاهتمام المغولي بمملكة جورجيا إدارياً واقتصادياً من خلال تعيين حكام أكفاء عليها، لم يكن بدافع مصلحة المملكة، وإنما كان لأسباب أخرى أهمها، ضمان ولائها لهم لتميزها بموقع استراتيجي هام يدر عليهم واردات اقتصادية كبيرة هذا من ناحية واستمرار تبعيتها لهم بشكل سلمي دبلوماسي من دون الدخول في أي حروب، لان ذلك يكلفهم الكثير من الجهود بسبب طبيعتها الجبلية الوعرة فضلاً عن كسبها إلى جانبهم في صراعهم مع أبناء عمومتهم خانات القبيلة الذهبية على أطراف بلاد القوقاز .

وعندما أغار المغول على بلاد الشام في سنة 680هـ/ 1281م [4] واحتلوا كلاً من بغراس وعين تاب أمدهم الجورجيون والأرمن بخمسة آلاف فارس [5] إلا أن تلك المرة لم

(1) ابن أيبك، كنز الدرر: 8 / 204.

(2) ابن العبري، تأريخ الزمان، ص235، تأريخ مختصر الدول، ص187.

(3) جامع التواريخ: مج2/ ج2/ 74.

(4) العيني، عقد الجمان: 2 / 271.

(5 ) Boyle , The Cambridge History of Iran: 5 / 322.

تكن أفضل من سابقتها، إذ ألحقت الهزيمة بهم بعد أن كبدتهم القوات المملوكية والأيوبية المنخرطة تحت لواء المماليك خسائر بشرية ومادية فادحة [1] ولعظم الخسائر البشرية، فقد أشارت الروايات التأريخية بأنه ((لم يبقَ منهم إلا دون العشرين)) [2].

على الرغم من تعاون الجورجيين مع المغول فقد هاجم آباقا خان بعض القلاع الجورجية الجبلية كقلعة بركري واولني ومامروان واستولى عليها [3] كما استعان احمد تكو دار بالجورجيين والأرمن للقضاء على خصمه في سنة 683هـ/ 1284م، فتمكن من إلحاق الهزيمة بأرغون، واسر ما يقارب من ثلاثمئة أسرة من الأسر النبيلة من اتباع ارغون[4] وبذلك يكون للجورجيين دورٌ كبيرٌ في رجحان كفة احمد تكو دار، فأثار ذلك غضب أرغون الذي ظل يضمر الحقد لهم ولملكهم ديمتري الثاني، وما أن اعتلى العرش أرغون (683-690هـ/ 1284-1291م) حتى هرع إلى قتل الملك ديمتري الثاني في سنة 688هـ/ 1289م، وصادر أمواله وأملاكه ولم يبقِ منها شيئاً يذكر، وبذلك يكون ارغون قد تخلص من ديمتري الثاني، وقضى على آخر الملوك الجورجيين الأقوياء ليبدأ عهداً جديداً تميز ملوكه بالضعف، إذ أصبحوا عبارة عن ألعوبة بيد المغول ينصبون من يشاءون ويخلعون ويقتلون من يشاءون، وعندما اعتلى العرش الملك داؤد السابع (691-710هـ/ 1292-1310م) حاول استرجاع هيبة المملكة المفقودة من خلال التفاوض مع غازان خان الذي عاصره، فأرسل إلى البلاط المغولي في تبريز سفارة يترأسها الجاثليق الجورجي وقاضي تفليس، ويعلن فيها عن خضوعه وطاعته للخان المغولي ويعرب عن

---

(1) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص289 ؛ العيني، عقد الجمان: 2/ 271 ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية: 3/ 548، 562.

(2) الهمذاني، جامع التواريخ: مج2 / ج2 / 83-84 ؛ المقريزي، السلوك: ج1 / ق2 / 698.

(3) اليونيني، ذيل مرآة الزمان: 1/ 411 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: 8/ 141. في حين انفرد العيني في ذكر أسماء ثلاث قلاع من التي استولى عليها المغول من أيدي الجورجيين وهما نايروان وبايرت واوشلوان.ينظر: العيني، عقد الجمان: 2/ 236.

(4) الهمذاني، جامع التواريخ : مج2/ ج2/ 103.





استعداده للاشتراك معهم في أي غارة يقومون بها، أو تقديم الدعم على الأقل، وبموجب تلك التبعية اشترك الجورجيون إلى جانب المغول في مهاجمة بلاد الشام في سنة 690هـ/ 1291م إلا انهم مُنيوا بهزيمة ساحقة [1]

وعندما اعتلى غازان خان عرش المغول في سنة 690هـ/ 1291م عين وزيره صدرالدين الذي أدار أمور ولاية جورجيا كنائب عنه بكل حكمة وسياسة جيدة تصب في مصلحة الخان المغولي، لكن الوشايات التي قام بها ضده كل من قطلوشاه قائد الجيش المغولي ورشيد الدين الهمذاني وزير غازان واولجايتو من بعده، دفعت غازان خان إلى استدعائه إلى تبريز وحوكم فيها واعدم [2].

لم يعتبر الجورجيون بما حل بهم وبحلفائهم المغول في السنوات السابقة من هزائم على يد المماليك، فهاجموا مناطق نفوذهم مرة أخرى في سنة 699هـ/ 1299م مستغلين فرصة الاضطرابات الداخلية والنزاع القائم بين الأمراء المماليك، فعبروا نهر الفرات متوجهين إلى حلب وحماه فوقعت المعركة الأخيرة عند مجمع المروج، إذ خرج إليهم السلطان الناصر محمد بن قلاوون على رأس القوات المصرية والشامية [3] إلا انه لم يتمكن من دحرهم فدارت عليه الدائرة في وادي من أودية حمص يقع على بعد ستة كيلومترات عن المدينة، مّما اضطره إلى الانسحاب، فاستولت تلك القوات على دمشق وغزة والقدس والكرك باستثناء قلعة دمشق الحصينة ' ثم انسحبت عنها بعدما جنت كماً كبيراً من الغنائم [4].

---

(1) صبرة، دراسات، ص4.

(2) للمزيد من التفاصيل عن قصة اعدام صدر الدين وزير غازان خان ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ: مج2 / ج1 / 13 ؛ Boyle , The Cambridge History of Iran: 5 / 385.

(3) ابن العبري، تأريخ الدول السرياني، مجلة المشرق اللبنانية، 1959م: ع51 / 411.

(4) الدويهي، تأريخ الأزمنة، ص157.

كما أسهمت القوات الجورجية في الغارة المغولية على بلاد الشام في سنة 701هـ/ 1301م [1] بقيادة الأمير قطلوشاه، فوقعت المعركة التي رجحت فيها كفة القوات المملوكية بالقرب من مدينة دمشق، وكبدوا فيها المغول وتابعيهم من الجورجيين والأرمن خسائر جسيمة [2] واضطر الأمير قطلوشاه إلى الفرار من ساحة المعركة مع من بقي من قواته متوجهاً إلى نهر الفرات، فغرق معظمهم عندما حاولوا عبور النهر [3] ومما يدل على كثر عدد القتلى من الجورجيين والأرمن في تلك المعركة الكتاب الذي أرسله السلطان الناصر محمد بن قلاوون إلى غازان خان، إذ كان يحتقره فيه، ويحدثه عن مصير قواته ويورد فيه ذكر من قتل وأسر من الجورجيين والأرمن النصارى [4].

وبقيت مملكة جورجيا تسير في ركب المغول وأعمالهم العدوانية معلنةً خضوعها التام من خلال دفع الضرائب المالية والخراج التي فرضها خانات المغول مهما زادت قيمتها ويرجع ذلك إلى الظروف السياسية السيئة التي عاشتها المملكة، واستمرت على تلك الحالة حتى الغزو التيموري في سنة 790هـ/ 1388م [5] الذي ارتكب كل أنواع الدمار، وكان ذلك سبباً في انهيارها.

## ثالثاً: العلاقات الجورجية ـ المملوكية (656- 790هـ/1258- 1388م)

بعد احتلال المغول وحلفائهم من الجورجيين والأرمن بغداد في سنة 656هـ/ 1258م عمت الفوضى أرجاء الدولة الإسلامية، الأمر الذي جعلها فريسة سهلة للأعداء المتربصين بها من الخارج، كالجورجيين وأبناء دينهم من الصليبيين والأرمن فضلاً عن سوء الأوضاع الداخلية ـ السياسية والاقتصادية ـ فالخلافة العباسية التي مثلت

---

(1) المقريزي، السلوك: ج1 / ق 3 / 930-933 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 8 / 143.

(2) المقريزي، السلوك: ج1 / ق 3 / 886، 908-909.

(3) محمد جمال الدين سرور، دولة بني قلاوون، (مصر: د / ت)، ص197.

(4) نفسه، ص202.

(5) الخوند، الموسوعة التاريخية، مادة "جورجيا": 17/ 19.

المسلمين لمدة أكثر من خمسة قرون قد قُضِيَ عليها على يد المغول، واصبح المسلمون بلا خليفة، أما في بلاد الشام ومصر والجزيرة، فقد دبت الانقسامات بين أبناء البيت الأيوبي، الذين سعى كل منهم من أجل التوسع على حساب الطرف الآخر، كالنزاع الذي حدث بين الملك الطاهر غازي بن صلاح الدين وعمه الملك العادل صاحب مصر، مّما سهّل على المغول وأتباعهم احتلالها في سنة 658هـ/ 1260م بلاد الشام حتى غزة، ولم يبق أمامهم سوى مصر التي كانت تعاني أيضا من سوء أوضاعها السياسية، بسبب ضعف حكم البيت الأيوبي الذي بدأ يحتضر بوفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل في سنة 648هـ/ 1250م، وانتقال الحكم إلى ولده تورانشاه في السنة ذاتها [1] ومن ثم تولى زوج أبيه شجر الدر [2] من بعده [3].

وفي وسط تلك الظروف الحرجة، كانت قوة المماليك الجديدة تنمو شيئاً فشيئاً، فقدر لتلك القوة أن تتسلم زمام الأمور بعد مقتل الملك تورانشاه الأيوبي في سنة 648هـ / 1250م[4] ونجحت في تثبيت أركان دولتها في عهد السلطان قطز ثالث سلاطين المماليك

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، (بيروت: د/ ت):1/ 236ـ237.

(2) شجر الدر: هي زوج الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهي من أصل أرميني أهداها إياه الخليفة المستعصم بالله، وتمكنت بعد وفاة الملك الصالح، أن تحفظ العرش لولده تورانشاه، ومن ثم تآمرت مع الأمراء المماليك على قتله، وتولتْ زمام الأمور في حكم مصر لمدة ثمانين يوماً، وعدها البعض أول سلاطين الدولة المملوكية، وتزوجت أثناء ذلك من المعز أيبك الذي تولى السلطنة، وتآمرت على قتله في سنة 655هـ/ 1257م، إلا أنها قتلت بعد عدة أيام من مقتله. للمزيد من التفاصيل ينظر: فايد عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، (القاهرة د/ ت)، ص22ـ23.

(3) السيوطي، حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة (بيروت: 1968م)، ص 38-39 ؛ سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، (القاهرة: 1976م)، ص10 ـ12 ؛ مصر في عصر دولة المماليك البحرية، (القاهرة : د/ت )، ص16ـ17.

(4) لين بول، طبقات سلاطين الإسلام، ترجمة: مكي ظاهر الكعبي، (البصرة: 1968م)، ص78.

في القاهرة بعد المعز إيبك وولده المنصور علي [1] فأصبحت المدافعة عن الإسلام، لكونها مثلت أكبر قوة إسلامية في المنطقة آنذاك، ولاسيما بعد انتصارها على المغول في معركة عين جالوت سنة 658هـ/ 1260م إذ عد ذلك التاريخ الفعلي لقيام دولة المماليك.

والمماليك البحرية هم من أصول تركية، والمعروف عن ذلك العنصر تميزه بالصلابة والجلادة والشجاعة في القتال، مّما حدا بالأيوبيين إلى استخدامهم كعناصر محاربة في صفوف قواتهم، لمواجهة الأخطار الخارجية من ناحية، وللقضاء على منافسيهم على السلطة من أبناء البيت الأيوبي والبيوتات العريقة في الحكم كالزنكيين والاراتقة وغيرهم ويعد الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل أول من استكثر من شرائهم والاستعانة بهم في صفوف قواته، فأنشأهم نشأة عسكرية إسلامية، وخصص لهم أماكن إقامة خاصة بهم في جزيرة في نهر النيل تدعى روضة الفرج، ولذلك سموا بالمماليك البحرية[2] ونتيجة لإخلاصهم وتفانيهم في خدمة الملك الصالح، فقد تولى أمراؤهم المناصب العليا في الدولة كقيادة الجيوش بل أصبح معظم أمراء جيشه منهم [3].

لقد كان للمماليك دورهم العظيم في ردع المغول وكسر شوكتهم [4] واثبات خطأ الأسطورة القائلة بأن المغول قوم لا يهزمون، ومن النتائج الطبيعية أن الدولة كلما زادت قوتها كثر خصومها، فقد أعدهم الصليبيون والمغول من ألد أعدائهم وأنهم القوة التي كسرت شوكتهم، وأنقذت المسلمين من ضياع تام، مما أثار غضب المغول وسعت القوى المناهضة للمماليك إلى التحالف مع المغول كالصليبيين فضلاً عن الجورجيون والأرمن، وبحكم تخصص الدراسة بالعلاقات السياسية لمملكة جورجيا، فستبحث في علاقتها مع المماليك مع الإشارة إلى القوى الأخرى بحسب ما تقتضيه الحاجة إلى ذكرها.

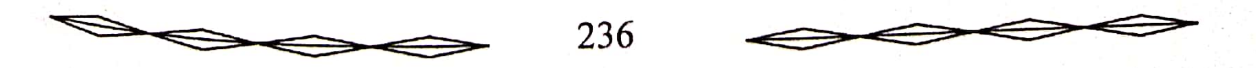
---

(1) السيوطي، حسن المحاضرة:2/ 38ـ39.

(2) سعيد عاشور، العصر المماليكي، ص5 ؛ مصر في عصر دولة المماليك، ص14.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار:1/ 236ـ237.

(4) ابن شاكر الكتبي، عيون التواريخ، تحقيق: بيلة عبد المنعم وفيصل السامر، (بغداد: 1991م):2/ 228؛ المقريزي، السلوك: ج1/ ق2/ 432 ـ 433.



امتازت العلاقات الجورجية المملوكية منذ نشأتها بتغلب الطابع العدائي على معظمها فكانت المواجهة الأولى بين الطرفين في سنة 658هـ/ 1260م، عندما اشترك الجورجيون مع المغول في احتلال بلاد الشام، ومهاجمة المماليك في مصر، إلا أن الدائرة فيها دارت على القوات المغولية والقوى المشاركة معها، فكُبدت فيها خسائر فادحة، ونجح المماليك على إثرها من تحرير بلاد الشام [1] وأعادت الوحدة بين مصر وبلاد الشام تحت سلطتهم، بعد أن انفصمت عراها منذ عهد شجر الدر زوج الملك الصالح نجم الدين، وبعد أن نجح المماليك في كبح جماح المغول، بدأ السلطان الظاهر بيبرس يعد العدة للانتقام من القوى التي اشتركت مع المغول كالجورجيين والأرمن، وخاصةً انه نجح في إقرار الأمن، وثبت أركان دولته فأرسل حملة عسكرية إلى مملكة أرمينية الصغرى في سنة 664هـ/ 1265م، واجتاح أراضيها ودك عاصمتها سيس، وأحرق ما فيها من خزائن [2] وقتل في تلك الحملة أحد أبناء الملك هيثوم الأول، واسر ابنه الثاني وشقيقه الكندسطبل سمباذ [3] فضلاً عن كم كبير من الغنائم، ولكثرة تلك الغنائم فقد أسهمت في انخفاض الأسعار، ويتضح ذلك من خلال قول المقريزي: ((بيع راس البقر بدرهمين ولم يجد من يشتريه)) [4] كما هاجم إمارة أنطاكيا الصليبية في السنة ذاتها، وعادت القوات إلى مصر

---

(1) الهمذاني، جامع التواريخ: مج 2/ج 1/ 313 ـ 316 ؛ الكتبي، عيون التواريخ: 2/ 226 ـ 227 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 7/ 78ـ80 ؛
Stanley Ahistory Of The Egypt In The Middle Ages ,Fourth Edition , (London: 1968) , P. 202.

(2) للمزيد من التفاصيل ينظر: المقريزي ، السلوك: ج1 / ق2 / 552 ؛ العيني، عقد الجمان: 1 / 423 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: 8 / 118 ؛ اللهيبي، مملكة أرمينيا الصغرى، ص 113 ـ 114 ؛ محمد أبي الفرج العس، أخشاب من تربة خالد بن الوليد، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 1969م، 19، ص 17.

(3) سعيد عاشور، الظاهر بيبرس (القاهرة: د/ت)، ص 103 ـ 104 ؛ Lang , Armenia , P. 207 ; Fatima Syedon , Baybars 1 Of Egypt , (Pakistan: 1965) ,P. 56.

(4) السلوك: ج1 / ق2 / 552 ؛ العيني، عقد الجمان: 1 / 142.





في 2 ذي الحجة سنة 664هـ/ 1265م [1] أما ما يتعلق بمملكة جورجيا، فقد عمل ملكها على تحسين علاقتهم بالمماليك وخاصةً بعد أن أدركوا أنهم الهدف اللاحق للمماليك، وأوفد الرسل والهدايا إلى السلطان الظاهر بيبرس في القاهرة، فاستقبلهم بكل مظاهر الإجلال والاحترام وقبل الهدايا [2].

وعلى ما يبدو أن موافقة السلطان الظاهر وقبوله للهدايا كان بهدف كسب الوقت والتفرغ للمغول أولا وللخصوم والأعداء القريبين منه كالصليبيين والأرمن ثانياً فضلاً عن كون مملكة جورجيا تقع على مسافة بعيدة من القاهرة، فقد تكلفه مهاجمتها المال والرجال، وربما يستغلها المغول لمصلحتهم، فيقوموا بمهاجمة بلاده، ويقطعوا خط الرجعة على قواته إذ ما هاجم مملكة جورجيا.

أرسل السلطان الظاهر رسولاً إلى ملكها داؤد الخامس في سنة 665هـ/ 1266م فوصل رسوله إلى العاصمة الجورجية تفليس، وحظي بأحترام الملك داؤد الخامس الذي أكرمه، وبقي في البلاط الجورجي لعدة أشهر، ثم عاد إلى القاهرة في سنة 666هـ/ 1267م وهو محملاً بالهدايا الثمينة فضلاً عن كتابين من الملك داؤد الخامس بن الملكة في روسودان تفليس وقسيمه في الحكم الملك داؤد السادس بن جورج لاشا ملك ابخازية، وأعرب الأخير في كتابه عن حسن نواياه تجاه سلطنة المماليك، كما أشار فيهما إلى انه انحاز إلى جانب بركة خان في صراعه الدائر مع أخيه آباقا خان بن هولاكو[3] .

وعلى ما يبدو أن اتخاذ الملك داؤد السادس لمثل ذلك الإجراء يرجع إلى إدراكه التام بحسن العلاقات بين الظاهر بيبرس وبركة خان، لذلك سعى إلى كسب ود السلطان الظاهر إلى جانبه في صراعه مع ابن عمته داؤد الخامس ملك تفليس وشريكه ومنافسه في حكم المملكة عن طريق إثبات حسن نواياه تجاه السلطان الظاهر وكل حلفائه.

---

(1) ابن أيبك، كنز الدرر: 8 / 118.

(2) ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر: ص 299.

(3) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص299.





وفي سنة 672هـ/ 1273م خرج الملك داؤد السادس من بلاده متوجهاً إلى بلاد الشام، ومتخفياً في زي الرهبان لغرض الحج وزيارة بيت المقدس، وبرفقته عدد من خاصته فعبر من بلاد الروم والأراضي الأرمنية، ومنها توجه بحراً إلى مملكة عكا الصليبية، ثم سار منها إلى بيت المقدس [1] إلا أن الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار نائب السلطنة في القدس علم به عندما كان في مدينة يافا، فأرسل إليه مجموعة من العسكر، فقاموا بالقبض عليه مع ثلاثمئة من الذين كانوا معه، وتم إرساله مع الأمير منكورس إلى السلطان الظاهر بيبرس الذي كان في دمشق آنذاك، فأستقبله السلطان، وسأله عن هويته، فأعترف بانه داؤد الخامس ملك جورجيا، فأمر السلطان بحبسه في أحد أبراج المدينة، وأرسل رسولاً إلى جورجيا، لكي يعلمهم بأسر ملكهم، ثم عاد السلطان إلى القاهرة، وبهذا الشكل أنهى ابن شداد وابن تغري بردي[2] روايتهما بينما يشير العيني [3] إلى أن حبسه تم في القلعة المنصورة، وهي قلعة دمشق الحصينة، ثم أطلق سراحه مقابل فدية مالية كبيرة بعد أن سمح له السلطان بالحج إلى بيت المقدس، وأخذ الأيمان والمواثيق منه على أن لا يقوم بأي عمل معادٍ ضد سلطنة المماليك.

لم تلبث العلاقات الحسنة التي أقامها ملك تفليس داؤد الخامس مع السلطان الظاهر بيبرس أن تعكر صفوها بعد وفاته في سنة 668هـ/ 1269م، إذ تولي ولده ديمتري الثاني فأتبع سياسة مغايرة لسياسة والده تجاه المماليك، وبدأ بتحسين علاقاته بالمغول من أجل كسبهم إلى جانبه في الصراع مع منافسه داؤد السادس الذي أخذ جانب المماليك، فأشترك بألف فارس إلى جانب المغول ضد المماليك في سنة 672هـ/ 1273م وعلى الرغم من ذلك إلا أن المغول لم يأمنوا جانبه، فوضعوا قواته في مقدمة القوات المغولية خشيةً من ميلهم للمماليك، ولاسيما أن والده جورج الخامس كان على علاقة حسنة

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 7/ 163 ـ 164

(2) المصدر نفسه: 7/ 163 ـ 164 ؛ عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر، باعتناء: احمد حطيط ، (بيروت: 1983 م)، ص74.

(3) العيني، عقد الجمان: 2/ 113.

بهم ((خوفا من باطن يكون لهم مع المسلمين وجعلوا عسكر الكرج طلبا واحدا)) [1] إلا أن الدائرة دارت في تلك المعركة عليهم فالحق بهم المماليك هزيمة نكراء .

إن اشتراك القوات الجورجية التي أرسلها الملك ديمتري من تفليس مع المغول في معركة الابلستين، لم تؤثر على العلاقات الحسنة بين داؤد السادس ملك ابخازية والسلطان الظاهر بيبرس، إذ قَدِمَ إلى بلاد الشام رجلٌ من أقارب الملك داؤد السادس من أجل الحج إلى بيت المقدس في سنة 675هـ/ 1277م، وكان متنكراً بزي الرهبان، وعندما وصل إلى مدينة عكا سار منها إلى مدينة القدس، وما أن علم السلطان الظاهر به، أمر جنده بالقبض عليه وعلى من معه من الزائرين إلا أن السلطان اظهر لهم كل مظاهر الاحترام والتقدير وخلع عليهم الهدايا الفاخرة وجهزهم بما يليق بمقامهم، وسمح لهم بالحج إلى بيت المقدس ثم غادروه إلى مملكة جورجيا، وعندما وصلوا إلى بلاط الملك داؤد السادس ذكروا له ما قام به السلطان من إكرام، فَسُرَّ الملك بذلك، وأرسل إلى السلطان رسولاً ليقدم له الشكر والامتنان على معاملته الحسنة للحجاج الجورجيين، كما أرسل معه هدية فخمة، فقبلها السلطان منه وأكرم الرسول وأعاده إلى بلاده [2] كما أن العلاقات لم تلبث أن تحسنت بين السلطان الظاهر بيبرس والملك ديمتري الثاني إذ قام الأخير بإرسال السفارات والهدايا الثمينة تقرباً منه ومما يؤكد تلك العلاقة الحسنة بين الطرفين ويثبت وجود الرسل المتبادلة بينهما، مهاجمة السلطان الظاهر لإمارة طرابلس الصليبية في سنة 675هـ/ 1277م من أجل الانتقام من صاحبها الأمير بوهيمند السادس بسبب سوء تصرفه وعدم احترامه لحقوق الجوار، إذ قبض على الرُسل الذين أرسلهم ديمتري الثاني ملك جورجيا إلى القاهرة عندما تحطم مركبهم، فاستولى على ما معهم من أموال فضلاً عن الرسائل التي يحملونها من الملك ديمتري إلى الظاهر بيبرس، ولم يكتف بذلك بل سلم

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 7 / 168.

(2) ابن شداد، تأريخ الملك الظاهر، ص 168.





الرسائل للمغول، مما أثار غضب السلطان الظاهر بيبرس فهاجم المدينة وحاول الاستيلاء عليها [1].

إن العلاقات الحسنة بين الجورجيين والمماليك لم تدم طويلاً، فسرعان ما نكث الملك ديمتري الثاني العهد واشترك مع المغول في الإغارة على الأراضي التابعة للدولة المملوكية في بلاد الشام، وعلى ما يبدو أن السبب في ذلك يرجع إلى طمعه في الحصول على المزيد من الغنائم من ناحية، ولخوفه من بطش المغول القريبين منه من ناحية أخرى، الذين بدأت تهديداتهم تزداد على بلاده، لذا فقد سار السلطان في سنة 675هـ/ 1277م لإنزال ضربة قاصمة بالمغول وأتباعهم من الجورجيين والأرمن منطلقاً على رأس قواته من منطقة حيلان الواقعة جنوب حلب إلى بلاد الروم، وما أن وصل إلى الابلستين حتى وجد القوات المغولية المتكونة من اثني عشرة فرقة من الفرسان، وتتكون كل فرقة من ألف فارس وعليها مقدم فضلاً عن فرقتين أحدهما من الجورجيين والأخرى من السلاجقة [2]، في حين يشير ابن العبري إلى أن عدد القوات الجورجية المشاركة يصل إلى ما يقارب ثلاثة آلاف مقاتل [3]، كما انه يؤكد ذلك في كتابه الآخر قائلاً: ((وكان مع المغول ثلاثة الاف كرج فوقفوا وبذلوا الجهود فقتل منهم الفان)) [4] فباغتهم السلطان الظاهر، ونجح في إلحاق الهزيمة بهم، وقتل وأسر عدداً كبيراً منهم، فبلغ عدد القتلى ما يقارب خمسة آلاف قتيل من بينهم ألفا أسير من الجورجيين وهرب من بقي منهم حياً، كما هرب معين الدين البروانة [5] مقدم القوات السلجوقية، فسار السلطان الظاهر اثر ذلك إلى قيسارية، وجلس على عرش السلطان السلجوقي.

---

(1) صبرة، دراسات، ص 507.

(2) *A. Khowiter , Bailers The First , (London: 1978) , P. 73.*

(3) تاريخ الزمان، ص 335 ؛ ابن أيبك، كنز الدرر: 8/ 204.

(4) تاريخ مختصر الدول، ص 287.

(5) معين الدين البروانة: هو سليمان بن محمد بن حسن الصاحب معين الدين كان في بداية الأمر معلما للصبيان ثم وصل بجهوده الكبيرة إلى منصب الوزارة وأطلق عليه لقب البروانة ومعناه في

إن الرواية الثانية التي أوردها ابن العبري عن عدد القوات الجورجية المشاركة، هي الأرجح والأقرب إلى الصحة من الرواية الأولى، لكونه اقدم زمنياً واقرب إلى الحدث فضلاً عن اتفاق روايته مع ما أورده ابن ايبك الذي أشار إلى أن عدد القتلى بلغ ستة آلاف وسبعمئة وسبعين، بضمنها القتلى الجورجيون والسلاجقة الذين بلغوا نصف العدد، فإذا كان عدد القتلى ستة آلاف وسبعمئة وسبعين ، فأن نصفها يبلغ ثلاثة آلاف وثلاثمئة وخمسة وثمانين من الجورجيين والسلاجقة، وبذلك يكون عدد القتلى الجورجيين ثلاثة ضعفي ما ذكرته الرواية الأولى.

كما اشترك الجورجيون والأرمن إلى جانب أسيادهم المغول في مهاجمة بلاد الشام في سنة 679هـ/ 1280م [1] مستغلين حالة الاضطرابات التي كانت تعيشها دولة المماليك عقب تولي المنصور قلاؤون للسلطنة، وثورة الأمير سنقر الأشقر نائب الشام، وإعلانه العصيان وعدم الاعتراف بالمنصور سلطاناً، فهرب إلى المغول وأخذ بالتآمر معهم ضد السلطان المنصور قلاؤون [2] مّما شجع المغول وأتباعهم من الجورجيين والأرمن على مهاجمة بلاد الشام.

---

الأصل الحاجب وأطلق هذا اللقب بدولة السلاجقة على الوزير الأكبر وكان مدبرا لمملكة السلاجقة توفي في سنة 676هـ في واقعة المغول مع الظاهر بيبرس. ينظر: ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق احمد يوسف نجاتي (القاهرة، 1956): 1/ 185.

(1) *H. H. Howorth , The History Of The Mongols From " 9th To 19th " Century* (London: 1989):3 /278 – 281 ; Setton , A history Of The Crousades: 2 /655.

(2) سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص68؛رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية:3/ 564.



وعلى ما يبدو أن تلك الحملة التي احتل فيها المغول كل من بغراس[1] وعين تاب[2] ودربساك[3] فضلاً عن مدينة حلب[4] فلم تكن أكثر من حملة تكسب من أجل جمع الغنائم والتدمير من ناحية واستطلاع للكشف عن وضع المماليك ومدى قدرتهم على التصدي للأخطار الخارجية من ناحية أخرى، وان انسحاب المغول وأتباعهم عن البلاد، يُعَدُّ دليلاً واضحاً على أنها مجرد حملة استطلاعية وتمهيد للقيام بحملة 680هـ/ 1281م[5].

وبعد انتهاء آباقا بن هولاكو من إعداد تلك الحملة على بلاد الشام في 30 تشرين الأول 680هـ/ 1281م، والبالغ تعدادها مئة ألف مقاتل[6]، وبضمنها ثلاثون ألفا من الجورجيين والأرمن الذين يقودهم ديمتري الثاني ملك جورجيا وليفون الثاني ملك أرمينية الصغرى أنفسهما[7] في الوقت الذي لم يحدد فيه العيني عدد القوات الجورجية المشاركة وإنما أدرجها ضمن عدد القوات الأرمنية، يحدد ابن العبري تلك القوات قائلاً: ((وفيهم ملك الأرمن مع خمسة الاف من الكرج)) [8] ويقود تلك القوات مجتمعةً الأمير منكوتمر شقيق آباقاخان الذي أمر بسيرها إلى بلاد الشام في السنة ذاتها، فدخلوها ووقعت

---

(1) بغراس: مدينة في لحف جبل اللكام بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب في البلاد المطلة على نواحي طرسوس، وعلى مسافة تقدر بأربعة فراسخ عن الاسكندرونة، وكانت أرض بغراس لمسلمة بن عبد الملك ووقفها على سبيل البر، وكانت بيد الإفرنج ففتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب في سنة 584هـ/ 1188م ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان: 1/ 182،467 .

(2) عينتاب: وهي قلعة حصينة بين حلب وأنطاكية ومن أعمال حلب. ينظر: نفسه 3/ 176.

(3) دربساك:وهي قلعة قريبة من أنطاكية. ينظر: أبو شامة، الروضتين:4/ 38.

(4) ابن أيبك، كنز الدرر: 8/ 283 ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 7/ 299.

(5) رنسيمان، تأريخ الحروب الصليبية:3/ 564 ؛ اللهيبي، مملكة أرمينية، ص123.

(6) -قداوي، التحالف المغولي الأرمني الصليبي، مجلة التاريخ العربي المغربية، ع 10، 1999م، ص11 ؛ العسلي، فن الحرب، ص 252.

(7) العيني، عقد الجمان: 2/ 271.

(8) تاريخ مختصر الدول، ص 289.

المعركة الحاسمة عند أطراف مدينة حمص، حيث معسكر القوات المملوكية التي كانت لها الغلبة، فألحقت بالمغول وتابعيهم من الجورجيين والأرمن هزيمة ساحقة وفر الباقون، إلا أنهم لم يكونوا أوفر حظاً من المرة الأولى، فوقعوا في كمين أعدته لهم القوات المملوكية، فَقُتل وأُسِر معظمهم بحيث أشار المؤرخون إلى ذلك من خلال قولهم ((لم ينجُ منهم إلا دون العشرين)) [1] بذلك الانتصار الذي حققه المماليك على المغول والجورجيين والأرمن بدأوا يعدون العدة من أجل توجيه ضربة تأديبية انتقامية لمملكة جورجيا ومملكة أرمينية الصغرى، لقاء اشتراكهم مع المغول واعتدائهم على الأراضي المملوكية، فسيروا حملة إلى مملكة أرمينية الصغرى في سنة 682 هـ/ 1283م واكتسحت الأراضي الأرمنية، وعادت محملة بالغنائم[2].

أما مملكة جورجيا فلم يتسنَ للمماليك تسيير حملة عسكرية إليها بسبب بعدها عن مقر السلطنة من ناحية، ووعورة الأراضي وصعوبة مناخها من ناحية أخرى فضلاً عن انشغال المنصور قلاؤون في مقارعة الصليبيين في بلاد الشام من أجل القضاء عليهم، كما أن قيام ملك جورجيا بمحاولات استرضاء المماليك، أدى إلى توقفهم عن القيام بمهاجمتها، وخاصةً أن الملك ديمتري أدرك حقيقة ضعف أسياده المغول، وشعر بأن مملكته ستكون الهدف اللاحق للمماليك بعد مملكة أرمينية، فأرسل إلى السلطان يسترضيه من خلال إرسال الهدايا والأموال، وكتب على نفسه عهداً بعدم النكث ومما يدل على وجود المراسلات بين مملكة جورجيا وسلطنة المماليك ما أورده القلقشندي عن رسم المراسلة بينهم والتي تضمنت الصيغة التي ارسلها ملك جورجيا إلى السلطان المملوكي ((أدام الله بهجة الحضرة العلية، حضرة الملك الجليل، الهمام، الباسل، الضرغام، السميدع [ السيد الكريم]، الكرار، الغضنفر، المتوج، العالم في ملته، العادل في رعيته، بقية الملوك الإغريقية،

---

(1) الهمذاني، جامع التواريخ: مج 2/ ج2/ 83ـ84 ؛ المقريزي، السلوك: ج1/ ق2/ 698.

(2) المقريزي، نفسه: ج2/ ق3/ 716 ؛ سرور، دولة بني قلاؤون، ص224 ؛ اللهيبي، مملكة أرمينية الصغرى، ص124.



سلطان الكرج، ذخر ملك البحار والخلج، حامي حمى الفرسان، وارث آبائه في الأسر والتيجان، سياج بلاد الروم وإيران، سليل اليونان، خلاصة ملوك السريان، بقية أبناء التخوت والتيجان، معز النصرانية، مؤيد العيسوية، مسيح الأبطال المسيحية، معظم البيت المقدس بعقد النية عماد بني المعمودية، ظهير الباب بابا رومية، مَواد المسلمين، خلصة الأصدقاء المقربين صديق الملوك والسلاطين)) [1].

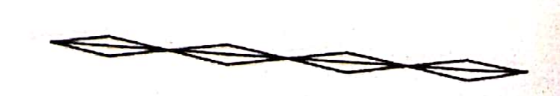
إن الصيغة التي خاطب بها ملوك الأرمن سلاطين المماليك وما وصفوهم به تعد دليلاً كبيراً على قوة المماليك آنذاك وضعف مملكة جورجيا بسبب سوء أوضاعها الداخلية المضطربة مّما أدى بهؤلاء الملوك إلى التمجيد والتكبير في أوصاف السلطان المملوكي من أجل كسب وده وضمان عدم الإغارة على بلادهم.

وعلى الرغم من تلك المراسلات والعهود والمواثيق التي قطعها ملوك جورجيا للمماليك على أنفسهم من ناحية، وكرههم للمغول من ناحية أخرى، فقد اشتركوا معهم في الإغارة على مناطق نفوذ المماليك في بلاد الشام والمناطق الأخرى، وربما يرجع ذلك إلى خشيتهم من بطش المغول القريبين منهم مقارنةً ببعدهم عن المماليك، إذ إن مملكة جورجيا كانت تقع بين ايلخانية المغول في بلاد فارس ومغول القفجاق (القبيلة الذهبية) في جنوب روسيا فضلاً عن استغلالهم للظروف التي كانت تمر بها دولة المماليك بسبب حركات التمرد والعصيان التي شغلتهم بالأمور الداخلية، وصرفت أنظارهم عن الأخطار الخارجية وخاصةً بعد مقتل السلطان الأشرف خليل في سنة 692هـ/ 1293م واستبداد الأمراء الكبار بأمور السلطنة، واستمر الحال على هذا النحو حتى سنة 708هـ/ 1308م، عندما تولى السلطنة للمرة الثالثة، وقبض على زمام الأمور بيد من حديد[2].

(1) القلقشندي، صبح الأعشى: 8/ 28.

(2) للمزيد من التفاصيل عن الأوضاع الداخلية لدولة المماليك البحرية في تلك الحقبة ينظر: سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص101 ـ 125.





كما أسهم الجورجيون في عهد الملك داؤد السابع (691-701هـ/ 1292-1301م) إلى جانب المغول في الإغارة على بلاد الشام في سنة 699هـ/ 1299م، وتحت قيادة غازان خان بن ارغون بن هولاكو، فعبرت تلك القوات نهر الفرات ونازلت مدينتي حلب وحماه حتى وصلت وادي مجمع المروج القريب من حمص، فخرج السلطان الناصر محمد بن قلاؤون لملاقاتهم على رأس القوات المصرية والشامية فضلاً عن مقاتلين من العرب والتركمان فالتقت قواته بالقوات المغولية والقوات التابعة لها في وادي الخزندار الواقع شرقي حمص وعلى بعد ثلاثة فراسخ أي ما يقارب الستة كيلومترات عنها إلا أن القوات الجورجية والمغولية أحاطت بالقوات المملوكية، ونجحت في إلحاق الهزيمة بها، مما اضطرها إلى الانسحاب إلى الديار المصرية، وبذلك استولت القوات المعادية على بلاد الشام باستثناء مدينة دمشق، وبهذه الطريقة يكون الجورجيون قد أدوا دوراً كبيراً في رجحان الكفة لصالح المغول [1] مما شجعهم على القيام بحملتين أخر تين في سنتي 700هـ/ 1300م و 702هـ/ 1303م، إلا أنهم فشلوا في المرة الأخيرة، التي مثلت آخر حملة مغولية كبيرة على بلاد الشام تشترك فيها القوات الجورجية [2].

لم يلبث الملك داؤد السابع ملك جورجيا أن أرسل رسولاً في سنة 705هـ/ 1305م إلى نائب السلطنة في مدينة القدس يستعطفه ويطلب منه إعادة الكنيسة المصلبة [3] التي أخذت من أيديهم في عهد الناصر محمد بن قلاؤون، فأرسل النائب إلى الأبواب

(1) ابن العبري، تأريخ الدول السرياني، مجلة المشرق اللبنانية، ع50، 1956م، ص411 ؛ الدويهي، تاريخ الأزمنة، ص157.

(2) المقريزي، السلوك: ج1/ ق3/ 886، 908-909، 930-933.

(3) الكنيسة المصلبة: وهي الكنيسة المختصة بطائفة الكرج، وتقع في ظاهر القدس من جهتها الغربية، وهي أحد أعمدة الكنائس النصرانية، ينظر: أبو اليمن مجير الدين العليمي الحنبلي، الأنس الجليل بتأريخ القدس والخليل، (النجف: 1968م): 2/ 50.



السلطانية يطلعهم على الأمر، فحازوا على عطف السلطان، فأمر في إرجاعها إليهم، فتسلموها في السنة ذاتها [1].

وعلى ما يبدو ان تغير مسار السياسة الجورجية التي اتبعها الملوك الجورجيون من خلال تخليصهم عن المغول حلفائهم بالأمس، والسعي لكسب ود المماليك يرجع إلى ضعف قوة المغول ووهنها في تلك الحقبة مقارنة بقوة المماليك من ناحية، وما كانت تتطلبه أهدافهم ومصالحهم من ناحية أخرى، من أجل تأمين بلادهم من الغارات المملوكية، إذ لم تعد للجورجيين القوة الكافية من أجل الدفاع عن بلادهم بعد ما عانوه من ويلات الحروب ودمارها فضلاً عن هدف آخر هو استرجاع الأماكن الدينية التابعة لهم في مدينة القدس مستغلين التسامح الذي كان يتصف به المسلمون.

واستمرت العلاقات الجورجية المملوكية تسير بشكل حسن، وكان المماليك يتبعون سياسة اللين والعطف والتسامح الديني معهم، كما هو الحال مع الطوائف النصرانية الأخرى التي تعيش ضمن مناطق نفوذهم، وفي الوقت ذاته كانت بعض الأديرة النصرانية تحت وصاية المماليك، فأرسل ملك جورجيا في سنة 712هـ/ 1312م إلى السلطان الناصر محمد بن قلاؤون يطلب منه ردَّ تلك الأديرة الواقعة في مدينة القدس إلى الطوائف النصرانية التابعة لها،وخاصةً دير سانت جيمس [ القديس جورج ] التابع للجورجيين والأرمن، فأعادها السلطان لهم، وأكرم رسل ملك جورجيا وأعادهم إلى بلادهم محملين بالهدايا [2] فضلاً عن قيامه ببناء كنيسة لملك جورجيا في مدينة القدس من دون أن يطلب منه ذلك ((وأذن بعمارة كنيسة لملك الكرج))[3].

ونخلص من ذلك إلى أن السفارات التي كان يرسلها ملوك جورجيا إلى سلاطين المماليك في مصر، تعد خيرَ دليل على انصياع الجورجيين للمماليك من ناحية فضلاً عن

---

(1) القلقشندي، صبح الأعشى: ج8/ 280 ؛ العليمي، نفسه: 2/ 50.

(2) *Sanjian , Armenian Communities In Syria , P. 172.*

(3) أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، (الهند: 1972م): 6/ 162.

سوء الأوضاع الداخلية ـ الاقتصادية والاجتماعية ـ التي عانت منها مملكة جورجيا بسبب الضرائب الفادحة المفروضة عليها من جانب المغول من ناحية أخرى.

وكان لمعاهدة الصلح المعقودة بين المغول والمماليك في سنة 723 هـ/ 1323م أثرها في تحسن العلاقات الجورجية المملوكية، إذ أدرك الجورجيون أن هذه المعاهدة قد أفقدتهم حليفاً قوياً، وربما يصبح حليفهم السابق عدواً جديداً بموجب هذه المعاهدة إذ ما اعتدوا على أراضي الدولة المملوكية [1] واستمر الحال على ذلك حتى سنة 790هـ/ 1388م حيث الغزو التيموري الذي داهم مملكة جورجيا وأخضعها لسيطرته، وهدد مناطق نفوذ المماليك في كل من مصر والعراق وبلاد الشام واسيا الصغرى، فأضطر المماليك إلى اتخاذ موقف المدافع عن ممتلكاتهم، وعدم السعي إلى إثارة القوى المجاورة الأخرى، فأدى ذلك إلى توقف العلاقات الجورجية المملوكية.

---

(1) المقريزي، السلوك: ج2/ ق1/ 209 ـ 210.

## المبحث الثالث

## الغزو التيموري وانهيار مملكة جورجيا 790هـ/1388م

بدأ خطر التتار يتجدد بظهور شخصية قيادية جديدة تقودهم في غزوهم لمنطقة الشرق وتمثلت هذه الشخصية بتيمورلنك الذي اقترن اسمه بجميع العمليات العسكرية بل وتعداه إلى انتساب قومه إليه، فأطلقت المصادر والمراجع التأريخية [1] على غزوه تسمية (الغزو التيموري) وعلى قومه تسمية (التيموريين)، فإن دل هذا على شئ فإنما يدل على الأهمية التي تمتع بها تيمورلنك بالنسبة للتتار من ناحية، وأثره البارز في أحداث العصر آنذاك والتي تعد نقطة تحول في التأريخ السياسي للمنطقة من ناحية أخرى.

ولد تيمورلنك في بلاد ما وراء النهر (بخارى وسمرقند) وهو من أصول تترية وينتسب إلى قبيلة جور كان المتفرعة من قبيلة برلاس التترية، وأطلق عليه تسمية تيمور كوركان ومعناها صهر الملوك، والاسم الأصلي له متكون من مقطعين الأول هو(تمر) ثم أضيف إليه المقطع الثاني (لنك) ومعناه الأعرج لإصابته في فخذه[2] وما لبث أن تمكن من بسط نفوذه على بلاد ما وراء النهر وخراسان وطبرستان وبلاد الجزيرة [3] وبلاد فارس وعاصمتها تبريز في سنة 788هـ/ 1386م بعد أن قتل حاكمها ودمرها [4] ثم اتجه صوب بلاد الأناضول وأرسل إلى صاحب ماردين يأمره بالإذعان لطاعته،

---

(1) المقريزي، السلوك: ج3/ ق2/ 542، 552 ـ 554 ؛ حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، (القاهرة: 1966م)، ص121.

(2) عبد السيد، المرجع نفسه، ص121، هامش(1)؛ سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ص41. وللمزيد من التفاصيل عن تيمورلنك. ينظر: الصلابي، الدولة العثمانية، ص 91.

(3)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 12/ 264 ؛ شهاب الدين أبو العباس احمد بن عربشاه، عجائب المقدور في غرائب تيمور، تحقيق: احمد فائز الحمصي (القاهرة: 1986م)، ص 84 .

(4) المقريزي، السلوك:ج3 / ق2 / 542 ؛ ابن تغري بردي، نفسه: 12/ 43ـ44 ؛ ابن عربشاه، نفسه، ص 84 –85.





## المبحث الثالث

## الغزو التيموري وانهيار مملكة جورجيا 790هـ/1388م

بدأ خطر التتار يتجدد بظهور شخصية قيادية جديدة تقودهم في غزوهم لمنطقة الشرق وتمثلت هذه الشخصية بتيمورلنك الذي اقترن اسمه بجميع العمليات العسكرية بل وتعداه إلى انتساب قومه إليه، فأطلقت المصادر والمراجع التأريخية [1] على غزوه تسمية (الغزو التيموري) وعلى قومه تسمية (التيموريين)، فإن دل هذا على شئ فإنما يدل على الأهمية التي تمتع بها تيمورلنك بالنسبة للتتار من ناحية، وأثره البارز في أحداث العصر آنذاك والتي تعد نقطة تحول في التأريخ السياسي للمنطقة من ناحية أخرى.

ولد تيمورلنك في بلاد ما وراء النهر (بخارى وسمرقند) وهو من أصول تترية وينتسب إلى قبيلة جور كان المتفرعة من قبيلة برلاس التترية، وأطلق عليه تسمية تيمور كوركان ومعناها صهر الملوك، والاسم الأصلي له متكون من مقطعين الأول هو(تمر) ثم أضيف إليه المقطع الثاني (لنك) ومعناه الأعرج لإصابته في فخذه[2] وما لبث أن تمكن من بسط نفوذه على بلاد ما وراء النهر وخراسان وطبرستان وبلاد الجزيرة [3] وبلاد فارس وعاصمتها تبريز في سنة 788هـ/ 1386م بعد أن قتل حاكمها ودمرها [4] ثم اتجه صوب بلاد الأناضول وأرسل إلى صاحب ماردين يأمره بالإذعان لطاعته،

---

(1) المقريزي، السلوك: ج3/ ق2/ 542، 552 ـ 554 ؛ حكيم أمين عبد السيد، قيام دولة المماليك الثانية، (القاهرة: 1966م)، ص121.

(2) عبد السيد، المرجع نفسه، ص121، هامش(1)؛ سلطان، تأريخ الدولة العثمانية، ص41. وللمزيد من التفاصيل عن تيمورلنك. ينظر: الصلابي، الدولة العثمانية، ص 91.

(3)ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: 12/ 264 ؛ شهاب الدين أبو العباس احمد بن عربشاه، عجائب المقدور في غرائب تيمور، تحقيق: احمد فائز الحمصي (القاهرة: 1986م)، ص 84 .

(4) المقريزي، السلوك:ج3 / ق2 / 542 ؛ ابن تغري بردي، نفسه: 12/ 43-44 ؛ ابن عربشاه، نفسه، ص 84 –85.





إلا أن الأخير رفض ذلك، فسار تيمورلنك بقواته إليها وأخضعها لسلطته [1] ومنها توجه إلى بلاد القوقاز المتمثلة بأرمينيا وأذربيجان وجورجيا، ونجح في فرض سيطرته عليها، ودخل العاصمة الجورجية تفليس في سنة 790هـ / 1388م، بعد أن اكتسح المملكة بشكل كامل، ودمرها واحرق المدن المشهورة فيها[2] واجبر ملكها بقراط الخامس (762_798هـ/ 1360_1395م) على دخول الإسلام [3] وعاد إليها مرة أخرى في سنة 796هـ/ 1394م، وفعل بها ما يفعل بكل بلد يمر به [4] وبعد الملك بقراط الخامس تولى الحكم ولده جورج السابع (762-808هـ/ 1395-1405م) الذي تخلى عن الحكم لولده قسطنطين الأول (808-815هـ/ 1405-1412م) ومن بعد تولى الحكم ولده الاسكندر الأول (815-846هـ/ 1412-1442م)، وهو فتى قاصر في سن الثامنة من العمر ودام حكمه ثمان وعشرين سنة، وامتاز حكمه بنوع من القوة، مما أنعش المملكة نوعاً ما، إلا أن نهاية حكمه كانت بداية النهاية للوحدة والاستقلال الجورجي، إذ قسم المملكة بين أبنائه الثلاثة، فوضع منطقة قارتلي تحت حكم ولده الكبير اختانغ (846-850هـ/ 1442- 1446م)، ومنطقة إيمرتي تحت حكم ولده الأوسط ديمتري الثالث (850-857هـ/ 1446-1453م)، في حين نصب ولده الأصغر جورج الثامن (850 - 870هـ/ 1446-1465م) على منطقة قاختي، فأدى ذلك التقسيم إلى ضعف المملكة وانهيار وحدتها، إذ سهل عملية انسلاخ الأجزاء المتبقية عن المملكة،فأصبح كل منهم له كيانه السياسي المستقل تحت حكم أحد أبناء الأسرة البقراطية [5] ودخلوا في حالة صراع وتنافس فيما بينهم، استغلته القوى السياسية الكبرى في المنطقة كالفرس الذين استولوا عليها حتى سنة 985هـ/ 1577م، وعينوا عليها أمراء

---

(1) المقريزي، نفسه: ج3/ ق2/ 787 ـ 788.

(2) الدمشقي، شذرات الذهب: 3/ 345.

(3) المقريزي، السلوك: ج3/ ق2/ 787 ـ 788.

(4) الدمشقي، شذرات الذهب: 3/ 345.

(5) عزت، تأريخ القوقاز، ص 40 ـ 41 ؛ صبرة، دراسات، ص511 ـ 512.

فرس بدلاً من أمرائها المحليين، إلا أن الانتصارات التي حققها الأتراك العثمانيون عليهم في عهد السلطان مراد الثالث، أدت إلى انتقال الأراضي الجورجية إلى السيادة العثمانية في أواخر سنة 985هـ/ 1577م[1]، وعينوا الأمراء الجورجيين سناجق (حكاماً) عليها في سنة 986هـ/ 1578م[2] وبقيت تحت السيادة العثمانية حتى سنة 1195هـ/ 1787م، حيث تنازل العثمانيون عن حمايتها للروس في تلك السنة[3] فاستمر ذلك الوضع حتى ضمت تلك الكيانات إلى الأملاك الروسية بعد صراع مع العثمانيين من أجل الاستيلاء عليها[4].

---

(1) المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 261.

(2)المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 262.

(3) للمزيد من التفاصيل عن الصراع العثماني الروسي في تلك الحقبة ينظر: نفسه، ص 359 ـ 361 ؛ سلطان، تاريخ الدولة العثمانية، ص218،325.

(4) عزت، تاريخ القوقاز، ص 40 ـ 41 ؛ صبرة، دراسات، ص511 ـ 512.

# الملاحق

## ملحق رقم (1)

### جداول يبين أسماء الملوك الجورجين مع فترات حكمهم [1]

1. اشوط الأول بن سمباط (237–277هـ/ 852 –890م) [2]
2. سمباط الأول بن اشوط (277– 302هـ/ 890–914م)
3. آشوط الثاني بن سمباط الأول (302–317هـ/ 914–929م)
4. داؤد الأول بن سمباط (317–391هـ/ 914–1000م) [3]
5. داؤد الثاني بن سمباط (391–399هـ/ 1000–1008م)
6. بقراط الثالث بن سمباط (399–405هـ/ 1008–1014م)
7. جورج الأول بن بقراط الثالث (405–410هـ/ 1014–1019م)
8. بقراط الرابع بن جورج الأول (418–465هـ/ 1027–1072م)
9. جورج الثاني بن بقراط الرابع (465–482هـ/ 1072–1089م)
10. داؤد الثالث بن جورج الثاني (482–518هـ/ 1089 –1124م) [ الملقب بالمجدد]
11. ديمتري الأول بن داؤد الثالث (518–559هـ/ 1124–1156م) [ الملقب بحسام أو سيف المسيح]
12. داؤد الرابع بن ديمتري الأول (551–551هـ/ 1156–1156م) [ حكم ستة اشهر ]

---

(1) تم إعداد الملحق بالاعتماد على:
C. Toumanoff, Armenia And Georgia , in Cambridge Mediaeval History (Cambridge: 1953)

(2) حكم تحت لقب أمير أو قربلاط حتى سنة 272هـ/ 885م، واصبح ملكاً بعد هذا التاريخ باعتراف كل من الخليفة العباسي والإمبراطور البيزنطي.

(3) اعترف بالإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني وريثاً له على مملكة جورجيا في سنة 386هـ/ 996م، اثر الضغط والتهديد البيزنطي له باحتلال مملكته وتدميرها. ينظر: العريني، الدولة البيزنطية، ص 619 ؛ صبرة، دراسات، ص 434.



13. جورج الثالث بن ديمتري الأول (551-580هـ/ 1156- 1184م) [ شقيق الملك داؤد الرابع ]
14. ثمارا ابنت ديمتري الأول (580-609هـ/ 1184-1212م)
15. جورج الرابع بن ثمارا (609-620هـ/ 1212 - 1223م) [ الملقب بجورج لاشا أي الملك الجليل ]
16. روسودان بنت ثمارا (620-643هـ/ 1223-1245م) [ الملقبة بالملكة اللعوب ]
17. داؤد الخامس بن روسودان (643-667هـ/ 1245-1269م) [الملقب داؤد السلجوقي ][1]
18. داؤد السادس بن جورج الرابع (672-688هـ/ 1273-1289م) [ابن شقيق الملكة روسودان][2]
19. ديمتري الثاني بن داؤد السادس (688-691هـ/ 1289-1291م)
20. اختانغ الثاني بن داؤد السادس (688-691هـ/ 1289-1291م)
21. داؤد السابع ابن ديمتري الثاني (691-701هـ/ 1291-1301م)
22. اختانغ الثالث بن ديمتري الثاني (701-707هـ/ 1301-1307م)
23. جورج الخامس بن داؤد السابع (707-714هـ/ 1307-1314م)
24. جورج السادس بن ديمتري الثاني (714-747هـ/ 1314- 1346م)
25. داؤد الثامن بن جورج السادس (747-762هـ/ 1346-1360م)
26. بقراط الخامس بن داؤد الثامن (762-798هـ/ 1360-1395م)

---

(1) داؤد الخامس هو آبن روسودان من زوجها السلجوقي، لذا فقد لقب بـ داؤد السلجوقي، اصبح ملكاً على تفليس.

(2) هو داؤد السادس بن الملك جورج الرابع بن الملكة ثمارا ، والوريث الشرعي للحكم، ولكن لصغر سنه تولت العرش عمته الملكة روسودان على أن يتم اعتلائه للعرش بمجرد بلوغه، إلا إن روسودان نصبت ولدها داؤد الخامس من زوجها السلجوقي ملكاً من بعدها، ممّا أدّى الى تنازعه مع آبن خاله داؤد السادس بن جورج الرابع، فاحتكموا الى المغول فتم تقسيم مملكة جورجيا فيما بينهما، فاصبح داؤد السادس ملكاً على ابخازية للفترة (1245-1273م)، بينما نصب داؤد الخامس ملكاً على تفليس، وبقي ملكاً عليها حتى وفاته في سنة 1269م، فعين المغول ولده الذي تزوج من اوجتاي بنت آباقا بن هولاكو، إلا ان ضعف حكمه على تفليس وعدم رغبة المغول فيه مكن الملك داؤد السادس من ضم تفليس إلى حكمه في سنة 1273م.

27. جورج السابع بن بقراط الخامس (798-808هـ/ 1395-1405م) [1]

28. قسطنطين الأول بن بقراط الخامس (808-815هـ/ 1405-1412م)

29. الاسكندر الأول بن بقراط الخامس (815-849هـ/ 1412-1445م)[2]

30. اختانغ الرابع بن الاسكندر الأول (849-850هـ/ 1445-1446م) [3]

31. ديمتري الثالث بن الاسكندر الأول (850-857هـ/ 1446-1453م) [4]

32. جورج الثامن بن الاسكندر الأول (850-870هـ/ 1446-1465م) [5]

33. بقراط السادس بن جورج الثامن (870-883هـ/ 1465-1478م) [6]

34. قسطنطين الثاني بن ديمتري الثامن (883-911هـ/ 1478-1505م)

---

(1) تخلى عن الحكم لولده قسطنطين الأول،بعد ان ترهبن ودخل الدير.

(2) حكم المملكة وهو فتى قاصر ودام حكمه ثمان وعشرين سنة، وامتاز عهده بنوع من القوة، إلا ان بداية النهاية للاستقلال الجورجي كانت في نهاية عهده اذ قسم المملكة بين آبنائه الثلاثة.

(3)أصبح حاكماً على منطقة قارتلي

(4)أصبح حاكماً على منطقة ايمرتي

(5) أصبح حاكماً على منطقة قاختي

(6) امتازت المدة بعد هذا التاريخ بالصراعات بين آبناء البيت الحاكم في جورجيا على مناطق الحكم، فضلاً عن ان جميع الملوك الذين تولوا كانوا ضعاف الى درجة كبيرة واستمرت الحالة على هذا المنوال حتى السيطرة الفارسية عليها في سنة 1577م، فولى الفرس عليها ولاة تابعين لهم.

## ملحق رقم(2)

## خارطة تمثل الموقع الجغرافي لمملكة جورجيا في العصور الوسطى



# ثبت المصادر والمراجع

## أولا: المخطوطات


1. ابن النجار، محب الدين محمد بن محمود البغدادي (643هـ/ 1245م).

ـ ذيل التأريخ لمدينة السلام وأخبار فضلائها الأعلام ومن وردها من العلماء الأنام، مخطوط في مكتبة المجمع العلمي العراقي تحت رقم "28 تأريخ"، مج10.


## ثانياً: المصادر الأولية

### أ ـ المصادر العربية


1. ابن الأثير، عز الدين محمد بن محمد بن أبي الكرم (ت 630هـ/ 1232م).

ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد إبراهيم البناء وآخرون، دار الشعب، بيروت، د/ ت..

ـ الكامل في التأريخ، دار صادر، بيروت، 1966م.

2. الاصطخري، إبراهيم بن محمد الفاسي (341هـ/ 952م).

ـ المسالك والممالك، تحقيق: محمد جابر، دار القلم، القاهرة، 1961م.

3. الاصفهاني، محمد بن محمد الكاتب (597هـ/ 1199م).

ـ الفتح القسي في الفتح القدسي، القاهرة، مطابع الموسوعات، القاهرة، 1321هـ

4. ابن أيبك، أبو بكر بن عبد الله بن ايبك الدواداري (732هـ/ 1239م).

ـ كنز الدرر وجامع الغرر، قسم الدراسات الإسلامية، القاهرة، 1971م.

5. ابن بطريق، يحيى بن سعيد الأنطاكي (328هـ/ 939م).

ـ التأريخ المجموع على التحقيق والتصديق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت،1954م .

6. البلاذري، الإمام أبو الحسن (279هـ/ 892م).

ـ فتوح البلدان،مراجعة: رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.




7. البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني (642هـ/ 1244م).

ـ تأريخ دولة آل سلجوق، د / م، بيروت،1960م.

ـ تأريخ دولة آل سلجوق، ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1980م.

8. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف (874هـ/ 1469م).

ـ المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1956م.

ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مطابع كوستاتسومات، القاهرة، د / ت..

9. ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/ 1200م).

ـ المنتظم في تأريخ الملوك والأمم: تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.

10. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (852هـ/ 1448م).

ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، محمد عبد المعيد خان، الهند، 1972م.

11. الحسيني، صدر الدين بن علي (624هـ/ 1226م).

ـ أخبار الدولة السلجوقية، اعتناء:محمد إقبال، دار الآفاق الجديدة، بيروت،1984م.

12. الحموي، أبو الفضائل محمد بن علي (631هـ/ 1233م).

ـ التأريخ المنصوري، باعتناء: بطرس غريازنيونج، دار الآداب الشرقية، موسكو، 1963م.

13. الحميري، محمد بن عبد المنعم (900هـ/ 1494م).

ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، د / م ، بيروت،1975م.

14. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي (367هـ/ 977م).

ـ صورة الأرض، مطبعة فؤاد، بيروت، 1934م.

15. ابن خلدون، عبد الرحمن الحضرمي (808هـ/ 1405م).





ـ تأريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، 1979م.

16. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (608هـ/ 1211م).

ـ وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1968م.

17. خورييناتسي، موسيس (توفي في القرن الرابع الميلادي).

ـ تأريخ الأرمن، ترجمة: نزار خليلي، دار اشبيلية للدراسات والنشر، دمشق، 1999م.

18. الدمشقي، عبد الحي بن أحمد العكري (1089هـ/ 1678م).

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: شعيب الارناؤوط ومحمد نعيم، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413م .

19. الدويهي، اسطفانوس (1116هـ/ 1704م).

ـ تأريخ الأزمنة، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1951م.

20. الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (748هـ/ 1347م).

ـ تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، 1988م.

ـ دول الإسلام، باعتناء: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، مطابع قطر الوطنية، قطر، 1988م.

ـ سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الارناؤط ومحمد نعيم، بيروت،1413هـ.

ـ العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ط2، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، 1948م .

21. ابن رجب، زين الدين الحنبلي (795هـ/ 1392م).

ـ الذيل على طبقات الحنابلة، تحقيق: محمد حامد، مطبعة السنة المحمدية، مصر، د / ت.

22. الرمزي، م. م. (1130هـ/ 1717م).

ـ تلفيق الاخبار وتلقيح الاثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، المطبعة الكريمية، اورنبورغ، 1908م.
23. ابن الساعي، أبو طالب علي بن انجب (674هـ1275م).
ـــ الجامع المختصر في التواريخ وجامع السير، تحقيق: جواد علي، المطبعة السريانية، بغداد، 1934م.
24. السبكي، أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (771هـ/ 1369م).
ـ طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط2، هجر للطباعة والنشر، الجيزة، 1992م.
25. السمعاني، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (562هـ/ 1166م).
ـ التحبير في المعجم الكبير، تحقيق: منيرة ناجي سالم، د / م، د/ م، د / ت .
26. السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن بن أبي بكر (911هـ/ 1505م).
ـ تأريخ الخلفاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط1، مطبعة السعادة المصرية، مصر، 1952م.
ـ تأريخ الخلفاء، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1976م.
ـ حسن المحاضرة في تأريخ مصر والقاهرة، دار إحياء الكتب، بيروت، 1968م.
27. الشارتري، فوشيه.
ـ تأريخ الحملة إلى القدس، ترجمة: زياد العسلي، دار الشروق ، عمان: 1990م.
28. أبو شامة، شهاب الدين محمد بن عبد الرحمن بن إسماعيل (665هـ/ 1266م).
ـ الذيل على الروضتين، باعتناء: عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، 1974م.
ـ الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، دار الجليل، بيروت، د. ت..
29. ابن شداد، بهاء الدين (632هـ/ 1234م).



ـ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق: محمد جمال الدين الشيال، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1964م.

30. ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (684هـ/ 1285م).

ـ تأريخ الملك الظاهر، باعتناء: أحمد حطيط ، مطابع مركز الطباعة الحديثة، بيروت، 1983م.

31. الصوري، وليم (580هـ/ 1185م).

ـ تأريخ الحروب الصليبية الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 1990م.

32. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ/ 922م).

ـ تأريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1979م.

33. ابن عبد الحق، صفي الدين بن عبد المؤمن (739هـ/ 1338م).

ـ مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق:علي محمد النجاوي،دار المعرفة للطباعة، بيروت، 1955م.

34. عبد الظاهر، محيي الدين (692هـ/ 1294م).

ـ الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: ابن عبد العزيز الخويطر، د / م، الرياض، 1976م .

35. ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس الملطي (683هـ/ 1284م).

ـ تأريخ الدول السرياني، منشور في مجلة المشرق اللبنانية، تعريب، الاب اسحاق ارملة، ع48، ع 50، 1956 م.

ـ تأريخ الزمان، ترجمة: اسحق أرملة، دار المشرق، بيروت، 1991م.

ـ تأريخ مختصر الدول، ط2، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م.

36. ابن العديم، كمال الدين أبو القاسم محمد بن أحمد (660هـ/ 1261م).

ـ بغية الطلب في تأريخ حلب، باعتناء، علي سويم، د.م.، أنقرة، 1976م.

ـ بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر،بيروت ، 1988م.
ـ زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق: سامي دهان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1958م.

37. العظيمي، أبو عبد الله محمد بن علي (557هـ/ 1160م).
ـ تاريخ العظيمي، الموسوعة الشامية الشاملة، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق ، 1995م.

38. ابن عربشاه، شهاب الدين أبو العباس أحمد (ت854هـ/ 1450م).
ـ عجائب المقدور في غرائب تيمور، تحقيق: أحمد فائز الحمصي، مطابع الرسالة، القاهرة: 1986م.

39. العليمي، أبو اليمن مجير الدين الحنبلي (928هـ/ 1521م).
ـ الأنس الجليل بتأريخ القدس والخليل، المطبعة الحيدرية، النجف، 1968م.

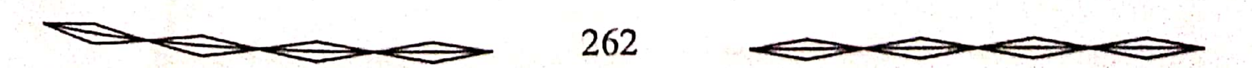
40. ابن العمراني، محمد بن محمد بن على (580هـ/ 1184م).
ـ الأنباء في تأريخ الخلفاء، تحقيق:قاسم السامرائي، بريل، ليدن،1973م.

41. العيني، بدر الدين محمود (855هـ/ 1451م).
ـ عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، ط2، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 1987م.

42. الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي (578هـ/ 1182م).
ـ تاريخ آمد وميفارقين، الموسوعة الشامية الشاملة، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، دمشق، 1995م.
ـ التاريخ الفارقي، تحقيق: بدوي عبد اللطيف، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، القاهرة، 1959م.

43. أبو الفدا، الملك المؤيد إسماعيل بن الملك الأفضل (732هـ/ 1321م).
ـ المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية، القاهرة، 1325هـ.

44. ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (807هـ/ 1404م).



ــ تأريخ ابـن الفـرات، تحقيـق: حـسن الـشماع، دار الطباعـة الحديثـة، البـصرة، 1967م.

45. ابن فضل الله، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيي (749هـ/ 1338م).

ــ التعريف بالمصطلح الشريف، مطبعة العاصمة، مصر، 1952م.

46. ابن الفوطي، كمال الدين أبو الفضل عبد الرزاق (723هـ1323م).

ــ من تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب، تحقيق: مـصطفى جـواد، د / م، دمشق، 1965م.

47. القرماني، أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف (1019هـ/ 1610م).

ــ أخبار الدول وآثار الأول في التأريخ، عالم الكتب، بيروت، د / ت.

48. القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (682هـ/ 1283م).

ــ آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،1960م.

49. ابن القلانسي، أبو يعلي حمزة (555هـ/ 1160م).

ــ ذيل تأريخ دمشق، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908م.

50. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (821هـ/ 1418م).

ــ صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

ــ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق:إبـراهيم الابيـاري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

ــ مـآثر الانافـة في معـالم الخلافـة، تحقيـق: عبـد الـستار أحمـد فـراج، الكويـت، 1985م.

51. الكتبي، ابن شاكر (764هـ/ 1362م).

ــ عيـون التـواريخ، تحقيـق:نبيلـة عبـد المـنعم وفيـصل الـسامر،دار الحريـة، بغداد،1991م.

52. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر (774هـ/ 1372هـ).

ــ البداية والنهاية، دار ابن كثير، بيروت، د / ت.





53. مؤرخ مجهول (634هـ/ 1234م).

ـ تأريخ الرهاوي المجهول، تعرب: الأب البير، مطبعة شفيق، بغداد، 1986م.

54. مؤرخ مجهول (توفي في القرن الثالث الهجري).

ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق، بريل، ليدن، 1869م.

55. المسعودي، أبو الحسن بن علي بن الحسين (346هـ/ 956م).

ـ التنبيه والأشراف، باعتناء: عبد الله الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، 1938م.

ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت: 1966م.

56. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (845هـ/ 1441م).

ـ السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، 1941م.

ـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار صادر ، بيروت: د / ت.

57. الملك الاشرف، عماد الدين أبو العباس إسماعيل بن عباس (803هـ/ 1400م).

ـ العسجد المسبوك والجوهر المحبوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق: شاكر محمود، دار الجليل، دمشق، 1975م.

58. النسوي، محمد بن أحمد (639هـ/ 1241م).

ـ سيرة السلطان جلال الدين منكبرتي، تحقيق: حافظ أحمد حمدي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، 1953م.

59. ابن النظام، محمد بن محمد بن عبد الله (د / ت).

ـ العراضة في الشعر السلجوقي، تعريب: عبد المنعم محمد حسنين، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1979م.

60. النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي (978هـ/ 1570م).





ـ الدارس في تأريخ المدارس، تحقيق: إبراهيم شمس الـدين، دار الكتـب العلميـة، بيروت،1410هـ.

61. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (733هـ/ 1332م).

ـ نهاية الأرب في فنون العرب،تحقيق: محمد أبـو الفـضل، الهيئـة المـصرية العامـة للكتاب، القاهرة، 1943م.

62. الهمذاني، رشيد الدين فضل الله (718هـ/ 1318م).

ـ جامع التواريخ، ترجمة: فؤاد عبد المعطي الصياد، مطبعة عيسى البـابي وشـركائه، القاهرة، د/ت.

63. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (697هـ/ 1297م).

ـ مفرج الكروب في أخبار بني أيـوب، تحقيـق: حـسنين محمـد ربيـع، مطبعـة دار الكتب، القاهرة، 1972م.

64. ابن الوردي، زين الدين عمر (749هـ/ 1348م).

ـ تأريخ ابن الوردي، تحقيق: أحمد رفعت، دار المعرفة، بيروت، 1970م.

65. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله (626هـ/ 1228م).

ـ معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، 1957م.

66. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (282هـ/ 904م).

ـ تأريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت، د / ت.

67. اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد بن أحمد (726هـ/ 1325م).

ـ ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1954م.

## ب ـ المصادر الفارسية

1. ابن بيبي، يحيى بن محمد بن علي الجعفري الرغدي (674هـ/ 1272م).

ـ الأوامر العلائية في الأمور العلائية، د / م، أنقرة، 1957م.

2. الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (599هـ/ 1202م).





ـ راحة الصدور وآية السرور، مطبعة بريل ـ ليدن،1921م.

**ثالثاً: المراجع العربية والمعربة**

1. أميل، بول.
ـ تأريخ أرمينيا، ترجمة: شكري علاوي، مكتبة الحياة، بيروت، د / ت.
2. أحمد، جمال رشيد.
ـ لقاء الكرد واللان في بلاد الباب وشروان، مطبعة التربية، اربيل، 2001م.
3. ارسلان، أحمد فؤاد.
ـ أرمينية الأمة والدولة، دار الأمين للنشر، القاهرة، 1997م.
4. استارجيان، ك.
ـ تأريخ الأمة الأرمنية، مطبعة الاتحاد الجديدة، الموصل،1951م.
5. بارتولد، فاسيلي فلاديمير.
ـ تأريخ الترك في اسيا الوسطى، ترجمة: سعيد سليمان، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1958م.
6. الباشا، حسن.
ـ الألقاب الإسلامية في التأريخ والوثائق والاثار، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1980م.
7. براور، يوشع.
ـ عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبدة قاسم ومحمد خليفة حسن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، القاهرة، 1999م.
8. تاوضروس،اسحق عبيد.
ـ الدولة البيزنطية في عهد باليوغالوس، د / م، بيروت، د / ت.
9. التكريتي، محمود ياسين.
ـ الأيوبيون في شمال الشام والجزيرة، دار الخلود للطباعة والنشر، بغداد، 1981م.

10. تـوفيق، عمر كمال.

ـ تأريخ الإمبراطورية البيزنطيـة، دار المعارف، القاهرة، 1967م.

11. حسن، حسن إبراهيم .

ـ تأريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهـضة المـصرية، القاهرة، 1967م.

12. حسنين، عبد المنعم محمد.

ـ دولة السلاجقة، دار النهضة، القاهرة، 1975م.

13. حمدي، حافظ أحمد.

ـ الدولة الخوارزمية والمغول، مطبعة الاعتماد، مصر، 1949م.

14. خاتشاتريان، الكساندر.

ـ ديوان النقوش العربية في أرمينية، ترجمة: شوكت يوسف، مطبعـة نـضر، دمـشق، 1993م.

15. الخربطلي، علي حسني.

ـ مصر العربية الإسلامية، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة: 1963م .

16. خليل، عماد الدين .

ـ الإمارات الارتقية في الجزيرة وبلاد الشام، مطابع الرسالة، بيروت 1980م.

17. الخوند، مسعود.

ـ الموسوعة التأريخية الجغرافية، د / م، بيروت، د / م.

18. دانتسيغ، موريس.

ـ الرحالة الروس في الشرق الأوسط، ترجمـة: معـروف خزنـة دار، المركـز الغربـي للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.

19. رايس، تمارا تالبوت.

ـ السلاجقة تـأريخهم وحـضارتهم، ترجمـة: لطفـي الخـوري، مطبعـة الإرشـاد، بغداد،1986م.





20. رستم، أسد.
ـــ الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، دار المكشوف، بيروت، 1956م.
21. رسول، إسماعيل شكر.
ـ الإمارة الشدادية الكردية في بلاد ئاران، مطبعة وزارة التربية، اربيل: 2001م.
22. رنسيمان، ستيفن.
ـــ تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة: الباز العريني، ط2، دار الثقافة، بيروت،1980م.
ـ الحضارة البيزنطية، ترجمة: عبد العزيز توفيق جاويد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1961م.
23. زهر الدين، صالح.
ـ الأرمن شعب وقضية، الدار التقدمية، بيروت، 1998م.
ـــ سياسة الحكومة العثمانية في أرمينيا الغربية، دار الندوة الجديدة، بيروت، 1996م.
24. سرور، محمد جمال الدين.
ـ دولة بني قلاوون، مطبعة الاعتماد، مصر، د / ت.
25. سروييف.
ـ جغرافية الاتحاد السوفيتي، دار التقدم، موسكو، د / ت.
26. سليمان، أحمد السعيد.
ـ تأريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، دار المعارف، القاهرة، 1972م.
27. سليمان، أحمد عبد الكريم.
ـــ المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط،دار النهضة العربية، القاهرة،1982م.
28. سولوفيوف، وآخرون.




ـ جغرافية الاتحاد السوفيتي، دار التقدم، موسكو، 1984م.
29. سيد، أديب.
ـ أرمينية في التأريخ العربي، المطبعة الحديثة، حلب، 1972م.
30. شاكر، محمود.
ـ التأريخ الإسلامي، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1994م.
31. صبرة، عفاف سيد.
ـ دراسات في تأريخ الحروب الصليبية، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، 1986م.
32. الصلابي، علي محمد محمد.
ـ الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2004م.
33. ضومط، انطوان خليل .
ـ الدولة المملوكية التأريخ السياسي والاقتصادي والعسكري (1290-1422م)، الدار الحديثة، بيروت، 1982 م.
34. عاشور، سعيد عبد الفتاح.
ـ الحركة الصليبية، دار النهضة، القاهرة، 1963م.
ـ الظاهر بيبرس، مطبعة مصر، القاهرة، د / ت.
ـ العصر المماليكي في مصر والشام، ط2، دار النهضة العربية،القاهرة،1976م.
ـ مصر في عصر دولة المماليك البحرية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، د / ت.
35. عاشور، فايد حماد.
ـ العلاقات السياسية بين المماليك والمغول، دار المعرفة، القاهرة د / ت.
36. العبادي، أحمد مختار.
ـ قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت: 1969م.





37. عبد الرؤوف، عصام.
ـ بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار القرآن الكريم للطباعة والنشر، القاهرة، 1976م.
38. عبد السيد، حكيم أمين.
ـ قيام دولة المماليك الثانية، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1966م.
39. العبود، نافع توفيق.
ـ الدولة الخوارزمية، مطبعة الجامعة، بغداد، 1978م.
40. العريني، الباز.
ـ الدولة البيزنطية، د / م، القاهرة، 1965م.
ـ المغول، دار النهضة العربية، بيروت،1981م.
41. عزت، يوسف.
ـ تاريخ القوقاز، ترجمة: عبد الحميد غالب، مطبعة عيسى البابي، القاهرة، 1933م.
42. العسلي، بسام.
ـ فن الحرب الإسلامي أيام الحروب الصليبية، دار الفكر، بيروت، 1988م.
43. عمران، محمود سعيد.
ـ الحملة الصليبية الخامسة، مطبعة مصنع الإسكندرية للورق، الإسكندرية، 1970م.
ـ المغول وأوربا، مطابع المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1997م.
44. عنان، محمد عبد الله.
ـ تراجم إسلامية مشرقية وأندلسية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،1970م.
45. الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي الحلبي.
ـ نهر الذهب في تأريخ حلب، المطبعة المارونية، حلب، 1926م.



46. فرج، وسام عبد العزيز.
ــ دراسات في تاريخ وحضارة الإمبراطورية البيزنطية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1982م.
47. فهمي، نعيم زكي.
ــ طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب، مطابع الهيئة المصرية،القاهرة، 1973م.
48. قاسم، قاسم عبدة وآخرون.
ــ ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط، دار التضامن للطباعة، القاهرة، 1982م.
49. القزاز، محمد صالح.
ــ الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة النجف، النجف، 1963م.
50. كروسيه، رينيه.
ــ الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمة: أحمد إيبش، دار قتيبة، بيروت، 2002م.
51. كوك، ريجارد.
ــ بغداد مدينة السلام، ترجمة: فؤاد جميل، مطبعة شفيق، بغداد، د / ت.
52. كول، جي. بي..
ــ جغرافية الاتحاد السوفيتي، ترجمة: وفيق الخشاب، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، 1991م.
53. كويستلر، آرثر.
ــ إمبراطورية الخزر وميراثها، ترجمة حمدي متولي مصطفى صالح، ط2، دار الجليل للطباعة والنشر، دمشق، 1985م.

54. لامب، هارولد.

ـ جنكيز خان إمبراطور الناس كلهم،ترجمة: بهاء الدين نوري، مطبعة السكك الحديدية العراقية، بغداد، 1946م.

55. لسترينج، كي.

ـ بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: كور كيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد،1954م.

56. لين بول، ستانلي.

ـ الدولة الإسلامية، تصحيح: بارتولد، ترجمة: محمد صبحي فرزان، مكتبة الدراسات الإسلامية، دمشق، 1974م.

ـ صلاح الدين وسقوط مملكة القدس، ترجمة: فاروق سعد أبو جابر، مطابع الأهرام، القاهرة، 1995م.

ـ طبقات سلاطين الإسلام، ترجمة: مكي ظاهر الكعبي، دار منشورات البصرة، البصرة، 1968م.

57. ماير، هانس ابرهارد .

ـ تأريخ الحروب الصليبية، ترجمة: عماد الدين غانم، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، ليبيا، 1990م.

58. المحامي، محمد فريد بك.

ـ تأريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت: 1993م.

59. الحيميد، على بن صالح.

ـ الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول، مطبعة شباب الجامعة،الإسكندرية، 1994م.

60. المدور، مروان.

ـ الأرمن عبر التأريخ، منشورات دار الحياة، بيروت، 1982م.

61. مصطفى، شاكر.






ـ دولة بني العباس، وكالة المطبوعات، الكويت، 1974م.
62. الموصلي، لويس رحماني.
ـ مختصر تاريخ القرون الوسطى، دير الآباء الدومينيكيين، الموصل، 1877م.
63. ميخائيلوف.
ـ في ربوع الاتحاد السوفيتي، دار التقدم، موسكو، 1974م.
64. النقشبندي، محمد نجم.
ـ الكرد وكردستان، مطبعة المعروف، بغداد، 2002م.
65. نوري، دريد عبد القادر.
ـ سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد مصر والشام والجزيرة، دار الإرشاد، بغداد، 1976م.
66. نوري، موفق سالم.
ـ العلاقات العباسية البيزنطية (132-247هـ/ 750-861م)، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1990م.
67. هسي، ج. م..
ـ العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد، ط2، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1982م
68. هنتس، فالتر.
ـ المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، مطبعة القوات المسلحة الأردنية، عمان،1970م.
69. وجدي، محمد فريد.
ـ دائرة معارف القرن العشرين، دار الفكر، بيروت، د / ت.
70. اليوسف، عبد القادر أحمد.
ـ علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت: 1969م.



## رابعاً: الأطاريح والرسائل الجامعية

1. الحمداني، هيثم محمود يونس.
ـ الملك العادل الأيوبي دراسة سياسية عسكرية، رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف الأستاذ الدكتور دريد عبد القادر نوري، جامعة الموصل، 2002م.

2. صادق، محمد صالح طيب .
ـ سلاجقة الروم في آسيا الصغرى دراسة في الجوانب السياسية (470ـ634هـ/ 1077-1237م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بإشراف: الأستاذ الدكتور دريد عبد القادر نوري ، جامعة صلاح الدين، 1999م.

3. طه، صلاح الدين أمين.
ـ الحياة العامة في أرمينيا، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بإشراف: الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، جامعة بغداد، 1979م.
ـ فتح العرب لأرمينيا، رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف: الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، جامعة بغداد،1970م.

4. قداوي، علاء محمود خليل.
ـ المغول في الموصل والجزيرة، رسالة ماجستير غير منشورة، باشراف: الاستاذ الدكتور محمود ياسين التكريتي، جامعة الموصل، 1985م.

5. القصاب، محمد يونس فلح.
ـ مغول القفجاق وعلاقتهم السياسية بالمماليك والايلخانيين، رسالة ماجستير غير منشورة ، بإشراف: الأستاذ الدكتور دريد عبد القادر نوري، جامعة الموصل، 2005م

6. اللهيبي، فتحي سالم.
ـ مملكة أرمينية الصغرى، رسالة ماجستير غير منشورة، بإشراف: الدكتور علاء محمود خليل قداوي، جامعة الموصل، 2000م.





7. مجيد، ميسون هاشم.

ـ أوضاع بلاد الشام العامة قبيل الغزو الصليبي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بإشراف: الأستاذ الدكتور عماد الدين خليل، جامعة الموصل، 1996م.

8. النقشبندي، حسام الدين علي غالب.

ـ أذربيجان دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، بإشراف: الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي، جامعة بغداد، 1984م.

## خامساً: البحوث والمقالات

1. آق بيق، محمد بن جميل.

ـ معركة ملاذكرد غيرت مجرى التاريخ، في مجلة منار الإسلام، ع4، 1991م.

2. دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة: أحمد الشنتاوي وآخرون، دار الشعب، القاهرة، 1969م

ـ بارتولد، مادة "ابخاز" دائرة المعارف الإسلامية، مج1.

ـــــ مادة "دربند"، دائرة المعارف الإسلامية، مج 9.

ـــــ مادة "ديلم"، دائرة المعارف الإسلامية، مج 9.

ـــــ مادة "شروانشاه"، دائرة المعارف الإسلامية، مج 14.

ـــــ مادة "تفليس"، دائرة المعارف الإسلامية، مج 4.

ـ سترك، مادة "أرمينيا" دائرة المعارف الإسلامية ، مج1.

3. رشاد، عبد المنعم.

ـ الرعب الذي أحدثه الغزو المغولي، مجلة آداب الرافدين الموصل، ع 2، الموصل، 1971م.

4. عابد، صالح.

ـ الحروب الصليبية دوافعها وبواعثها الممهدة، مجلة المورد، ع4، بغداد، 1987م .

5. العس، محمد أبو الفرج.

ـ أخشاب من تربة خالد بن الوليد، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية، 1969م، مج 19.

6. قداوي، علاء محمود.

ـ التحالف المغولي الأرمني الصليبي، مجلة التأريخ العربي المغربية، ع 10، 1999م.

7. وولف، روبرت لي.

ـ الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية 1204ـ1261، ترجمة: ليلى عبد الجواد، تأريخ الحروب الصليبية، ج1، تحرير: سعيد عبدالله البيشاوي ومحمد مؤنس عوض، دار الشروق، عمان، 2004م.

## سادساً: المصادر والمراجع الأجنبية

1. Benedikz , S. B.

---The Varangians of Byzantinum , Cambridge University , Cambridge , 1978

2. Bartold , S.

---History of The Mongols Based on Eastern and Wastern Accounts of The Thirteen And Fourteen Centuries , Routledge and Keragn Paul , London , 1972.

---The Muslem World , E. G. Brill ,Leiden , 1960.

3. Bosworth , C. E.

---The Political ond Dynastic History of The Iranian World , in Cam. His. of Iran , Cambridge University Press , Cambridge , 1975.

4. Boyle , J. A.

---Dynastic and Political History of The Il– Khans , In The Cambridge History of Iran , Cambridge University Press , Cambridge , 1975.

---The Mongol World Empire 1206 – 1370 , Variorum , London , 1977.

5 . Brehier , L.

---The Life And Death of Byzantium , North Holland Publishing , New York , 1977.

6. Bretschneider , E..

---Mediaeval Researches from Eastern Asiatic Sources , Three Edition , London , Routledge and Kegan Paul LTD , 1967.

7. Brezzi , P.



---History of Mankind Cultural and Scientific Development , Unwin Brothers LTD. , London , 1965 .
8. Cahen , C. ,
--- Pre , Ottoman Turkey , Sidgwick and Jackson Com. , London , 1968 .
9. Clarkson , D. J.
---History of Russia From The Ninth Century , Longmans , Edinburgh , 1962
10. Commena , Anna
---The Alexiad (Newyork: 1969) , P. 520.
11. Der Nrsessian , S.
--- The Armenians , No. P. , Paress , 1977.
12.Diehl Charles.
---Byzantium: Greatness and Decline , Tran. From The French By: Naomi Walford , New Jersey , 1957.
13. Encyclopaedia Britannica , William banton publisher , London , 1966.
--- Art " Georgia ".
---Art " tiflis ".
14. George ,H..
---History of The USSR , Second Edition, Progress Publisher , Moscow , 1977.
15. Gibbon , B. E.
---The History of The Decline and Fall of The Roman Empire , Oxford University Press , London , 1966 .
16. Grousset , R.
--- Histoire Des Croisades , Librairie Plon , Paris , 1936 .
17. Khowiter , A.
---Baibres The first , No P. , London , 1978.
18. Howorth , H. H.
---The History of The Mongols From " 9th To 19 th " Century , No P. , London , 1989 .
19. Lane Pool. S.
--- A history of The Egypt In The Middle Ages ,Fourth Edition , Frank Cass And Co. Ltd. , London , 1968.
20. Lang , D.
--- Armenia Cradle of Civilization , No. p. , London , 1970 .
21. Lyonz , Malcolm Cameron and D. E. P. Jackson
---Saladin The Politics of The Holy War ,No. p , Cambridge , 1988.
22. Madelung , W.



---The minor Dynasties of Northren Iran , in Cam. His. of Iran , Cambridge University Press , Cambridge , 1975.

23. Minorsky , V.

--- A History of Sharvan And Darband in The 11th -19th Centuries , No. p. , Cambridge , 1958 .

---Art " Al Kurdj " in Enc. of Islam , New Edition , No. p. , London , 1981.

--- Studies In Caucasian History , Taylor's Foreign Press , London , 1953.

24. Ostrogorsky , G.

--- History of The Byzantine State , The Alden Press , Oxford , 1968 .

25. Peisker , I. F.

---The Asiatic Bock Ground , in Cam. Med. His. , University press , Cambridge , 1967.

26. Polo , Marco

---The Travels ,Trans. By: Ronald Latham , William Clowes , London , 1958

27. Richard , F.

---Area Hand Book for The Republc Of Turkey , Second Edition , Covern Ment Printing Office , Washington , 1973.

28. Sounders , J. J.

---The History of The Mongol Conquests , Routledge And Kegan Paul , London , 1977 .

29. Sanjjian , A. K.

---The Arminian Communities in Syria Under Ottoman Dominion , Cambridge , Harvard University Press , 1965 .

30. Setton , K. M.

---A History of The Crusades , University of Bensylvania Press , Bensylvania , 1955 .

31. Syedon , Fatima.

---Baybars 1 of Egypt, Paramount Press, Pakistan, 1965.

32. Sykes , Sir Percy

---Persia The Clarenolon Press , Oxford , 1922 .

33. Toumanoff , C.

---Armenia and Georgia , in Cam. Med. His. , University Press , Cambridge , 1953 .

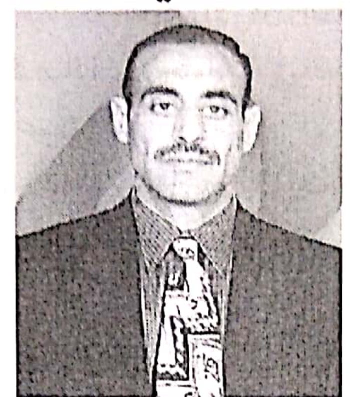
34. Vazilive , A. A.

---History Of Byzantine Empire"324 – 1453", Print Peria , Athens , 1985.





## المؤلف في سطور



الاسم: الدكتور فتحي سالم حميدي اللهيبي

محل وتاريخ الولادة: جمهورية العراق ــــ محافظة نينوى 1974م

العنوان الوظيفي: جامعة الموصل / كلية العلوم الإسلامية / قسم أصول الدين

البريد الالكتروني: fathe.salim@gmail.com

الاختصاص العام: تاريخ إسلامي / الاختصاص الدقيق: التاريخ العباسي

اللقب العلمي: أستاذ مساعد

**الشهادات الجامعية:**

- بكالوريوس / تاريخ / آداب/ جامعة الموصل في 1997م
- ماجستير تاريخ إسلامي / آداب / جامعة الموصل 2000م
- دكتوراه فلسفة في تاريخ إسلامي / آداب / جامعة الموصل2005م

**النشاطات العلمية:**

_ **الكتب المنشورة**:3

1. تاريخ الدولة العباسية (العصر العباسي الثاني) / دار الفكر/ الأردن/ عمان/ 2010.
2. دراسات في علاقة الأرمن والكرج مع القوى الإسلامية في العصر العباسي / دار الكتب العلمية/ بيروت لبنان / 2013.
3. رياح الشرق دراسة تاريخية شاملة للاحتلال المغولي للعراق / دار النهضة العربية / بيروت/ 2013.





_ كتب قيد النشر:

1. الجزيرة العربية في العصور الاسلامية / دار الفكر/ الأردن/ عمان.
2. جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العصر المملوكي "تفسير جديد"/ دار غيداء للطباعة والنشر / الاردن / عمان.

_ عدد البحوث المنشورة ضمن اعمال المؤتمرات والندوات العراقية: 7

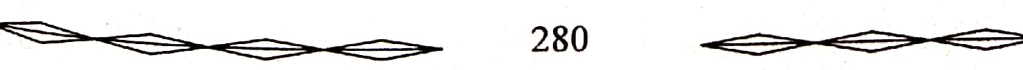
_ عدد البحوث المنشورة في المجلات العراقية والعربية:14

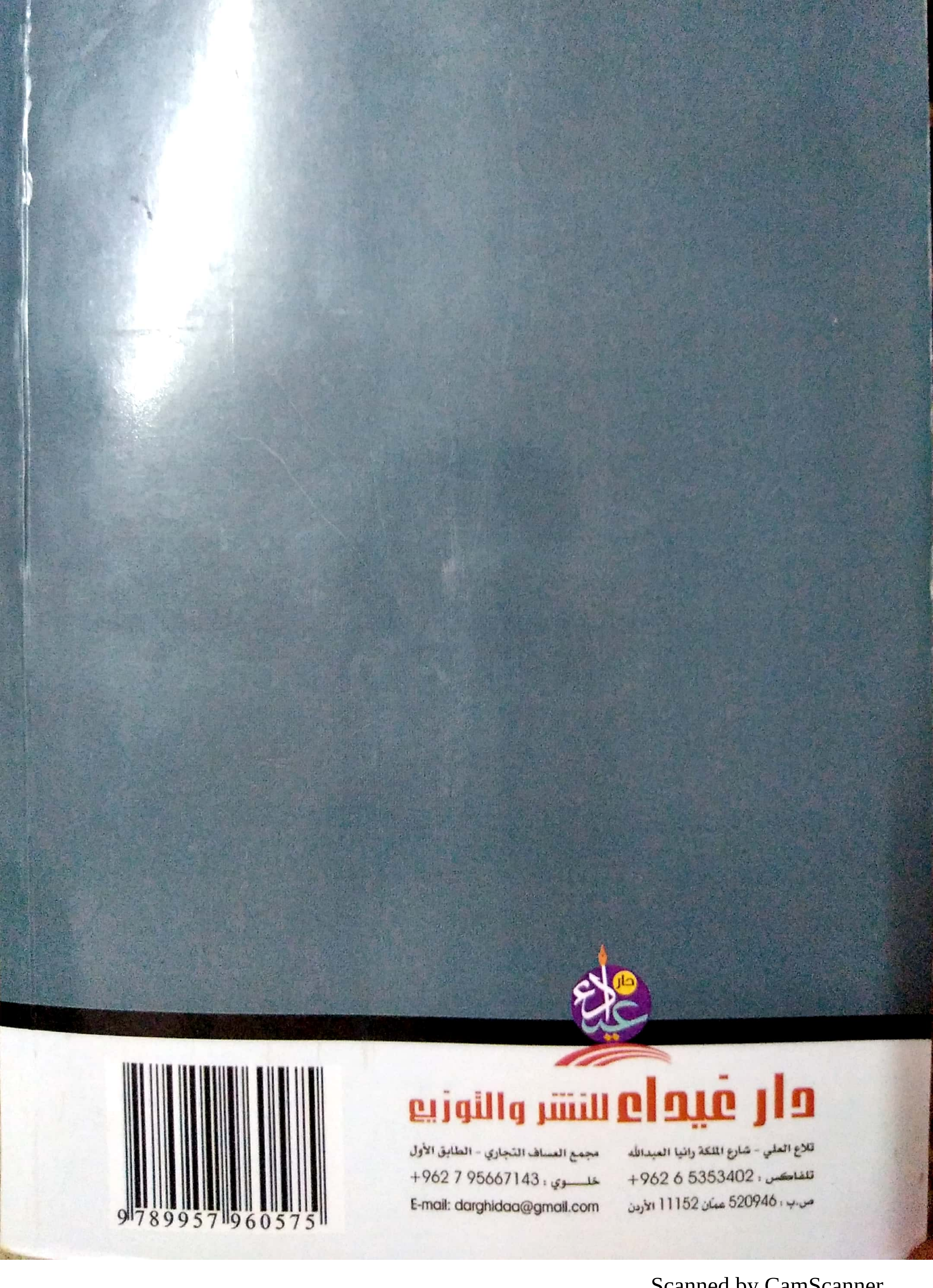
_ المهام التدريسية (الموضوع):

1. مادة "وطن عربي في العصور الوسطى" في قسم التاريخ / كلية الآداب/ جامعة الموصل.
2. مادة "الفلسفة الإسلامية" في أقسام الشريعة والأصول والحضارة الإسلامية / كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل.
3. مادة "تاريخ الحضارات القديمة "في قسم الحضارة الإسلامية / كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل
4. مادة "منهج بحث" في قسم الحضارة الإسلامية وقسم أصول الدين/ كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل.
5. "الفتوحات الإسلامية "في قسم الحضارة الإسلامية / كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل.
6. "مادة الفلسفة الإسلامية" في قسم اصول الدين / الدراسات العليا (ماجستير)

**_ النشاطات الإدارية:**

1. مدير التخطيط والمتابعة في كلية العلوم الإسلامية للعام 2004-2006م.
2. عضو الهيئة التدريسية في قسم التاريخ / كلية الآداب/ جامعة الموصل/ للفترة من 2002- 2004م.
3. عضو الهيئة التدريسية في قسم الشريعة / كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل / للعام الدراسي 2004-2005م.
4. عضو الهيئة التدريسية في قسم الحضارة الإسلامية / كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل / للعام الدراسي 2005-2006م
5. عضو اتحاد المؤرخين العرب.
6. عضو نقابة المعلمين فرع نينوى.
7. عضو رابطة التدريسيين الجامعيين العراقية المستقلة
8. عضو اللجنة العلمية في كلية العلوم الإسلامية / قسم الحضارة الإسلامية
9. _ عضو هيئة تحرير مجلة كلية العلوم الإسلامية/ جامعة الموصل




دار
غيداء
دار غيداء للنشر والتوزيع
تلاع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله
تلفاكس : 5353402 6 962+
ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن
مجمع العساف التجاري - الطابق الأول
خلـــوي : 95667143 7 962+
E-mail: darghidaa@gmail.com
9789957960575